«هل المسيح رب؟»

دلالة العهد القديم، والعهد الجديد، والمنطق، والتاريخ،

على أن يسوعِ المسيح (عيسى ابن مريم)

بشرٌ رسولٌ من عند ربه وخالقه (الله)،

وأنه ليس ربا، ولا ابنَ الربِّ

ولا إلٰها، ولا ابنَ الإلٰه

****

30 وقفة علمية ومنطقية،

للمثقفين والمثقفات (فقط)

****

تأليف

ماجد بن سليمان

جمادى الأولى، 1438 هجري

الموافق فبراير، 2017 ميلادي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة

- الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فكان الناس في فلسطين ينظرون للمسيح ابن مريم قبل أن يبدأ في دعوته على أنه إنسانٌ مثلهم، ولما بدأ دعوته لقومه اليهود انقسموا إلى قسمين:

الأول: قومٌ صدَّقوه وآمنوا برسالته، وأنه نبي بشر مرسل من الله سبحانه وتعالى إليهم.

والقسم الثاني كذبوه ولم يؤمنوا به، واتهموه بأنه مدَّعٍ للنبوة.

وبعد رفع المسيح إلى السماء بسنوات قليلة جاء بولس، فادَّعى أن المسيح إلٰه وأنه ابن الله، وأنه الرب وابن الرب، فنشأ **قسمٌ ثالث** يضاف إلى القسمين الآنف ذكرهما.

والجواب عن هذه المقولة (مقولة: إن المسيح إلٰه وابن الإلٰه، وأنه الرب وابن الرب) من ثلاثين وجها، إحدى عشر منها نقلية (أي منقولة من العهد القديم والجديد)، وستة عشر عقلية (أي معلومة بالعقل والمنطق والتفكير الصحيح)، واثنتان منها تاريخية (أي أن هناك شاهدان من التاريخ يدلان على أن هذه العقيدة من اختراع البشر، ليست من عند رب البشر وهو الله، ولم يعلم بها المسيح لما كان على الأرض)، والدليل الأخير الخاتمي هو الدليل القرآني على أن المسيح بشر رسول، ليس ربا ولا ابن الرب، ولا إلٰها ولا ابن الإلٰهِ.

وقد قسَّمت هذا البحث المبارك إلى خمسة فصول بحسب أنواع هذه الأدلة فقلتُ:

الفصل الأول: الأدلة النقلية

الفصل الثاني: الأدلة العقلية

الفصل الثالث: الأدلة التاريخية

الفصل الرابع: الأدلة القرآنية

الفصل الخامس: ملحق فيه فوائد عامة

***

والآن نبدأ بقراءة هذا البحث المبارك إن شاء الله، فإلى البحث.

الفصل الأول: الأدلة النقلية، وتتضمن الأدلة من العهد القديم والجديد على بطلان مقولة إن المسيح رب، وعدد هذه الحجج إحدى عشرة

١. كيف يصح أن يقال إن المسيح هو الرب أو ابن الرب مع أنه لا توجد عبارة **واحدة صريحة** في أيٍّ من الأناجيل الأربعة ولا في الرسائل الثلاثة والعشرين الملحقة بها تنص على أن المسيح قال عن نفسه بعبارة صريحة إنه ابن الرب، أو الرب، أو إنه الله، أو ابن الله (بُـنُـوَّة نسب وولادة)، أو أنه جزء من الله، أو أن ذاته هي ذات الله، وأن فِعلَه فِعلُه، أو أن مشيئتَه مساويةٌ لمشيئة الرب، أو أنه خالقٌ، أو رازقٌ. (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

نعم، لو كان المسيح إلها ورباً وخالقاً ورازقاً **لاستفاض** ذِكرُ ذلك في الأناجيل، لأنه أمر **متعلق بأصول العقيدة**، فلمَّا لم يدّع لنفسه شيئاً من ذلك فإنه لا يصح أن يوصف بهذا، فهو أدرى بنفسه من غيره.

والمتأمل في الأناجيل بِحِـيَادِية وإنصاف سيجد فيها كلاما عن المسيح يناقض وصفَه بالربوبية والألوهية تماما، فقد جاء فيها أنه عبدٌ لله، يصلي، وأنه لا مشيئة له مع مشيئة الله الذي أرسله، كما يجد المتأمل فيها أن المسيح أظهر في كلامه الضعف والعجز والخوف والتبرؤ من الحول والطَّول، وأنه عبدُ الله ورسوله، وليس ابن الله، أو الله، أو أن له شِركةٌ مع الله في شيء من صفاته.

***

٢. أضِف إلى ذلك أنه لا يوجد إثبات لهذه المقولة (مقولة إن المسيح هو الله أو ابن الله) لا في الكتب السابقة للإنجيل كالتوراة والزبور ولا في الكتاب الذي جاء بعد الإنجيل وهو (القرآن).

نعم أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة، فلَم تبشر التوراة ولا أي كتاب من السماء قط بأن الله سينزل بنفسه من فوق سبع سماواته ليكون بشراً يمشي في الأرض، ويخاطب الناس، ويدعوهم، ويأكل ويشرب معهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فضلاً عن أن يُهان ويُصفع على قفاه، ويُعلق على خشبة الصَّلب، ويُـبصق في وجهه، تعالى الله أن يكون محلاً لهذه النقائص، وتعالى الله أن يُمَكِّـن أعداءه من رسوله ليُهينوا كرامته.

***

٣. بل على العكس من ذلك فقد ورد في العهدين القديم والجديد ما يزيد على ثلاثين نصا تدل بكل وضوح على أن المسيح له ذات، وأن الله له ذات أخرى، وأن ذات الله منفصلة عن ذات المسيح، مما يدل على أن المسيح ليس هو الله ولا ابن الله، ويدل أيضا على بطلان عقيدة التجسد وعقيدة التثليث، وهذا أوان الشروع في ذكر هذه النصوص الإنجيلية:

نصوص العهد القديم التي تقرر أن الله واحد في ذاته، وعددها خمسة وعشرون

١. (سفر التثنية ٦: ٤):

«اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ **إِلـهُـنا رَبٌّ وَاحِد**».

وهذا النص مذكور في العهد الجديد في إنجيل مرقص (١٢/٢٩).

والشاهد من هذا النص هو أن المسيح لم يقل: (الرب هو المسيح)، أو: (أنا ربكم)، أو: (اعبدوني)، بل قال (**الرب إلٰهنا**)، فهو يتكلم عن ذاتٍ غير ذاته تماما، ويقرر أنه يعبد الله ويتخذه إلٰها، فبطلت بذلك مقولة إن المسيح هو الإلٰه، وأنه دعا إلى عبادة نفسه أو عبادة أمه، حاشاه من ذلك، بل هو رسول كريم دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما فعل جميع إخوانه الرسل.

فهذا النص دليل على واضح على أن المسيح رسول دعا إلى عبادة الله وحده وترك عبادة من سواه.

٢. (حكمة سليمان ١٢:١٣):

«إذ **ليس إله إلا أنت** المعتني بالجميع».

٣. (الملوك الثاني ١٩/ ١٥ ، ١٩):

«وصلَّى حزقيا أمام الرب وقال: أيها الرب إله إسرائيل الجالس فوق الكروبيم. أنت هو **الإلٰه وحدك** لكل ممالك الأرض. أنت صنعت السماء والأرض.

والآن أيها الرب **إلٰهنا**، خلِّصنا من يده[1]، فتعلم ممالك الأرض كلها إنك أنت الرب **الإلٰه وحدك**».

وهو في (إشعياء ٣٧: ١٦، ٢٠)

٤. (إشعياء ٤٣: ١١):

«**أنا أنا الرب**، وليس غيري مُخَـلِّص».

٥. (إشعياء ٤٤: ٦، ٨):

«هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه، رب الجنود: أنا الأول وأنا الآخِر ولا **إله غيري** ... لا ترتعبوا ولا ترتاعوا. أما أعلَمتُك منذ القديم وأخبرتك؟ فأنتم شهودي. هل يوجد **إله غيري** ولا صخرة لا أعلم بها؟»

٦. (إشعياء ٤٦:٩):

«اذكروا الأُوليات منذ القديم، لأني أنا الله **وليس آخَر، الإلٰه وليس مثلي**».

٧. (إشعياء ٤٢:٨):

«أنا الرب هذا اسمي، **ومجدي لا أعطيه لآخر**، ولا تسبيحي للمنحوتات».

٨. وفي (إشعياء ٤٥: ٢١-٢٢) يقول الرب:

«أليس أنا الرب **ولا إله آخَـر غيري**، إله بار ومُخَـلِّص **ليس سواي**. **التفتوا إلي وأخلِصوا** يا جميع أقاصي الأرض، لأني أنا **الله وليس آخَر**».

قوله (التفِـتوا إليَّ وأخلِصوا) أي توجهوا إلي في عبادتكم واجعلوها خالصة لي، ولا تعبدوا غيري.

٩. وفي (إشعياء ٤٥ : ٥ — ٦) يقول الرب:

[1] يعني مَلِـك أشور.

«أنا الرب **وليس آخر**. **لا إله سواي**. نطقتك وأنت لم تعرفني. لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن **ليس غيري**. أنا **الرب وليس آخَر**».

١٠. (إشعياء ٦٤: ٤):
« لم تر عينٌ **إلٰها غيرك** يصنع لمن ينتظره».

١١. (إشعياء ٢٦: ١٣):
«أيها **الرب إلٰهنا**، قد استولى علينا سادَةٌ سواك، بك **وحدك** نذكر اسمك».

١٢. (إشعياء ٤٥: ١٤):
«ولك يسجدون، إليك يتضرعون قائلين فيك **وحدك**: **الله وليس آخَر**».

١٣. (ملاخي ٢: ١٠):
«أليس أب **واحد** لكلنا؟ أليس **إلٰه واحد** خلقنا؟»

١٤. (سيراخ ١: ٨):
«**واحدٌ** هو حكيم، عظيم المهابة، جالس على عرشه».

١٥. وفي (أخبار الأيام الثاني ٦: ١٩) أن النبي سليمان قال وهو يناجي ربه:
«فالتفِت إلى صلاة عبدك وإلى تضرعه أيها **الرب إلٰهي**، واسمع الصراخ والصلاة التي يصليها عبدك أمامك».

١٦. (نحميا ٩: ٦):
«أنت هو **الرب وحدك**، أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها، والأرض وكل ما عليها، والبحار وكل ما فيها، وأنت تحييها كلها، **وجندُ السماء لك يسجد**».

١٧. (سفر يشوع ابن سيراخ ٣٦: ٢):
«وألق رعبك على جميع الأمم الذين لم يلتمسوك، ليعلموا أنه **لا إله إلا أنت**، ويخبروا بعظائمك».

١٨. (مزمور ٨٦: ٨-١٠):
«لا مِـثل لك بين الآلهة يارب، ولا مثل أعمالك. كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يارب، ويمجدون اسمك، لأنك عظيم أنت وصانع عجائب، **أنت الله وحدك**».

١٩. (دانيال بالتتمة ٣: ٤٥):
«وليعلموا أنك أنت **الرب الإلٰه وحدك** المجيد في كل المسكونة».

٢٠. (الملوك الأول ٨: ٦٠):
«ليعلم كل شعوب الارض أن **الرب هو الله وليس آخَـر**».

٢١. (صموئيل الأول ٢: ٢):

«ليس قدوس مثل الرب لأنه **ليس غيرك**، وليس صخرة مثل إلٰهنا».

أي ليست الصخور والتماثيل المنحوتة على أشكال المخلوقين مثل الرب، فالرب هو الخالق والصخور مخلوقة، فعبادتها باطلة.

٢٢. (صموئيل الثاني ٧: ٢٢):

«لذلك قد عظُمت أيها **الرب الإلٰه**، لأنه ليس مثلك وليس **إلٰه غيرك** حسب كل ما سمعناه بآذاننا».

٢٣. (أستير بالتتمة ١٤: ١٩):

«الإلٰه القدير على الجميع، فاستجِب لأصوات الذين **ليس لهم رجاء غيرك**، ونـجِّنا من أيدي الأُثَماء، وأنقذني من مخافتي».

٢٤. (مزمور ١٦: ٢):

«قلت للرب:**أنت سيدي**، خَيْـرِي، **لا شيء غيرك**».

٢٥. وفي (سفر دانيال بالتتمة ١٤:٤٠):

«فهتف بصوت عال وقال: عظيم **أنت أيها الرب**، إلٰه دانيال **ولا إلٰه غيرك**».

نصوص العهد الجديد التي تقرر أن الله واحد في ذاته، وعددها عشرة

١. في إنجيل يوحنا (١٧/٢٠) قال المسيح لامرأة: «اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم و**إلٰهي وإلٰهكم**».

فدل قول المسيح (**إلٰهي وإلٰهكم**) على اعترافه بأن الله هو **إلٰهه وإلٰهِ الناس كلهم**، وأن المسيح نفسه ليس إلٰها ولا ربا، بل هو عبدٌ لله كسائر البشر، لأن إلـٰهَهُ هو إلٰهُ قومه الذين خاطبهم، وهو الله، ولو كان المسيح هو الله لما كان لهذه الجملة معنى، ولما كان للصعود معنى، فإلى من سيصعد المسيح لو كان هو الله ذاته؟!

ومن اللطيف ذكره في هذا المقام أن القرآن (دستور دين الإسلام) ذكر اعتراف المسيح بأن الله هو ربه ورب الناس كلهم في أربع مواطن من القرآن، وهي:

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ **اعْبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ** إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1].

وقال الله في القرآن عن المسيح أنه قال لقومه ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن **اعبدوا الله ربي وربكم**﴾[2].

وقال الله في القرآن عن المسيح أنه قال لقومه ﴿إن **الله ربي وربكم** فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[1].

---

[1] سورة المائدة: ٧٢.

[2] سورة المائدة: ١١٧.

وفي سورة مريم أنه قال لقومه ﴿**وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم**﴾[٢].

وقال الله في القرآن عن المسيح أنه قال لقومه ﴿إن **الله هو ربي وربكم** فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[٣].

فالحاصل أن الأناجيل تثبت أن المسيح كان يُقِرُّ لله بأنه ربه ورب الناس كلهم، وكذلك القرآن، بخلاف الاعتقاد السائد بين المسيحيين بأن المسيح نفسه هو الرب وابن الرب.

تنبيه هام

من المعلوم أن معنى الأب في المصادر الإنجيلية هو المربي، وليس معناه أُبُوَّة النسب المعروفة، يدل لهذا أن المسيح وصَف الرب بأنه أبو جميع الناس في قوله (أصعد إلى أبي وأبيكم)، ولا أحد يقول إن الله هو أبُ الناس كلهم بمعنى أُبُوَّة النسب المعروفة، بل الصحيح أن معنى الأب هنا أي المربي والـمُعتني، لأن الله هو الخالق الرازق المدبر لشئون الناس كلهم.

٢. وفي يوحنا (١٤:٢٨) قال المسيح: «**لأنَّ أبي أعظم مني**».

فلو كان الله والمسيح متساويين ولهما ذات واحدة فكيف يكون الله أعظم منه؟
هذا تناقض ظاهر.

فدل هذا على أن ذات الله ليست هي ذات المسيح، بل لكل منهما ذات مختلفة، والله فوق سماواته على عرشه سبحانه وتعالى، لا يمتزج بخلقه ولا يخالطهم، هم في الأرض، وهو فوق السماء السابعة على عرشه.

٣. (يوحنا ١٧: ٣):
«وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت **الإله الحقيقي وحدك**، ويسوع المسيح الذي أرسلته».

٤. (مرقص ١٢: ٢٩، ٣٢):
«فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، **الرب إلهنا رب واحد**...
فقال له الكاتب: جيدا يا معلم، بالحق قلت، **لأنه الله واحد، وليس آخر سواه**».

٥. (لوقا ١٨: ١٩):
«فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا **واحدٌ وهو الله**».

٦. (يوحنا ٥: ٤٤):
«كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض، والمجد الذي من **الإله الواحد** لستم تطلبونه؟!»

٧. (متى ٤: ١٠):

---

[١] سورة آل عمران: ٥١.
[٢] سورة آل عمران: ٥١.
[٣] سورة الزخرف: ٦٤.

«حينئذ قال له يسوع: اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب: **للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد**».

تنبيه: هذا متوافق مع الآية التي في سورة الفاتحة التي في القرآن العظيم ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

٨. (مرقص ٢: ٧):
«لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف؟ من يقدر أن يغفر خطايا إلا **الله وحده؟**»

٩. (الرؤيا ١٥: ٤):
«من لا يخافك يا رب ويمجد اسمك؟ لأنك **وحدك** قدوس، لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك، لأن أحكامك قد أُظهِرت».

١٠. وقال أيضا كما في (مرقص ١٠ : ١٧– ١٨) ما يدل على أن ذات الله ليست ذات المسيح:
«لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحدٌ صالحا **إلا واحد وهو الله**».

***

٤. الدليل الرابع على بطلان مقولة إن المسيح إله ورب هو أنه قد ورد عن المسيح نفسه ما يثبت **أنه إنسان، ومن أصل بشري**:

- فقد ورد في إنجيل لوقا في الإصحاح التاسع، عدد ٥٦، القول عن المسيح نفسه:

«لأن ابن **الإنسان** لم يأت ليهلك أنفس الناس».

فهذا النص صريح في أن المسيح ليس ابن الله وإنما ابن الإنسان، وهو الجنس البشري.

- وفي إنجيل يوحنا (٨-٢٨) قال المسيح:

«فقال لهم يسوع: متى رفعتم **ابن الإنسان**، ... **ولست أفعل شيئا من نفسي**».

ألا يدل هذا على أن المسيح بشر؟

لو كان المسيح ربا لما وصف نفسه بالبشرية في قوله (ابن الإنسان)، ولما قال (لست أفعل شيئا من نفسي)، لأن رب الكون يفعل كل شيء، ويدبر أمر الكون كله، وبناء عليه فلا يمكن عقلا أن يقول المسيح (لست أفعل شيئا من نفسي) وهو رب الكون في نفس الوقت.

- وفي إنجيل متى (٣٤/١) قال يسوع عن نفسه للجموع: «جاء **ابن الإنسان** يأكل ويشرب».

- كما قال المسيح لمن أراد قتله: «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني. وأنا **إنسان** قد كلّمكم بالحق الذي سمِعه من الله. هذا لم يعمله إبراهيم». يوحنا (٨/ ٤٠).

- بل لما قيل لعيسى عليه السلام (أنت ابن الله) كان خاتمة جوابه أنه ابن **الإنسان**. انظر إنجيل يوحنا (١/ ٤٩-٥١).

- وفي الأناجيل إشارات أخرى لبشرية المسيح، انظر: لوقا (١٧/ ٢٢) (١٨/ ٨)، متى (١٢/ ٣٢).

فوصْفُ المسيح – عليه السلام – لنفسه بأنه **إنسان** دليل واضح وصريح على أنه **بشر**، فهل من يقول هذا الكلام قد قام في نفسه مجرد ظن أنه هو الله أو ابنه، ونزل إلى الأرض ليدعو الناس إلى عبادة نفسه؟

الجواب: لا بالطبع.

فتبين من هذه النصوص بطلان مقولة إن المسيح ربٌّ وإلهٌ، بل الحق الثابت في الأناجيل أنه بشراً رسولاً.

***

٥. ومن الأدلة على بشرية المسيح أنه قد جاء في الأناجيل والرسائل الملحقة بها أن المسيح يتحلى بصفات البشر، منها أنه لا يعلم أمورا، وجاء فيها أن يجهل أمورا، وجاء فيها أنه ضعيف، وأنه ينسى، وأنه بشر، وأنه جاع، وأنه يتألم، وأنه يشتهي الأكل، وأنه يخاف، من ذلك:

ما جاء في يوحنا (٢٨/١٩): «قال يسوع: أنا **عطشان**».

وفي إنجيل متّى (٢٤/٨): «وكان هو نائماً».

وفي إنجيل يوحنا (٦/٤): «فإذا كان يسوع قد **تعب** من السفر جلس هكذا على البئر».

وفي إنجيل مرقص (١٤/٣٢-٣٥) أنه يصلي ويحزن ويُدهش ويكتئب:

«وجاءوا إلى ضيعة اسمها جثسيماني، فقال لتلاميذه: اجلسوا هٰهنا حتى **أصلي**.

ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا، وابتدأ **يدهش ويكتئب**.

فقال لهم: نفسي **حزينة** جدا حتى الموت امكثوا هنا واسهروا.

ثم تقدم قليلا وخرَّ على الأرض، وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن».

وفي إنجيل يوحنا (١١/٣٥): «**بكى** يسوع».

وفي إنجيل لوقا (٢٢/١٤-١٥): «ولما كانت الساعة **اتكأ** والاثنا عشر رسولا معه.

وقال لهم: شهوة **اشتهيت** أن **آكل** هذا الفُصح معكم قبل أن **أتألم**».

ليس هذا فحسب، بل إن يسوع كان **يخاف** من اليهود أن يقتلوه، كما في إنجيل يوحنا (١١/٥٣-٥٧):

«فمن ذلك اليوم تشاوروا **ليقتلوه**.

فلم يكن يسوع أيضا يمشي بين اليهود **علانية**، بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية، إلى مدينة يقال لها أفرايم، ومكث هناك مع تلاميذه.

وكان فُصح اليهود قريبا. فصعد كثيرون من الكور إلى أورشليم قبل الفُصح ليطهروا أنفسهم.

فكانوا يطلبون يسوع ويقولون فيما بينهم، وهم واقفون في الهيكل: ماذا تظنون؟ هل هو لا يأتي إلى العيد.

وكان أيضا رؤساء الكهنة والفريسيون[١] قد أصدروا أمرا أنه إن عرف أحد أين هو فليدل عليه، لكي **يُمسكوه**».

والتعليق على هذا كله:

- هل يمكن أن يكون من هذه صفاته أن يكون هو الرب الذي خلق السماوات والأرض؟!

هل يُعقل أن يكون المسيح إلٰها وربا مع كونه يعطش وينام ويتعب ويُدهش ويكتئب ويبكي ويتكئ ويشتهي ويتألم (ويخاف)؟!

ما الفرق بينه وبين البشر إذن؟!

إن الله غني وقوي وخالق، وكامل في صفاته، وعليه فليس من المعقول أن يخلق شيئا (من طعام وشراب) ثم يحتاج إليه، أو أن يكون بحاجة إلى شيء ليساعده على الوجود، لأنه إذا كان محتاجا إلى غيره فهو ليس ربا في الحقيقة، قال الله في القرآن واصفا نفسه، ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزقٍ وما أريد أن يُطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾.

بينما المسيح كان يأكل الطعام ويشرب الشراب، والمحتاج إلى غيره لا يكون إلٰها ولا ربا.

---

[١] الفريسيون هم طائفة من غلاة اليهود المتعصبين والمتشددين بالمظاهر الخارجية للورع والتدين، ومنها التقيد بحرفية الشريعة أو الناموس مثل الامتناع عن أداء أي عمل يوم السبت، أو مخالطة غير اليهود، إذ يُعتبرون نجِسين، وقد آذوا المسيح عليه السلام. نقلا من «تاريخ النصرانية، مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، ص ٥٩، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع، ط ١.

- ثم إن مقتضى تَحَلِّي المسيح بهذه الصفات (كونه يأكل ويشرب وينام ويتنفس ونحو ذلك) أنه إذا لم تتوفر له فإنه سيموت، لأنه محتاج لهذه الأمور كضروريات للبقاء على قيد الحياة، وهذا لا ينطبق على الرب، لأن الرب حي لا يموت، بل تنطبق هذه الصفات على الجنس البشري الذي منه المسيح.
- كذلك فإن الذي يأكل الطعام فإنه يحصل منه خروج الفضلات القذرة التي يستحيي الإنسان العادي من ذكرها لِما فيها من مُركَّب النقص والقذارة، وهذا هو الحاصل مع المسيح، فكيف يليق بالمسيح أن يكون ربا وفيه هذا النقص العظيم الذي يستحي من ذِكرِهِ البشر ويستقذرون وجوده؟

هذا كله يدل قطعا على بطلان وصف المسيح بالألوهية والربوبية.

- كذلك فلا يليق بمن تقلَّب جنينا في أحشاء أمه وخرج من مخرج البول ثم لفَّته أمه في خرقة أن يكون إلها ولا ربا، هذا قول لا يصح بالعقل، وإلا فما الفرق بينه وبين أطفال البشر إذن؟

إن مريم العذراء حملت المسيح حملا طبيعيا بشريا في بطنها تسعة أشهر، وتقلب المسيح في أحشائها، ثم ولدته ولادة طبيعية بشرية، فخرج من مخرج البول كسائر الأطفال، فهل يليق هذا بمن كان ربا؟

- ومن الأدلة على أن المسيح يتصف بصفات البشر ما جاء في إنجيل مرقص، الإصحاح الحادي عشر (١١-١٤):

«فدخل يسوع أورشليم والهيكل، ولما نظر حوله إلى كل شيء إذ كان الوقت قد أمسى خرج إلى بيت عنيا مع الاثني عشر.

وفي الغد لما خرجوا من بيت عنيا **جاع**.

فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء **لعله يجد فيها شيئا**، فلما جاء إليها لم يجد شيئا إلا ورقا لأنه **لم يكن وقت التين**.

فأجاب يسوع وقال لها: (لا يأكل أحد منك ثمرا بعدُ إلى الأبد)، وكان تلاميذه يسمعون».

التعليق:

في هذه القصة أن يسوع جاع، وأنه ظن أن شجرة التين قد أثمرت، فلما جاءها لم يجد شيئا، أي أنه لم يتبين له قبل وصوله إلى الشجرة هل كانت مثمرة بالتين أم لا، وأنه لم يكن يعلم أن الموسم لم يكن موسم التين، فذهب للشجرة والموسم ليس موسم التين، في حين أنه كان ينبغي أن يكون عالما بالموسم لأنه هو خالق المواسم كلها – لو كان ربا فعلا –، وفي القصة أنه دعا على شجرة التين بأن لا تثمر ولا ينتفع منها أحد.

وفيها أنه غضب على الشجرة فأمرها بأن لا تثمر فانحرم الناس من ثمارها.

هل من المعقول أن يكون المسيح ربا مع كونه متصفا بهذه الصفات (صفات المخلوقين)؟

وما الفرق بينه وبين البشر إذن؟

لماذا لم يأمر المسيح الشجرة (لو كان ربا فعلا) أن تُثمر؟ هذا هو اللائق به لو كان ربا فعلا.

***

٦. ومن دلائل بطلان مقولة إن المسيح ربٌّ أو ابن الربِّ أن الكتاب المقدس عند المسيحيين يقول كما في يوحنا (١٨:١): «**الله لم يره أحد قط**».

وقال كما في يوحنا (٣٧:٥): «والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي. **لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته**».

قالها المسيح وهو واقف أمامهم، فدل هذا بوضوح على أن المسيح ليس هو الله، ولو كان المسيح هو الله (تعالى الله عن ذلك) لما قال لهم ذلك، بل لقال لهم: إنكم ترون الله أمامكم، إنه أنا، انظروا إلي.
وهذا الدليل واضح جدا.

وفي أعمال الرسل (١٧:١): «ومَلِكُ الدهور الذي لا يفنى **ولا يُرى**، الإله الحكيم **وحده**، له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور».

إذن فالإله الحقيقي الذي له المجد لا يُرى، وليس هو المسيح ابن مريم الذي رآه الناس ولمسوه بأيديهم.

***

٧. الدليل السابع على بطلان مقولة إن المسيح إله ورب أنه ورد في المصادر الإنجيلية عن المسيح نفسه أنه **رسول**، فلو كان المسيح ربا وإلها لما استقام أن يكون رسولا أيضا، رسولا من عند من إذَن؟**!**
وقد كان المسيح دائماً يذكر تلاميذه أنه رسول الله إليهم، وأنه **مُـعَـلِّم**، وأن الله هو الإله وحده، وأنه ليس إلا مجرد رسول إلى بني إسرائيل، لِيُعَلِّم الناس أمور دينهم، وسنذكر هنا **سبعة عشر دليلا** على ذلك من الأناجيل المعتبرة عند المسيحيين:

١. في إنجيل متى (٢٣/٤): «وكان يسوع يتنقل في منطقة الجليل كلها، **يُعَلِّم** في مجامع اليهود، وينادي ببشارة الملكوت».

٢. وجاء في إنجيل متى (١٧/٤): «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع **يُكَرِّز** ويقول: **توبوا** لأنه قد اقترب ملكوت السماوات».

ومعنى (يُكَرِّز) أي يُبشر.
وقول يسوع (توبوا) دليل على أنه رسول، يحث الناس على التوبة من فعل المعاصي.

٣. وجاء في إنجيل متى (٨/٦ – ١٠) أن يسوع قال لتلاميذه:

«لأن أباكم يَعلَم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه.
فصلُّوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك، لِيَأتِ ملكوتك.
لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض».

في هذا النص فائدة أن اليسوع **عَلَّم** تلاميذه كيفية الصلاة، فهو إذن نبي، لأن وظيفة الأنبياء هي التعليم، وهو الشاهد.

وفي هذا النص فائدة أن يسوع يتكلم لتلاميذه عن الله، ولو أن اليسوع هو الله لما قال لهم (لأن **أباكم** يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن **تسألوه**)، بل لقال (لأني **أنا** أعلم ما تحتاجون إليه قبل أن **تسألونني**).

وفي هذا النص فائدة أن الله في السماء، لقوله (أبانا الذي في السماوات)، فدل على أن الله له ذات، وهي في السماء، والمسيح له ذات أخرى في الأرض.

وفي هذا النص فائدة أن الأب بمعنى المربي والقائم على الشيء، وليست بمعنى الأب من جهة النسب، لأنه لو كانت كلمة الأب تعني الأب من جهة النسب لكان الله أب الناس كلهم، لأنه قال (أبانا) ولم يقل (أبي).

وهذا فيه رد على من قال بأن أُبُوَّةُ الله للمسيح هي أُبُوَّةُ نسب، وأنها تقابل أمومة مريم للمسيح، فهذا غلط عظيم، فإن الأبوة هنا تعني التربية والقيام على رعاية الشخص، وبناء عليه فإن الله هو أبو الناس كلهم إذا طبقنا هذا المعنى حرفيا.[١]

٤. وجاء في إنجيل مرقص (١/١٤، ١٥) نصٌّ واضح في أن يسوع **نبيٌّ** بشَّر بالإنجيل وعلَّم الناس الخير وهو:

«وبعدما أُلقِي القبض على يوحنا، انطلق يسوع إلى منطقة الجليل **يبشر بإنجيل الله** قائلا:
قد اقترب الزمان، واقترب ملكوت **الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل**».

فهذا النص فيه فائدة أن المسيح نبي، لأنه كان يبشر بإنجيل الله، ويأمر الناس بالتوبة إلى الله، وهذه وظيفة الأنبياء، ويأمرهم بالإيمان بالإنجيل.

وفي هذا النص فائدة أن ذات الله ليست هي ذات يسوع، لأنه قال (واقترب ملكوت الله)، ولو كان الله هو اليسوع لقال (واقترب ملكوتي).

ثم إن يسوع أمر تلاميذه بالإيمان بإنجيل الله، أي كتابه، ولو أن اليسوع هو الله لقال لهم (فتوبوا وآمنوا بإنجيلي).

وفي هذا النص فائدة أن إنجيل الله ليس أحد الأناجيل الأربعة المعروفة (يوحنا، لوقا، مرقص، متى)، لأن يسوع سماه (إنجيل الله)، بينما الأناجيل الأربعة المعروفة تسمى بأسماء مؤلفيها الذي كتبوها بأيديهم.

٥. وجاء في إنجيل لوقا (٤/٣١-٣٢، ٤٣-٤٤) نصٌّ **صريح جدا** عن اليسوع أنه رسول، وهو:

«وانحدر إلى كفر ناحوم، مدينة من الجليل، وكان **يُعلمهم** في السُّبوت (أي أيام السبت)، فبُـهتوا من **تعليمه**، لأن كلامه كان بسلطان».

ثم قال للجموع الذين طلبوا منه البقاء معهم: «إنه ينبغي لي أن **أُبَشِّر** المدن الأُخَر بملكوت الله، لأني لهذا قد **أُرسِلت**.
فكان **يُكَرِّز** في مجامع الجليل».

فقوله (أُرسِـلت) تدل على أنه رسول، وكذلك قوله (أُبَشِّر)، وكذلك قول مَتَّى (يُكَرِّز)، كلها تدل على أنه رسول من الله، يعلم الناس الإنجيل.

٦. وفي (إنجيل لوقا ٧/١١-١٧) أن يسوع ذهب إلى مدينة اسمها نايين، يرافقه كثيرون من تلاميذه وجمعٌ عظيم، وفي نهاية القصة قال أهل المدينة: «قد قام فينا **نبي عظيم**، وتفقد الله شعبه»، وذاع هذا الخبر عنه في كل المناطق اليهودية، وفي جميع النواحي المجاورة.

ففي هذا النص دلالة صريحة على أن المسيح **نبي** عظيم، وليس ربا ولا ابن الرب.

٧. وهذا نص صريح آخر على أن المسيح رسول، ففي إنجيل **يوحنا** (١٧/٣): «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، **ويسوع المسيح الذي أرسلته**».

---

[١] سيأتي توضيح مفصل لمعنى كلمة (ابن الله) الواردة في الأناجيل، وذلك في ملحق «فائدة في معنى كلمة (ابن الله) الواردة في بعض الأناجيل».

٨. وفي إنجيل مَتَّى (٢١/١٠-١١) شهادةٌ من جموع بني إسرائيل للمسيح بأنه نبي:
«ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة: من هذا؟
فقالت الجموع: هذا يسوع **النبي** الذي من ناصرة الجليل».

فأيُّ دليل على نبوة المسيح أصرح من هذا؟

٩. وقال يسوع لتلاميذه كما جاء في إنجيل متى (٥/١١-١٢) وهو يُسليهم ويصبرهم على الأذى الذي جاءهم من اليهود:
«طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة، من أجلي، كاذبين.
افرحوا وتهللوا، لأن أجركم عظيم في السماوات، فإنهم هكذا طردوا **الأنبياء** الذين قبلكم».

فقوله: «افرحوا وتهللوا، لأن أجركم عظيم في السماوات» دليل على أن المكافئ والمجازي هو الله، وليس المسيح، وأن الجزاء لا يكون إلا عند الله يوم القيامة، ولو كان المسيح هو الله لقال لهم: "سأكافئكم **أنا** وأجازيكم من **عندي**".
وقوله: (فإنهم هكذا طردوا **الأنبياء** قبلكم)، يعني بهذا اليهود، فإنهم اضطهدوا الأنبياء قبله، وقوله (الأنبياء) دليل على أنه نبي من جملة هؤلاء الأنبياء الذين تعرضوا للاضطهاد، وإلا فسيكون كلامه ليس له معنى، وحاشاه من ذلك.
وفي هذا دليل على أن المسيح ليس ابنا لله ولا هو الله، بل بشر مثلنا، لأنه لو كان ابن الله فلن يتعرض للاضطهاد، ومن يقوى على اضطهاد الله الذي خلق كل شيء، وهو أقوى من كل شيء؟

قال «جوستاف لوبون»[١] في كتابه «حياة الحقائق»، ص ٢٠:
«كان يسوع معتقدا أنه نبي، خلَفٌ لمن ظهر قبله من الأنبياء».

١٠. وقال المسيح كما في إنجيل متّى (٥/١٧-١٩):
«لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. **ما جئت لأنقض بل لأكمل**.
فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.
فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلَّم الناس هكذا، يدعى أصغر في ملكوت السماوات. وأما من عمل وعلَّم، فهذا يدعى عظيما في ملكوت السماوات».

فقول المسيح: (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل) دليل واضح على أنه رسولٌ قد خلت من قبله الرسل، وأنه واحد منهم، لأن من جاء لِيُكَمِّل ويُتَمِّم الشريعة التي سبقته – وهي التوراة، شريعة موسى – ويُكمل ما بناه موسى ومن سبقه من الأنبياء قبله فإنه لا يكون إلا نبيا مثلهم، وقد جاء تصديق ذلك في القرآن الكريم في

[١] جوستاف لوبون (١٨٤١ – ١٩٣١م)، طبيب ومؤرخ فرنسي، عُنِيَ بالحضارة الشرقية. من أشهر كتبه «حضارة العرب»، و «حضارات الهند» و «الحضارة المصرية» و «حضارة العرب في الأندلس» و «سر تقدم الأمم». هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتَدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. عُرف بأنه أحد أشهر فلاسفة الغرب الذين أنصفوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية، فلم يَسِر على نهج مؤرخي أوروبا الذين صار من تقاليدهم إنكار فضل الإسلام على العالم الغربي .لكن لوبون الذي ارتحل في العالم الإسلامي وله فيه مباحث اجتماعية، أقرَّ أن المسلمين هم مَن مدَّنوا أوروبا، فرأى أن يُبعث عصر العرب الذهبي من مرقده، وأن يُبديه للعالم في صورته الحقيقية؛ فألف عام ١٨٨٤م كتاب «حضارة العرب» جامعًا لعناصر الحضارة العربية وتأثيرها في العالم، وبحث في أسباب عظمتها وانحطاطها، وقدَّمها للعالم تقديم المَدِين الذي يدين بالفضل للدائن. توفي جوستاف بفرنسا عام ١٩٣١م. المصدر: wikipedia

قوله سبحانه وتعالى عن المسيح – عليه السلام – أنه قال لقومه: ﴿ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون * إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[1].

فالمسيح – عليه السلام – لم يكن إلا نبياً رسولاً، أرسله الله للعمل بشريعة موسى – عليه السلام – ، وتحليل بعض ما حرم الله على بني إسرائيل، ودعوة بني إسرائيل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وتجديد ما اندَثر من دينهم، ولِيبعث فيهم جذوة الإيمان التي انطفأت بظلمهم وعتوهم، وتحريفهم لكلام الله سبحانه وتعالى.

فلا شك أنه – عليه السلام — ليس إلا حلقة في سلسلة الأنبياء والمرسلين – عليهم السلام – وليس رباً وإلٰهاً كما يعتقد المسيحيون.

١١. وقال يسوع كما في يوحنا (٥:٣٧): «والآب نفسه الذي **أرسلني** يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته».

فهذا النص صريح في أن المسيح رسول، لقوله (أرسلني).

١٢. وفي إنجيل يوحنا (٨/٣١، ٤٠، ٤٢) وفي معرض جدال المسيح لليهود الذي آمن بعضهم به وكفر بعضهم، قال المسيح – عليه السلام –:

«إنكم إن ثبتُّم في كلمتي فبالحقيقة تكونون **تلاميذي**، وتعرفون الحق والحق يحرركم».

ثم قال: «لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونني، **وأنا إنسان** قد كلمكم بالحق الذي **سمعه من الله**».

ثم قال لهم: «لأني لم آت من نفسي، بل **ذاك أرسلني**».

ففي هذا النص وحدَهُ ثلاثة أدلة على أن المسيح رسول بشري من عند الله وليس إلٰها:

الأول: قوله (**تلاميذي**)، وهذا لا ينطبق على المسيح إلا إذا كان رسولا وليس ربا.

والثاني: قوله (أنا **إنسان** قد كلمكم بالحق الذي **سمعته من الله**)، فهذا نص واضح في أن المسيح بشر مُرسل من عند الله.

والثالث قوله (**ذاك أرسلني**) واضح في أن المسيح ليس هو الله، بل الله أرسل المسيح، والمسيح هو الرسول، وإلا سيكون كلامه ليس له معنى.

فهذه النصوص الإنجيلية واضحة وصريحة في أن المسيح ليس هو الله ولا ابنُ لله، بل هو بشر خلقه الله، ورسول من عند الله، هذا الذي يُمْليه المنطق والعقل والفهم الصحيح، ولا تحتاج هذه النصوص إلى عالم أو متخصص باللاهوت لكي يشرحها، بل الطفل والشخص العادي يستطيع فهمها بسهولة.

١٣. وقد جاء تقرير أن الله أرسل المسيح رسولا ومُعَلِّما في إنجيل يوحنا (٣/١-٢):

«كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس، رئيس لليهود.

هذا جاء إلى يسوع ليلا وقال له: **يا مُعَـلِّم**، **نعلم أنك قد أتيت من الله مُعَـلِّما**، لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه».

---

[1] سورة آل عمران: ٥٠ — ٥١.

فقول رئيس اليهود للمسيح: (**يا مُعَـلِّم، نعلم أنك قد أتيت من الله مُعَـلِّما**)، هذا تقرير أن المسيح أرسله الله إلى اليهود **رسولا ومعلما**، لأن الرسول يُعلِّم الناس الذين أرسل إليهم ما أرسله الله به من العلم، ومن المعلوم أن المسيح قد علَّم الناس الإنجيل، ودلهم على الخير.

ولم يقل رئيس اليهود للمسيح إنه جاء فاديا، أو مُخَلِّصا، أو إنه ابن الله، أو إنه هو الله، ولا غير ذلك من الأقوال السائدة بين جماهير المسيحيين.

والمسيح أقَرَّ هذا اليهودي على كلامه، ولم يقل له إنك مخطئ في كلامك، ولو كان هذا اليهودي مخطئ في كلامه لاعترض عليه المسيح وصحح كلامه، لأن هذه وظيفته كَمُعَلِّم، وهي أن يُقِرَّه على الصواب، ويصلح له الخطأ، وإلا لم يكن معلما على الحقيقة.

وهنا فائدة لطيفة في قول رئيس اليهود للمسيح (**ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه**)، وهي أن في هذا دليل على أن الله أيَّد المسيح بمعجزات دالة على نبوته، لأن البشر لا يستطيعون أن يأتوا بها، ومِن ذلك أنه كان يحيي الموتى، ويَشفي الأبرص والأكْمه (أي الذي وُلِد أعمى)، ويُنَـبِّـئ الناس بما يأكلون وما يدَّخرون في بيوتهم من الطعام، وكل هذا بإذن الله، وليس للمسيح فيه قدرة مستقلة وعلم مستقل، لأن المسيح بشر، لا أكثر ولا أقل.

١٤. ومن الأدلة الإنجيلية على أن المسيح رسولٌ من عند ربه ما جاء في يوحنا (١٥/٧–١٨) أن المسيح ذهب لجموع اليهود يريد أن يعلمهم فحصل التالي:

«فتعجب اليهود قائلين: كيف هذا يعرف الكتب، وهو لم يتعلم؟

أجابهم يسوع وقال: **تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني**.

إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم، هل هو من الله، أم أتكلم أنا من نفسي.

من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه، وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم».

فاليهود انبهروا من حسن التعاليم التي كان المسيح يبثها بين الناس، وتعجبوا منها، فبين لهم المسيح أنها من الله الذي أرسله، فهو تلقاها منه عن طريق أعظم الملائكة وهو جبريل، ثم بثها في الناس، فهذه وظيفته كرسول، وليست تلك التعاليم من صنع نفسه، ولو كان المسيح هو الرب لقال (هذه التعاليم من عندي) ولم يقل إنها من عند الله، وبناء عليه فالمسيح ليس هو الرب ولا ابن الرب.

١٥. وفي إنجيل يوحنا (٢٨/٧–٢٩):

«فنادى يسوع وهو يُعَـلِّم في الهيكل قائلا: تعرفونني وتعرفون من أين أنا، ومن نفسي لم آت، بل الذي **أرسلني** هو حق، الذي أنتم لستم تعرفونه.

أنا أعرفه لأني منه، وهو **أرسلني**».

١٦. كما جاء أن المسيح أخبر قومه بأنه رسول كما في إنجيل يوحنا (٧/٣٢–٣٣):

«سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوِه، فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليُمسكوه.

فقال لهم يسوع: أنا معكم زمانا يسيرا بعد، ثم أمضي إلى الذي **أرسلني**».

١٧. وفي إنجيل يوحنا (٢٤/٥):

«الحق الحق أقول لكم: إنَّ من يسمع كلامي ويؤمن بالذي **أرسلني** فله حياة أبدية».

وخلاصة الكلام أن المسيح رسول من عند الله، وهذا متطابق مع قول الله تعالى في حق المسيح ﴿ما المسيح ابن مريم إلا **رسول** قد خلت من قبله **الرسل** وأمُّهُ صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنَّى يؤفكون﴾.

وتفسير الآية: ما المسيح ابن مريم عليه السلام إلا رسولٌ كمن تقدمه من الرسل، وأُمُّه صِدِّيقةٌ، أي صَدَّقت تصديقًا جازمًا بكلام ربها، وظهر تحقيق ذلك في علمها وعملها الصالح، وهما — أي المسيح وأُمَّهُ كغيرهما من البشر، يحتاجان إلى الطعام، ولا يكون إلها مَن يحتاج الى الطعام ليعيش.

ثم قال الله مخاطبا نبيه ﴿انظر كيف نبين لهم الآيات﴾، أي تأمَّل أيها الرسول حال هؤلاء، كيف وضحنا لهم أدلة بُطلان ما يَدَّعونه في المسيح من أنه ابن الله، ثم هم مع ذلك يَضِلُّون عن الحق الذي نَهديهم إليه، ثم انظر كيف يُصرفون عن الحق بعد هذا البيان؟

تم الدليل السابع، وننتقل الآن إلى الدليل الثامن من أدلة بطلان مقولة إن المسيح رب.

***

٨. ومن دلائل بطلان مقولة إن المسيح ربٌّ أو ابن الربِّ ما ثبت عنه أنه صلى لله، وكان يقول لتلاميذه: انتظروني حتى أصلي، وكان يذهب إلى المعبد ويصلي ويسجد، ومن المعلوم أن الصلاة لا تكون إلا لرب معبود يعتقد المصلي أنه أعظم منه وأن له حق العبادة والتوجه إليه، فلو أن المسيح هو الله لما احتاج لأن يصلي لله، لأن هذا سيكون من العبث، ولكان المفروض أن يقول للناس: (صلوا لي، واعبدوني، أنا لا أحتاج أن أصلي لأحد لأني أنا الله)، ولكن هذا لم يكن، فبناء عليه فلا يمكن أن يكون المسيح هو الله.

***

٩. ومن أدلة بطلان مقولة (إن المسيح ابن الله) هو أنه ورد عن المسيح النهي عن هذه المقولة، ولو أن المسيح ابن الله فعلا لأقر القائل على ذلك ولما زجره، فإنه لما قالت الشياطين ليسوع (أنت ابن الله) زجرهم ونهاهم، انظر إنجيل لوقا (٤/٤١)، فهذا دليل **صريح جدا** على أن اليسوع ليس ابنا لله.

***

١٠. ثم إن المسيح رحيم بالناس، شفيق عليهم، فلو كانت هذه العقيدة حقا (عقيدة أنه الرب أو ابن الرب) **لكررها وبينها بوضوح لتثبت في عقول الناس**، وَلَــوَرَدَ ذِكرها بشكل واضح جدا في الأناجيل الأربعة والرسائل الثلاثة والعشرين الملحقة بها، ولم يكتفِ بأسلوب التلميح في مثل هذه المسائل العظيمة ويترك أسلوب التصريح الواضح، ثم يستعملُه — أي أسلوب التصريح الواضح – في مسائل أقل أهـمية، لأن المسألة مصيرية وعقائدية، يقوم عليها الدين كله، ويترتب عليها مصير الإنسان في الآخرة، إما جنة وإما نار.

ومن اللطيف ذكره في هذا المقام أنه قد ورد نص في إنجيل يوحنا (١٨: ١٩-٢٠) يبين أن اليسوع كان **واضحا دائما**، وهو:

«فسأَلَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ يَسُوعَ عَنْ تَلاَمِيذِهِ وَعَنْ تَعْلِيمِهِ.

أَجَابَهُ يَسُوعُ: أَنَا كَلَّمْتُ الْعَالَمَ **عَلاَنِيَةً**. أَنَا عَلَّمْتُ كُلَّ حِينٍ فِي الْمَجْمَعِ وَفِي الْهَيْكَلِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْيَهُودُ دَائِمًا. **وَفِي الْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ**».

وانظر أيضا أيها القارئ العاقل وأيتها القارئة العاقلة إلى **الوضوح** في قول المسيح كما في إنجيل مرقص (١٢/٢٩):

«اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيل: الرَّبُّ **إِلٰهنَا رَبٌّ وَاحِد**».

فلو كان المسيح هو الله لقال المسيح: (أنا ربكم)، بدلا عن قوله (الرَّبُّ إِلٰهنَا رَبٌّ وَاحِد).

فهذا النص **واضح** في أن الله هو رب الناس كلهم، المسيح وغيره.

هل من العقل أن نترك هذا النص الصريح الواضح ثم نقلب المعنى ونلغي معناه ونقول إن المسيح رب أو ابن الرب أو أن الله تجسد فيه أو ... أو؟

لو كان المسيح هو الله والمُخَلِّص لصرح بوضوح وقال (أنا الله)، أو (أنا الإله، أنا الخالق، اعبدوني)، وهذا لا يوجد أبدا في أيٍّ من الأناجيل.

انظر إلى الوضوح – مثلا – في تقرير وِحدة ذات الله مثل قول الله كما في (أشعيا ٤٦:٩):

«اُذْكُرُوا الأَوَّلِيَّاتِ مُنْذُ الْقَدِيمِ، **لأَنِّي أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرُ. الإله وَلَيْسَ مِثْلِي**».

فلو كان المسيح ابن الله أو هو الله لقال الله في النص السابق: (إن المسيح هو الله وهناك **إله** آخر وهو يسوع)، لأن الله واضح في كلامه، فهو يريد الخير والإرشاد والهداية للناس كلهم، ولكن هذا لم يكن، فعُلِم أن الحق هو ما تقرر من أن الله واحد بذاته، والمسيح واحد بذاته، لم يحل أحدهما في الآخر.

***

١١. الدليل الحادي عشر على بطلان عقيدة التثليث – والتي تعتمد أصلا على عقيدة (أن المسيح رب) — أن هذه العقيدة لا تُعرف في أي دين سماوي سابق ولا لاحق، فهذه العقيدة لم يعرفها أنبياء الله السابقين الذين يَعترف بهم اليهود والنصارى[١] (المسيحيون)، مثل النبي نوح وإبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، بل ولم يعرفها ولم يذكرها أنبياء بني إسرائيل التي وصلت إليهم أخبارهم كيعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان عليهم السلام.

نعم، ليس في أسفار العهد القديم الذي يؤمن به المسيحيون – والذي ساق أخبار هؤلاء الأنبياء ودعوتهم – أن هؤلاء الأنبياء دعوا إلى عبادة إله مُثلَّث الأقانيم، أو تلفظوا بلفظ التثليث وما شابه ذلك، بل الذي ورد عنهم هو أنهم دعوا بدعوة كل الرسل من نوح إلى محمد (صلى الله عليه وسلم)[٢]، حيث دعوا إلى عبادة إله واحد لا شريك له، وهذا مُدَوَّن في أسفار العهد القديم عند اليهود والمسيحيون.

ومن ذلك:

- قول الله لإبراهيم عليه السلام كما في العهد القديم سفر التكوين (١٧/ ٧): «وأُقيمُ عهدي بيني وبينك وبين نَسلِك من بعدك في أجيالهم، عهداً أبدياً، لأكون **إلها لك** ولِـنَسلِك من بعد».

---

[١] النصارى هم المعروفون الآن بالمسيحيين، وهم أتباع عيسى ابن مريم، ووجه تسميتهم بهذه التسمية «نصارى» هو تناصرهم فيما بينهم.
وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك تبعا للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿من أنصاري إلى الله قال الـحواريون نحن أنصار الله﴾.
وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها «ناصرة» بفلسطين، وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك لأن عيسى خرج منها.
وعلى كل حال فكلمة «نصارى» أصلها من النصرة، وهي صفة مدح وثناء.

[٢] معنى الصلاة على النبي محمد هو ثناء الله عليه في الملإ الأعلى وهم الملائكة، وهذا فيه زيادة تشريف وثناء عليه، وهو يستحق ذلك، لأن الله هدى الناس به إلى الدين الصحيح.
ومعنى (وسلَّم) هذا دعاء أيضا أن يُسَلِّمه الله من الآفات، مثل الطعن فيه أو في زوجاته ونحو ذلك.
فيكون المعنى الإجمالي لجملة (صلى الله عليه وسلم) أي: اللهم اثنِ على نبيك محمد عند ملائكتك، وسَلِّمه من الآفات.
وهذه الجملة جملة توقير واحترام، ويجب على المسلم أن يقولها كلما مر بذكر النبي محمد، فلا يليق بالمسلم أن يمر عليه اسم النبي محمد فلا يدعو له، وكأنه يتكلم عن إنسان عادي.
كما يستحب قول (عليه السلام) عند ذكر باقي الأنبياء، تشريفا لهم وتكريما.

- قول الله لموسى عليه السلام في طور سيناء في كلامه له كما هو في العهد القديم الذي يؤمن به المسيحيون في سفر الخروج (٣/ ١٥): «وقال الله أيضاً لموسى: هكذا تقول لبني إسرائيل: يهوه **إله آبائكم**، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، أرسلني إليكم».

- وفي نفس السفر (٤/ ٥) قول الله لموسى: «لكي يصدقوا أنه قد ظهر لك الرب **إله آبائهم**، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب».

- وهذا الخطاب لموسى جاء مثله في إنجيل لوقا (٢٠/ ٣٧).

- وجاء في العهد القديم في سفر أشعيا (٤٤/ ٦): «هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه، رب الجنود: أنا الأول وأنا الآخِر ولا **إله غيري**».

- وهذا حزقيا أحد أنبيائهم يخاطب الرب: «أنت هو **الإله وحدك**، لكل ممالك الأرض. أنت صنعت السماوات والأرض». سفر أشعيا (٣٧/ ١٦).

- كذلك فلم يعترف الدين الذي جاء بعد دين المسيح — وهو دين واحد وهو دين الإسلام — بهذه العقيدة، أي عقيدة التثليث، بل أنكرها، كما قال الله تعالى في القرآن ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من **إله إلا إله واحد** وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسَّنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم * أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم * ما الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطعام انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُون﴾.

وهذا القرآن، دستور دين الإسلام، وكلام الله المحفوظ إلى يوم القيامة، يبين أن عقيدة التثليث باطلة، وأن عقيدة أن المسيح هو الله باطلة، ويبين أيضا أن عقيدة أن المسيح ابن الله باطلة، وأن المسيح كان عبدا لله، وكان يأمر قومه بعبادة الله، قال الله تعالى في القرآن ﴿لقد كَفَرَ الَّذِينَ **قَالُوا إِنَّ الله ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ** وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾.

وقال تعالى ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا **إِنَّ الله هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ الله شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَالله عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾.

وقال تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا **إِنَّ الله هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ **اعْبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ** إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَار﴾.

قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى الله إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِالله وَرُسُلِهِ ولا **تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا الله إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ** لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِالله وَكِيلًا﴾.

فقوله ﴿سبحانه أن يكون له ولد﴾، أي أن الله مُنَزَّهٌ عن أن يكون له ولد، لأن اتخاذ الولد صفة نقص وليست صفة كمال، لأن اتخاذ الأولاد يدل على احتياج الرب إلى الناس وهذا باطل، لأن الله غني عن العالمين.

فالحاصل أن القول بالتثليث يلزم منه أن جميع الأنبياء والرسل ضلوا عن معرفة إلٰهِهِم ومعبودِهم وخالقِهم، واهتدى إليه القساوسة الذين وضعوا عقيدة التثليث بعد رفع المسيح بعدة قرون في القرن الرابع الميلادي في عقيدة إيمانهم التي اتفقوا عليها في مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م، وهذا قولٌ واضح البطلان.

***

الفصل الثاني: الأدلة العقلية على بطلان مقولة إن المسيح رب، وعدد هذه الحجج ستة عشر

١٢. ومن دلائل بطلان مقولة إن المسيح ربٌّ أنه لا يمكن لجسم بشري أن يحتوي ذات الله، لأن الله كبيرٌ، أكبر من كل شيء، وعالٍ فوق سماواته، فوق كل شيء، ولا شيء فوقه، والبشر على العكس من ذلك تماما، فبناء عليه فمقولة إن المسيح هو الرب بناء على عقيدة أن الرب تجسد في المسيح مقولة باطلة وكذبٌ على الله، وتعتبر تقليل من قدر الله، والقول بها كفر بالله العظيم.

والواجب هو تعظيم الله وتنزيهه عن الامتزاج بخلقه، لأن الله غني عن العالمين، ولأن تنقص الله كفرٌ، وموجب للخلود في النار.

تنبيه

يستدل القساوسة على عقيدة التجسد (حلول الله في المسيح) بما قاله بولس في رسالته الأولى لتيموثاوس (١٦/٣): «عظيم هو سر التقوى. **الله ظهر في الجسد**، تَـبرَّر في الروح».

وما تعلق به المسيحيون من كلام بولس يعتبر خطأ عظيما، إذ لو كان بولس مُحِقًّا لكان عليه أن يبين مستنده لما قاله **من كلام المسيح نفسه**، وليس من كلامه هو، وإلا يعتبر مدَّعيا ما ليس له به علم، وكاذبا في نفس الوقت، وهذه هي حقيقة ذلك الرجل الذي أضل المسيحيين عن دين المسيح، والذي تنسب إليه جميع التحريفات التي عليها النصارى.[١]

وسيأتي الكلام بالتعريف ببولس، وبيان تحريفه المدمر لدين المسيح.

***

١٣. ثم كيف يكون اليسوع ربا وقد تبين أن هناك بشرا خُـلِـقوا وتواجدوا قبله؟

من المفروض أن يكون الرب موجودا قبل وجود الناس ثم يخلقهم، وليس العكس، وإلا فكيف سيخلقهم وهو لم يوجد أصلا !؟

هذا القول مناقض للعقل، لأنه لا يُتصور أن الكون موجود قبل وجود من خلَقه، ويسير بلا رب يُدبره، ثم جاء الرب بعد ذلك، هذا قول مناقض للعقل أشد التناقض.

إن القول الصحيح أن الله موجود دائما، ليس له بداية، والمسيح بشرٌ، خلقه الله لما أراد خلقه، وأن الله له ذات، والمسيح له ذات أخرى.

***

١٤. كيف لنا أن نصدق أن اليسوع رب فعلا مع أنه كان متواجدا ومولودا في حقبة زمنية معينة ولم يكن موجودا في حقبة أخرى؟

[١] بتصرف من «موسوعة الأديان»، الباب الثالث: النصرانية وما تفرع عنها، الفصل السابع: عقيدة النصارى، المبحث الثالث: الاتحاد (التجسد). الناشر: الدرر السنية. (www.dorar.net/enc/adyan/477).

***

١٥. كيف يكون اليسوع ربا وهو لا يعرف الناس الذين عاشوا قبل ولادته؟

***

١٦. ولماذا لم يوجده الله – إن كان المسيح فعلا ابنه – قبل خلق الناس؟

لماذا جعله متأخرا مع كونه ربهم — بحسب زعم من قال ذلك –؟!

***

١٧. إذا كان المسيح هو ابن الله فعلا، فلماذا يتعلق به جمهور المسيحيين أكثر من تعلقهم بالله نفسه، ويدعونه ويرجونه ويعظمونه أكثر مما يعظمون الله نفسه؟

إن التصرف الطبيعي هو أن يكون التعلق بالله أكثر، لأنه هو أبو المسيح في اعتقادهم، وهو الذي خلقه.

على ماذا يدل هذا التناقض؟

***

١٨. ثم كيف يصح أن يقال إن الله اتخذ ابنا **واحدا**؟ لماذا لم يتخذ عدة أبناء كما هي عادة الملوك والأغنياء والعظماء؟

إن التَّكـثُّـر من الأبناء من صفات الأغنياء، والله هو أغنى الأغنياء، فلماذا لم يتكثر الله من الأبناء لو كانت صفة اتخاذ الابن صفة حقيقية له؟! تعالى الله عن ذلك.

***

١٩. لو كان المسيح ربا وإلها حقا فلماذا لم يدْفع الموت عن نفسه (على افتراض أنه مات فعلا على الصليب – وهذا لم يحدث)؟

لا يمكن أن يكون المسيح ربا ثم يقتله البشر (مجموعة من اليهود) لسببين:

الأول: أن الرب لا يعتريه الموت، لأن الموت صفة نقص، والرب متصف بصفات الكمال، والله حي لا يموت.

والثاني: أن الرب أقوى من خلقه، فلا يمكن أن تقوى وتنتصر مجموعة من البشر (اليهود) على قتل الرب وإهانته والبصق عليه ووضع الشوك على رأسه وصلبه ودفنه في الأرض!

هذه المقولة (مقولة إن المسيح مات مصلوبا) تناقض مقولة إن المسيح ربٌّ من كل وجه.[١]

ويقال أيضا: لو كان المسيح ربا وإلها حقا فلماذا لم يدفع الموت عن أمه مريم؟

***

[١] انظر لبيان خرافة هذه العقيدة كتاب: «أربعون دليلا على بطلان عقيدة توارث الخطيئة وصلب المسيح»، تأليف: ماجد بن سليمان الرسي، وهو منشور في شبكة المعلومات بهذا العنوان.

٢٠. ثم إن مقولة إن المسيح هو الله تتناقض مع مقولة إن المسيح مات لما صُلِب، لأن المسيح إذا كان هو الله ثم مات فلا بد أن يموت الأب أيضا لأنه المسيح هو الله نفسه بزعمهم!

***

٢١. ثم إن مقولة إن (الله هو المسيح) تتناقض مع مقولة (المسيح ابن الله)، فكيف يكون الولد هو الوالد في نفس الوقت؟!

***

٢٢. ثم إن الجميع يعلم أن الله لم يولد، بينما المسيح ولدته أمه، فدل هذا على أنهما ذاتان مختلفتان تماما، **غير ممتزجتين في إله واحد**، فجعْلُهُما ذاتًا واحدة من أعظم المعاندة للعقل الصريح.

***

٢٣. ثم إن الله ليس له بداية، بينما المسيح له بداية، ولو كانا ذاتا واحدة لكان هذا الامتزاج قبل وجود المسيح، وبناء على هذا فالمسيح ليس هو الله.

***

٢٤. كذلك فلو كان المسيح ربا فعلا لما اختلف جمهور النصارى (المسيحيون) عليه، **فقالت طائفة إنه هو الله، وقالت طائفة أخرى إنه ابن الله، وطائفة ثالثة** قالت إنه ثالث ثلاثة، بل لكان القول فيه واحدا لا يختلف ولا يضطرب، فحُصول الاضطراب بين هذه الأقوال يدل على سقوطها كلها، وأن الحق في وادٍ وهذه الأقوال في وادٍ آخر.

***

٢٥. من المعلوم أن الله رحيم بالبشر، ليس له مصلحة في تعقيد الأمور وإثارة الفوضى العقلية في مجتمع بني إسرائيل، وقد جاء في (رسالة كورنثوس الأولى: ١-٣٣): «**الله ليس إله تشويش بل إله سلام**».

إذا تقرر هذا فلا بد أن الذي جعل عقيدة المسيحيين معقدة **هم البشر وليس الله**، وهذا هو الواقع لما أدخل بولس في عقيدة المسيح الأصلية ما ليس منها، فحرَّفها بقوله إن المسيح ابن الله.

ولو أنك أمسكت طفلا وطلبت منه أن يشرح لك عقيدة التثليث لما استطاع، في حين أن العقيدة المتعلقة بالله ينبغي أن تكون مفهومة لكل إنسان، سواء كان طفلا أو كهلا، أو أُمِّيًّا – لا يقرأ ولا يكتب – أو عالم في الذرة.

ولو أنك عرضت على هذا الطفل عقيدة الإسلام وقلت له: (إن الذي خلقك وخلق جميع ما في هذا الكون هو الله وحده، فاعبده ولا تعبد غيره، والله غني، لم يتخذ ابنا ولا زوجة) لفهم منك هذه العبارة في دقيقة، واقتنع بها، ولم يحتَج إلى أكثر من ذلك.

***

٢٦. التثليث غريب على دين المسيح عليه السلام، فلم ينطق المسيح بعبادة إله مثلث الأقانيم، ولم ترد لفظة التثليث والأقانيم في أيٍّ من الأناجيل الأربعة ولا في الرسائل الثلاثة والعشرين الملحقة بها، مع أن التثليث هو صُلب عقيدتهم.

وقد جاء في دائرة المعارف الأوروبية باللغة الفرنسية ما يؤكد هذا، فقد جاء فيها عن عقيدة التثليث: (أنها ليست موجودة في كتب العهد الجديد ولا في أعمال الآباء الرسوليين ولا عند تلاميذهم الأقربين، إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستانتي التقليدي يدَّعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان).

وجاء في دائرة المعارف لبطرس البستاني وهو مسيحي: (لفظة ثالوث لا توجد في الكتاب المقدس).

فالحاصل أن عقيدة التثليث لو كانت حقا لكثر ذكرها في الأناجيل والرسائل الملحقة بها، لأنها تعتبر صُلب وصميم عقيدة المسيح – بحسب اعتقاد جماهير المسيحيين –، ولكن الواقع خلاف ذلك تماما، فهذه اللفظة (التثليث، أو مثلث الأقانيم) **لم ترد فيها ولا مرة واحدة**، فعُلِم أن هذه العقيدة دخيلة على دين المسيح وليست أصيلة.

وهنا همسة في آذان القساوسة: إذا تبين لكم أن عقيدة التثليث باطلة، فلا تفرضوها على الناس بالإكراه، لأن هذا خلاف الأمانة العلمية، وضد الحريات الشخصية.

كذلك، فإنه من المعلوم أن الزيادة في الدين ممنوعة، لأن هذا اعتداء على خصوصية الرب (الله)، فالله هو الذي يُشَرِّع من عنده، والبشر ليس لهم الحق في أن يزيدوا أو ينقصوا في الدين، بل الواجب عليهم تطبيق الشرع كما هو، ولا يزيدون فيه ولا ينقصون ولا يُحرِّفون، وبهذا تحصل العبودية لله عَزَّ وجل، وإلا صار هذا المُحَرِّف مشاركا للرب في خصوصية التشريع.

***

٢٧. لو كان المسيح هو الله لأمر الناس بعبادته بكل وضوح، ولكن الواقع أنه نهى عن عبادته **بكل صراحة ووضوح**، فقد قال كما جاء عنه في (إنجيل متى ١٥– ٩) وكذلك في (مرقص ٧:٧):

«وباطلا يعبدونني، وهم يُعلِّمون تعاليم هي وصايا الناس».

يقصد بقوله (وباطلا يعبدونني) أن الناس سيعبدونه، وأن عبادتهم له باطلة، وأنها لن تنفعهم يوم القيامة، وعليه فسيأتي الإنسان يوم القيامة الذي عبَد المسيح عشرين سنة أو ثلاثين سنة أو خمسين سنة، ثم يجد أن عبادته باطلة غير مقبولة من عند الله، وأنه يستحق العقوبة لأنه ترك عبادة الله المستحق للعبادة وعبد غيره، بل وسيجد أن المسيح يتبرأ من عبادته له كما قال الله في القرآن:

﴿وَإِذْ قَالَ الله يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهين مِن دُونِ الله قَالَ سُبْحَانَكَ **مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ** إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوب * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ **أَنِ اعْبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ** وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم * قَالَ الله هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم * للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾[١].

تفسير الآيات الكريمات:

ذكر الله تعالى في هذه الآيات بعضا مما سيكون يوم القيامة، ومنها أنه سيَسأل المسيح، عيسى ابن مريم (وهو أعلم بالإجابة): ءأنت قلت للناس اجعلوني وأمي معبودَين من دون الله؟

[١] سورة المائدة: ١١٦ – ١٢٠.

فعندها سيجيب المسيح منزِّهًا الله تعالى عن ذلك: ما ينبغي لي أن أقول للناس غير الحق، إن كنتُ قلتُ هذا فقد علمتَه يا الله، لأنه لا يخفى عليك شيء، تعلمُ ما تُضمره نفسي، ولا أعلم أنا ما في نفسك، إنك أنت عالمٌ بكل شيء مما ظهر أو خَفي.

ثم سيقول المسيح عليه السلام: يا ربِّ ما قلتُ لهم إلا ما أوحيته إليَّ وأمرتني بتبليغه، من إفرادِك بالعبادة، وكنتُ أنا شاهدًا عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم لَمَّا كنت بينهم، فلما توفيتني إليك، أي قبضتني واسترجعتني إليك برفعي إلى السماء، كنت أنت المطَّلِع على سرائرهم، وأنت على كل شيء شهيد، لا تخفى عليك خافية في الأرض ولا في السماء.

إن تعذبهم يا الله فإنهم عبادك، وأنت أعلم بأحوالهم، تفعل بهم ما تشاء بعدلِك، أو تغفر لهم برحمتك، فإنك أنت العزيز الذي لا يُغالَبُ، الحكيم في تدبيره وأمره.

وهذه الآية فيها ثناء على الله تعالى بصفة الحكمة والعدل وكمال العلم.

عند ذلك سيقول الله للمسيح عليه السلام: هذا يوم الجزاء الذي ينفع المُوَحِّدين[1] توحيدهم ربهم، وانقيادهم لشرعه، وصدقُهم في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم، لهم جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، ماكثين فيها أبدًا، رضي الله عنهم فقبل حسناتهم، ورضوا عنه بما أعطاهم من جزيل ثوابه. ذلك الجزاء والرضا منه عليهم هو الفوز العظيم.

وعند ذلك سيعلم الذي كان يعبد المسيح أنه كان مخدوعا، خدعه الشيطان، وخدعه بشرٌ مثله كانوا يمنعونه من سماع القرآن أو مجرد الاحتكاك بالمسلمين لسماع الحق، فذهب عمله هباء منثورا، وسيندم حين لا ينفع الندم.

فالحاصل أن المسيح لا يرضى بعبادته، بل يأمر الناس بعبادة الله وحده وعدم الإشراك به.

وقول المسيح كما في النص السابق (وهم يُعلِّمون تعاليم هي من وصايا الناس) يقصد بهذا ما سيحصل في المستقبل من عبادة الناس له بناء على تعاليم من عند البشر (الناس) وليست من عند الله، وقد حصل هذا بالفعل —كما سنبين لاحقا بالتفصيل – ، وذلك لما انعقد مؤتمر نيقية عام ٣٢٥م، واتفقوا على عقيدة تأليه المسيح، وبعده انعقد مؤتمر القسطنطينية عام ٣٨١م واتفقوا على عقيدة التثليث، فقرر القساوسة الذي هم من جملة (الناس) وصايا لا تمت إلى تعاليم المسيح بصلة، بل هي من عند أنفسهم، ودعمَهم في فرضِها قسطنطين، أحد أباطرة الرومان[2] في ذاك الزمان، وفرضَها على الناس بالحديد والنار، فتبعهم الناس بدافع الخوف أو التقليد، بدون تمحيص أو مناقشة، بل المناقشة العقلية ممنوعة إلى يومنا هذا، وستظل ممنوعة، لأنها عقيدة خرافية هشة، لا تصمد للمناقشة العلمية والمواجهة، وهذا لا يرضاه القساوسة، لأن سقوط عقيدتهم في عيون الناس سبب لسقوط هيمنتهم على الناس (الرعية).

****

[1] مُوَحِّدين جمع مُوَحِّد، وهو الرجل يعتقد أن الله واحدٌ في ذاته، وأنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، وضده المُشرك، يعبد مع الله غيره.

[2] سيأتي التعريف بالرومان وعقائدهم في الملحق الثاني من ملاحق هذا الكتاب: «نبذة عن عقائد الرومان».

وهنا قد يأتي سائل مثقف، أو سائلة مثقفة، فيسألان سؤالا منطقيا فيقولان:

إذا كانت المصادر الإنجيلية المعاصرة تقرر أن المسيح بشر رسول، وأنه عبدٌ لله وليس هو الله ولا ابن الله، فما هو سبب مخالفة المسيحيين لهذا الاعتقاد؟

ومن أين أتى هذا الانحراف في عقيدة المسيح إلى ما نحن عليه من التثليث وغيره؟

ولماذا يُعلِّمنا القساوسة أن المسيح رب وابن الرب وثالث ثلاثة، وإنه إلٰه وابن الإلٰه، وإن الله تجسد في المسيح وحلَّ فيه؟

ما هو عمدتهم في هذه الأقوال والعقائد البعيدة كل البعد عما هو مذكور في العهد القديم والجديد من النصوص التي تقرر خلاف ما يقررونه في الكنائس، إضافة إلى أنهم يمنعون المثقفين والمثقفات من مجرد السؤال عنها فضلا عن الاعتراض؟!

ما هو سِرُّ المسألة؟

فالجواب: إن التاريخ يثبت أن رسالة المسيح تعرضت إلى حملة تشويه شرسة في القرون الستة الأولى بعد رفعه، أدت إلى تغير رسالته تغيرا جذريا، وتحولها إلى دين وثني، لا يمت لتعاليم المسيح بصلة، ولا لعبادة الله بصلة، وهذا أوان الشروع في تبيين مراحل التشويه هذه.

***

الفصل الثالث: الأدلة التاريخية على إثبات أن مقولة (إن المسيح رب) مقولة من اختراع البشر، وكذلك مقولة التثليث، وعدد هذه الحجج اثنتان، الأولى متعلقة بـمن يسمى «بولس الرسول»، والثانية متعلقة بالمجامع الكنائسية المدعومة من الحكومة الرومانية

٢٨. الحُـجَّة التاريخية الأولى على تحريف دين المسيح[١]

- **مقدمة**

إن التاريخ يبين أن عقيدة أن (المسيح ابن الله) لم تُعرف بين أتباع المسيح إلا بعد رفعه إلى السماء، والذي أدخلها رجل يهودي اسمه شاول، عُرِف لاحقا باسم بولس الرسول، (ويُلفظ أحيانا: بولص)، ابتدع هذه العقيدة وعقائد أخرى وأدخلها جميعا في المسيحية الأصلية الصحيحة، فصار النصارى (المسيحيون) لا يَـتَّـبِعون في الحقيقة دين المسيح اليسوع الذي جاء به من عند الله، بل يتبعون الدين المحرف الذي ابتدعه بولس.

وبولس في الأصل رجل يهودي كما أسلفنا، ظهر على مسرح الأحداث بعد رفع المسيح بحوالي ثلاث إلى خمس سنوات، فانقلب فجأة ودون مقدمات من عَدُوٍّ مجرم ومتطرف في عداوته ضد يسوع ورسالته وأتباعه، إلى رسول موحى إليه مِن قِبَلِ الله ومن قِبَل يسوع أيضا، فادّعى خمسة أمور:

الأول: ادَّعى أنه رسول مُـعَـيَّـن من قِبل يسوع.

الثاني: ادَّعى أن اليسوع أَوحى إليه إنجيلاً.

الثالث: ادَّعى أن المسيح ابن الله.

الرابع: ادَّعى أن خطيئة أبينا آدم وأمنا حواء لم تُغفر، وأن البشرية توارثتها عبر القرون، وهي المعروفة بـ «الخطيئة» أو «المعصية الأولى».

الخامس: ادَّعى بولس أن يسوع أرسله الله فنزل إلى الأرض ليُصلب ويتعذب فداء للبشرية من خطيئة أبَويهم آدم وحواء.

- **هدف بولس النهائي هو الوصول إلى هدفين:**

الأول: هدم دين المسيح من الداخل، بتحريفه وتشويهه وتحويله إلى دين آخر مختلف تماما في جوهرِهِ عن دين المسيح.

الثاني: استمالة الوثنيين الرومان إلى الدين الجديد الذي صمَّمه لهم، بأن جعَله متوافقا مع مبادئهم الوثنية.

ولكي يحقق بولس هدفه بسهولة ويتجنب المواجهة مع أتباع المسيح، دخل بولس في دين المسيح (في الظاهر)، وكان ذلك منه نفاقا وخداعا لأتباع المسيح الحقيقيين، بأن كان يُظهر اتِّـباعَ المسيح وحبَّه في الظاهر، وفي الباطن كان يخفي الكفر به وبدعوته، وبعبارة أخرى فقد كان بولس منافقًا، جعل نفاقه ستارا يتستر به، ونقطة بداية ينطلق منها إلى عملية تخريب واسعة النطاق في رسالة ودين يسوع المسيح.

---

[١] للأمانة العلمية فقد استفدت جُل المعلومات المذكورة في هذه النقطة والتي تليها من كتاب: «تاريخ النصرانية — مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، المبحث الثالث، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع.

ومن الإيجاز ننتقل إلى التفصيل لفهم دور بولس في تحريف رسالة المسيح، وبيان ذلك يتضح في ستة نقاط نَسرِدها على سبيل الإيجاز ثم نتكلم على كل واحدة بالتفصيل:

- **النقطة الأولى: إثبات عداوة بولس للمسيح وأتباعه.**

- **النقطة الثانية: بولس يدَّعي أنه رسول مُعَيَّن من عند المسيح، وينقلب انقلابا مفاجئا من عدو شرس للمسيح ودعوته إلى نبي موحى إليه من المسيح نفسه!**

- **النقطة الثالثة: دعوى بولس أن المسيح ابن الرب، (تعالى الله عن أن يتخذ ولدا).**

- **النقطة الرابعة: دعوى بولس أن المسيح هو الرب، (تعالى الله عن ذلك).**

- **النقطة الخامسة: دعوى بولس أن خطيئة أبيهم آدم باقية، وأن البشر توارثوها، وأن الله أرسل ابنه المسيح (فاديا) لِـيُـخلصهم من خطيئة أبيهم آدم، بأن يموت مقتولا مصلوبا، وبذلك يرضى الرب وتَتِم المصالحة بينه وبين البشر.**

- **النقطة السادسة: إثبات كذِب بولس في دعواه أن المسيح أرسله وغيرها من الدعاوى.**

***

التفصيل

- **النقطة الأولى: إثبات عداوة بولس للمسيح وأتباعه**

مقدمة: كان الناس في فلسطين ينظرون للمسيح ابن مريم قبل أن يبدأ في دعوته على أنه إنسان مثلهم، ولما بدأ دعوته لقومه اليهود انقسموا إلى قسمين:

الأول: قومٌ صدقوه وآمنوا برسالته واتبعوه، وأنه نبي بشر مرسل من الله سبحانه وتعالى إليهم.

والقسم الثاني: قومٌ كذبوه ولم يؤمنوا به، واتهموه بأنه مدَّعٍ للنبوة.

وقد حاول أعداء المسيح من اليهود توريط المسيح مع السلطات الرومانية الحاكمة لفلسطين آنذاك، لعلهم يصطادونه بكلمة يقولها ضد تلك السلطات.

وهنا قد يسأل سائل فيقول: لماذا يكره اليهود المسيح؟

فالجواب: إن دعوة المسيح وتعاليمه السمحة تتناقض مع طبائع اليهود المادية الشرهة، وقلوبهم القاسية المتكبرة المتحجرة، فلما جاءهم اتهموه بأنه مدَّعٍ للنبوة، وكفروا بالآيات الدالة على نبوته، وقالوا إنها تتم بمساعدة الشياطين.

وبعد رفع المسيح إلى السماء بسنوات قليلة جاء بولس اليهودي، المتطبع بطبائع اليهود من رأسه إلى أخمص قدَميه، فادَّعى أن المسيح إله وأنه ابن الله، فتبعه من تبعه على هذا الاعتقاد، فنشأ **القسمُ الثالث** الذي يضاف إلى القسمين الآنف ذكرهما.

- **سرد النصوص المُثبتة لعداوة بولس للمسيح ودينه وأتباعه**
- جاء عنه في «أعمال الرسل» «٨/٣»:

«وأما شاول فكان **يسطو على الكنيسة**، وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء **ويسلمهم إلى السجن**».

- وقال في «رسالته إلى أهل غلاطية» (١/١٣):

«فإنكم سمعتم بسيرتي قبلا في الديانة اليهودية، أني كنت **أضطهد كنيسة الله بإفراط وأُتلِفها**».

- وجاء عنه في «أعمال الرسل» (٢٦/٩-١١) أنه قال للملِك أغريباس:

«فأنا ارتأيت في نفسي أنه ينبغي أن أصنع أمورا كثيرة **مضادة لاسم يسوع الناصري**.

وفعلت ذلك أيضا في أورشليم، **فحبستُ في سجون كثيرين من القديسين**، آخذا السلطان من قِبَل رؤساء الكهنة[1]. ولما كانوا يُقتلون ألقيت قرعة بذلك.

وفي كل المجامع كنت **أعاقبهم مرارا كثيرة**، وأضطرهم إلى التجديف[2]. وإذ أَفرَط حَنَقي عليهم كنت **أطردهم إلى المدن التي في الخارج**».

- جاء عن بولس في بداية الإصحاح التاسع من «أعمال الرسل»:

«أما شاول فكان لم يزل **ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب**، فتقدم إلى رئيس الكهنة.

وطلب منه رسائل إلى دمشق، إلى الجماعات، حتى إذا وجد أناسا من الطريق، رجالا أو نساء، **يسوقهم موثقين إلى أورشليم**.

وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتةً أبرق حوله نور من السماء.

فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له: شاول، شاول لماذا تضطهدني.

فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: **أنا يسوع الذي أنت تضطهده**. صعب عليك أن ترفس مناخس.

فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب، ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل».

- **النقطة الثانية: بولس يكذب على الناس، ويدَّعي أنه رسول مُعَيَّن من عند المسيح نفسه، وينقلب انقلابا مفاجئا من عدو شرس للمسيح ودعوته إلى نبي موحى إليه من المسيح نفسه!**

---

[1] أي أنه كان يستمد سلطته في التقتيل من رؤساء الكهنة اليهود.

[2] التجديف هو الكذب والبهتان وقول الكفر.

جاء عنه في «أعمال الرسل» (٢٦/١٢-١٨) أنه قال للملِك أغريباس:

«ولما كنت ذاهبا في ذلك إلى دمشق بسلطانٍ ووصيةٍ من رؤساء الكهنة.

رأيت في نصف النهار في الطريق، أيها الملِك، نورا من السماء أفضلُ من لمعان الشمس، قد أبرق حولي وحول الذاهبين معي.

فلما سقطنا جميعنا على الأرض سمعت صوتا يكلمني ويقول باللغة العبرانية: شاول[1]، شاول، لماذا تضطهدني؟ صعُب عليك أن ترفس مناخس.

فقلت أنا: من أنت يا سيد؟ فقال: **أنا يسوع الذي أنت تضطهده**.

ولكن قم وقف على رجليك لأني لهذا ظهرتُ لك، **لأنتخبك خادما وشاهدا بما رأيتُ وبما سأُظهِر لك به**.

منقذا إياك من الشعب ومن الأمم الذين **أنا الآن أرسلك إليهم**.

لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيبا مع المقدسين».

انتهى كلامه.

التعليق:

ما هو مكتوب في هذا النص (**أنا الآن أرسلك إليهم**) ليس إلا دعوى ادَّعاها بولس لنفسه، ليس عليها إثبات، وكل إنسان بمقدوره أن يدَّعيها، وسيتبين كذبه فيما قال قريبا.

وقال بولس في رسالته إلى أهل غلاطية (١/١، ١١-١٢):

«بولس، **رسول** لا من الناس ولا بإنسان، **بل بيسوع المسيح والله الآب** الذي أقامه من الأموات.

وأُعَرِّفكم أيها الإخوة **الإنجيل الذي بُـشِّـرتُ به**، أنه ليس بحسب إنسان.

لأني لم أَقْبَله من عند إنسان ولا عِلمته. بل **بإعلان يسوع المسيح**».

وقال كما في «أعمال الرسل» (٢٢/٢١) أن الله قال له: «اذهب، فإني **سأرسلك إلى الأمم بعيدا**».

وقال بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس (١:١):

«بولس، **رسول يسوع المسيح**، بحسب أمر الله مخلصنا، وربنا يسوع المسيح، رجائنا».

- **النتيجة**

[1] «شاول» هو اسم «بولس» الأصلي، وقد تسمى بعد ذلك باسم «بولس».

كانت نتيجة دعوى بولس أنه رسول من عند المسيح وأن المسيح أوحى إليه إنجيلا أنه استحوذ على كل صلاحيات المسيح، وحلَّ محله في نظر الناس، كما أنه سَحب البساط من تحت تلاميذ المسيح الحقيقيين الذين تلقوا عن المسيح، لأنه صار في منزلة أعلى منهم، إذ ادَّعى أنه رسول، وبطبيعة الحال فإنه حلَّ محل المسيح في نظرهم، وصار عنده سلطات تشريعية وتنفيذية كاملة ليضع ما شاء من العقائد، ويمحو ما شاء كما يحلو له، والناس صدقته في كذبه، تعالى الله عن إفك هذا الأفَّـاك عُلُـوًّا كبيرا.

وحجم دعوى بولس أن المسيح أوحى له إنجيلا يتضح من حجم رسائله الملحقة بالأناجيل الأربعة، والتي اتخذها المسيحيون دينا، فإن عدد الرسائل الملحقة بالأناجيل ثلاثا وعشرين، يوجد منها أربعة عشر رسالة منسوبة إليه، أي أن ما يعادل ٦١% من تلك الرسائل هي من وضع بولس!

- **تعليق على ما تقدم من النصوص التي تقرر انتقال بولس المفاجئ من العداوة للمسيح ودينه وأتباعه إلى رسول موحى إليه من قِبَلِ المسيح**

قال الشيخ متولي يوسف شلبي عن بولس: «وهنا يجد القارئ فجوة، وذلك أن بولس انتقل فجأة من عدوٍّ إلى نبي، ومن مُبغِضٍ إلى مُصَدِّر لما أبغضه.

فهل الله يختار أنبياءه من الأشرار أو الخصوم لدينه؟

وهل يمكن– من الناحية النفسية – أن ينتقل رجل من حالة عداوة شيء إلى حالة الإيمان به **طفرة واحدة**، فضلا عن أن يكون أحد أعمدة وأسس العقيدة التي كان يكفر بها ويقتل أصحابها ويزرع الفزع في قلوب معتنقيها؟»[١]

أترك الجواب للقارئ الكريم والقارئة الكريمة.

وقال الشيخ محمد أبو زهرة – رحمه الله – مستشهدا بما تقدم:

«إن ذلك الرجل الذي كاد للمسيحية هذا الكيد، وآذى أهلها ذلك الإيذاء، قد انتقل من الجبت[٢] والطاغوت[٣] إلى المسيحية فجأة من غير مقدمات تقدمت ذلك الانتقال، ولا تمهيدات مُهِّدت له».[٤]

- **النقطة الثالثة: دعوى بولس أن المسيح ابن الله، (تعالى الله عن أن يتخذ ولدا)**

جاء في أعمال الرسل (٩/٢٠–٢١) عن بولس: «وللوقت جعل يُكـرِّز في المجامع بالمسيح: أن هذا هو **ابن الله**.

فبُهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا: أليس هذا هو الذي أهلك في أورشليم الذين يَدْعُون بهذا الاسم؟ وقد جاء إلى هنا لهذا ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة؟!»

---

[١] «أضواء على المسيحية»، ص ٨٦.

[٢] الجبت هو القانون الذي يعتمد عليه الطاغوت في حربه على الله ودينه.

[٣] الطاغوت هو القوة الحاكمة المحاربة لله ولدينه.

[٤] «محاضرات في النصرانية»، ص ٧١.

- **النقطة الرابعة: دعوى بولس أن المسيح هو الرب، (تعالى الله عن ذلك)**

جاء في كلام بولس أن المسيح هو الرب، قال في رسالته إلى أهل رومية (١٠/٩):

«وليس ذلك فقط، بل نفتخر أيضا بالله، **بربنا يسوع المسيح**، الذي نِلنا به الآن المصالحة».

وقال في (٥/١١) من الرسالة نفسها:

«لأنك إن اعترفت بفمك **بالرب يسوع**، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، **خلَصتَ».**

فماذا كانت النتيجة من تقرير بولس لهاتين العقيدتين بين بني إسرائيل؟

الجواب: بناء على هاتين العقيدتين اللَّـتين بثَّـهما بولس في بني إسرائيل (عقيدة أن المسيح هو الرب وابن الرب) فقد صار عند المسيحيين إلٰهان اثنان؛ الآب والابن، فصاروا يتوجهون إلى المسيح بالدعاء، ويعبدونه، بعد أن كانوا يعبدون الله وحده، **وبهذا التحريف دخل الشرك بثوب جديد في أتباع المسيح بغطاء ديني**، وسار هذا بينهم **بشكل غير رسمي وغير مُـلزِم**، واستمر الوضع هكذا بين مؤيد ومعارض، حتى تم فرض وتثبيت عقيدة تأليه المسيح وبُنُوَّتِهِ لله بعد ثلاثة قرون في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، أي بعد رفع المسيح بحوالي ٣٠٠ سنة، فصار الشخص المسيحي عندما يقول: الله، الرب، أو: يا إلٰهي، فإنه يعني المسيح عيسى ابن مريم.

- **النقطة الخامسة: دعوى بولس أن خطيئة أبيهم آدم باقية، وأن البشر توارثوها، وأن الله أرسل ابنه المسيح (فاديا) لِـيُـخلصهم من خطيئة أبيهم آدم، بأن يموت مقتولا مصلوبا، وبذلك يرضى الرب وتَتِم المصالحة بينه وبين البشر**

مقدمة

لم يكتفِ اليهودي بولس بما تقدم من تحريف في رسالة المسيح عيسى ابن مريم الصافية، والمتمثلة بدعوى أن المسيح ابن الله وأن المسيح أوحى إليه إنجيلا، بل أضاف عليها أمرا آخر، تطور فيما بعد حتى صار أحد المحاور والعقائد المهمة التي تدور عليها الديانة الجديدة التي اخترعها (بولس) وسميت فيما بعد باسم (المسيحية)، فقد اخترع بولس من مخالفة آدم وحواء لأمر ربهما وأكلِهما من الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها، اخترع من ذلك عقيدةً جديدة اشتُهرت باسم «الخطيئة» أو «المعصية الأولى»، حيث ادَّعى بولس أن تلك الخطيئة التي ارتكبها آدم كبيرة جدا، وأن الله لم يغفرها لآدم وحواء، وأنه لا يمكن لأي عدد من الحيوانات التي تُذبح كقرابين أن تُكَفِّر عنها، وأن البشر توارثوا هذه الخطيئة منذ عشرات القرون، قرنا بعد قرن، فلا يولد طفل إلا وهو حامل لهذا الذنب، وأن السبيل الوحيد لتكفير هذا الذنب هو أن الله أرسل ابنه الوحيد يسوع (عيسى) إلى الأرض بهيئة بشرية ليُقتَل على الصليب، ليكون هو الأضحية بحسب زعمه، ليُكَفِّر عن البشر تلك الخطيئة، فمن آمن بالمسيح أنه ابن الله وأن الله أرسله ليُكَـفِّر عن البشر ذلك الذنب فإن المسيح سيُخـلِّصه من هذا الذنب ومِن تبِعاته، ومن لم يؤمن فسيبقى مرهونا بذنبه وتكون عاقبته النار.

فراج هذا المبدأ على أجيال النصارى، ظانين أنهم فعلا توارثوا تلك الخطيئة، وأن طريق الخلاص من هذا الذنب لا يكون إلا باعتقاد أن اليسوع هو المُخَلِّص، وأن اليسوع لن يخلص أحدا حتى يعبده ويتوجه إليه بالدعاء، ويعتقد أنه ابن الله وأنه هو المُخَلِّص والفادي من تلك الخطيئة.

والمسيحيون يعتقدون ذلك فعلا بالرغم من أنهم لا ذنب لهم في هذا التوارث المزعوم، وبالرغم من أن آدم قد تاب أصلا من ذنبه فَغَفَرَ الله له وانتهى موضوع الخطيئة في حينه قبل قرون غابرة، **ولم يَعُد للذنب وجود!**

قال الباحث المتخصص الأستاذ عبد الوهاب بن صالح الشايع حفظه الله:

«بناء على ما عُرِف وشاع من قتلِ اليهود للمسيح على الصليب فقد جعل بولس من تلك الحادثة إحدى أهم العقائد في الديانة التي أخذ يُنشئها ويُشَكِّلها بتؤدة على أنقاض ديانة ورسالة المسيح عليه السلام، مرتكزا على العقيدتين السابقتين اللتين أنشأهما وهما: عقيدة الخطيئة أو المعصية الأولى، وعقيدة تأليه المسيح وبُنُوَّتِهِ لله.

حيث زعم بولس أن من صفات الله سبحانه وتعالى **العدل والرحمة**، فبمقتضى **عدله** كان عليه أن يعاقب البشرية كلها على تلك الخطيئة والمعصية الأولى التي توارثوها عن أبويهم آدم وحواء، وبمقتضى **رحمته** كان عليه أن يغفر للبشرية تلك الخطيئة. ولما كانت تلك الخطيئة أو المعصية كبيرة جدا ولا يمكن لأي أضحية من الأغنام أو الأبقار أو غيرها من الحيوانات مهما بلغ عددها أن تُكَفِّر عنها فلم تكن هناك وسيلة أو سبيل أمام الله (سبحانه وتعالى عما يقولون) لتكفير تلك الخطيئة عن البشرية والجمع بين عدله ورحمته ومصالحته مع البشرية إلا أن يرسل الله (تعالى عما يقولون) ابنه الوحيد يسوع — عيسى ابن مريم عليه السلام — الذي تجسد بهيئة بشرية ونزل إلى الأرض لكي يُهان ويعذب ويقتل على الصليب وهو راضٍ، ليكون هو الأضحية أو الفادي أو المخلص الذي يَفدي ويُخَلِّص كلَّ من يؤمن بأن يسوع هو ابن الله الوحيد، وأنه قُتِل على الصليب ليفديهم بنفسه من تلك الخطيئة، ويصالحهم مع أبيه الله — سبحانه وتعالى عما يصفون — الذي كان غضبانا عليهم.

وأنه بعد أن دُفِن لمدة ثلاثة أيام بلياليها قام من الموت وقام لتلاميذه وغيرهم، وبعد أربعين يوما رُفِع إلى السماء وجلس على يمين الله، وإنه سيعود للأرض مرة ثانية ليُحاسب الأحياء والأموات.

وهذا هو التكييف أو التعليل الذي اعتمد عليه بولس لتأليه المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وقدَّمه إلى الوثنيين الأوربيين وغيرهم من شعوب الإمبراطورية الرومانية لا كرسول من الله (سبحانه وتعالى) إلى بني إسرائيل، **وإنما كابن لله نزل إلى الأرض** لكي يُهان ويُقتل على الصليب لكي يفديهم بنفسه وينقذهم من غضب أبيه الإله لكي يغفر لهم خطية أبيهم آدم وأمهم حواء التي توارثوها منهما فيما عُرِف عندهم باسم الخطيئة أو المعصية الأولى.

وبهذه العقائد الوثنية ازدادت أعداد الوثنيين الأوربيين وغيرهم الداخلين إلى هذه الديانة الجديدة القريبة من أفهامهم ومعتقداتهم وما اعتادوا عليه، والتي ستعرف فيما بعد باسم (المسيحية)».[1]

انتهى كلامه حفظه الله.[1]

[1] ص ١٠٢ — ١٠٣ من كتاب: «تاريخ النصرانية — مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ».

مقتطفات من كلام بولس تثبت أن عقيدة الخطيئة الأولى وعقيدة الفداء إنما هما من كلامه وليست من تعاليم المسيح

رسالة بولس إلى أهل رومية (٣/٢٤ – ٢٥):

«مُـتبررين مجانا بنعمته **بالفداء** الذي بيسوع المسيح.

الذي **قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه**، لإظهار بره، من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله».

رسالة بولس إلى أهل رومية (٥/٨ – ١١):

«ولكن الله بَـيَّـنَ محبته لنا، لأنه ونحن بعد خَطاةٍ **مات المسيح لأجلنا**.

فبالأولى كثيرا ونحن مُتبررون الآن بدمه **نخلص به** من الغضب.

لأنه إن كنا ونحن أعداء **قد صولحنا مع الله بموت ابنه**، فبالأولى كثيرا ونحن مصالحون **نخلص بحياته**.

وليس ذلك فقط، بل نفتخر أيضا بالله، **بربنا يسوع المسيح**، الذي نلنا به الآن المصالحة».

رسالة بولس إلى أهل رومية (١٠/٩):

«لأنك إن اعترفت بفمك **بالرب يسوع**، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، **خلَصتَ**».

وقال كما في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥/٣–٤):

«فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضا: **أن المسيح مات من أجل خطايانا** حسب الكتب.

وأنه دُفِـن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب».

وقال كما في رسالته إلى أهل غلاطية (٤/٤ – ٥):

«ولكن لما جاء تمام الزمان، **أرسل الله ابنه** وقد وُلِد من امرأة **ليحرر بالفداء** أولئك الخاضعين للشريعة».

وقال أيضا **في رسالته إلى أهل غلاطية (٣/١٣):**

«المسيح افتدانا من **لعنة الناموس، إذ صار لعنةً لأجلنا**، لأنه مكتوب: ملعون كل من عُـلِّق على خشبة».

تعليق: تبين مما سبق من كلام بولس أنه هو واضع هذه العقيدة، عقيدة الخطيئة، وأنها ليست من عند الله، ولو أنها كانت مِن عند الله لقررها المسيح نفسه، لأنه رسول من عند الله، يبين للناس أمور دينهم.

فإذا تبين أنها عقيدة مخترعة من عند بولس فإنه يبطل بذلك ما بعدها، وهي عقيدة التحرر من الخطيئة، بكون المسيح كان فاديا ومخلصا للناس من تلك الخطيئة المزعومة.

كما تبطل بذلك عقيدة صلب المسيح التي جاء بها بولس، ويبقى الحق الذي قررته الأناجيل ثم القرآن بأن الله رفع المسيح إلى السماء دون أن يَمَسَّهُ أذى.[٢]

ثم تأمل أيها القارئ الكريم بُـغض بولس للتوراة، كيف أنه وصف الناموس (الذي هو التوراة) بأنه لعنةً.

وانظر أيضا إلى وصفه للمسيح بأنه لعنة، وذلك في قوله (صار لعنة لأجلنا)!

---

[١] ينظر كتاب «أربعون دليلا على بطلان عقيدة توارث الخطيئة وصلب المسيح»، تأليف: ماجد بن سليمان الرسي، وهو منشور في شبكة المعلومات بهذا العنوان.

[٢] سيأتي تقرير ذلك في ملحق: رفع المسيح دون أن يَمَسَّهُ أذى.

ثم بعد ذلك يقول هذا الخبيث مخادعا للناس أن المسيح أوحى إليه، وأنه نبي أرسله المسيح إلى الناس.

ثم انظر إلى المسيحيين كيف يُصدقونه ويُعَظِّمونه فيما ادَّعاه لنفسه بأنه رسول!

خلاصة مهمة في بيان دور بولس في تحريف دين المسيح

حَـوَّل بولس عقيدة الناس في المسيح من نبي مُرسل من الله برسالةٍ تابعة لشريعة موسى، وخاصةً إلى قومه بني إسرائيل فقط؛ حوَّل ذلك في نظرهم إلى أنه ابن لله، تجسد بهيئة بشرية، ونزل إلى الأرض.

ثم قدم بولس هذه الصورة إلى الوثنيين الرومان، من رعايا الإمبراطورية الرومانية الذين يؤمنون أصلا بتعدد الآلهة ونزولها إلى الأرض وحياتها بين الناس على هيئة بشرية، فتقبلوا ما قدمه لهم بولس، كآلهة إضافية نزلت من السماء، وعاشت بين الناس، ثم قُتلت على الصليب، فلم يكن عند الرومان تَحَفُّظ على ما طرحه بولس أبدا، لأن العقيدة التي طرحها قريبة من معتقداتهم وأفهامهم، ولا تحتاج إلى بذل جهد لإقناعهم في إضافتها إلى ما عندهم من عقائد.

وسيأتي في خاتمة هذا الكتاب ملحق لطيف فيه بيان لعقائد الرومان في ذلك الزمان، قبل دخولهم في الدين الذي قدمه بولس لهم، ليتضح للقارئ الكريم والقارئة الكريمة كيف استطاع بولس بكيده الخفي ضرب عصفورين بحجر واحد؛ إفساد دين المسيح من جهة، وإدخال الرومان في الدين الفاسد الذي كوَّنه من جهة أخرى.

ومِـمَّا مهَّد الطريق أمام بولس لإجراء هذا التحريف والتبديل أنه لم يكن أمام بولس من يردعُه، فالمسيح لم تكن له دولة تحميه وتنصر دينه، فقد كان الرومان الوثنيون هم السلطة القائمة، وتلاميذ المسيح أصابهم الذعر وتفرقوا بعد هجوم اليهود مؤيدين بالشرطة الرومانية على المكان الذي كان فيه المسيح، فانتهاء وجود السيد المسيح على الأرض فجأة وبهذا الأسلوب العنيف تسبب في وجود صدمة نفسية قوية على تلاميذ المسيح وأتباعه، الضعفاء ماديا ونفسيا وعلميا، الذين ليس بينهم تلميذ واحد له نفوذ ووجاهة بحيث يمكن اللجوء إليه، ثم هُم واجهوا اضطهادا بعد ذلك من اليهود، فصار هَمُّ أولئك التلاميذ هو نفوذ الواحد منهم بجلده من أن يحصل له تعذيب وملاحقة إن هو واصل نشر تعاليم المسيح بعد رفعه، فابتعد التلاميذ عن هذه الفكرة تماما، مما أدى إلى إضعاف نشر رسالته ودينه على المستوى العام، وتهيئ الفرصة لبولس للبدء في نشر بضاعته الفاسدة المتمثلة في تعاليم محرفة تحمل اسم المسيح من الخارج، وفي باطنها تخالف وتناقض تعاليم المسيح ودينه جملة وتفصيلا.

- **النقطة السادسة: إثبات كذِب بولس في دعواه أن المسيح أرسله وغيرها من الدعاوى يتضح في تسع نقاط:**

١. أن بولس **غير اسمه** من شاول إلى بولس الرسول، فلماذا هذا التغيير؟

٢. لو كان بولس **رسولا فعلا** لأكمل مسيرة المسيح العلمية كما هي، ولعلم الناس التوراة والإنجيل كما كان المسيح يفعل ولم يأتِ بشيء جديد، ولكن الواقع أنه أتى بشرائع جديدة وعقائد جديدة **تخالف** تعاليم المسيح، وهي (المعصية الأولى، الصلب، ألوهية المسيح، بُنُوَّة المسيح لله، دعواه أن المسيح أرسله، إلغاء النبوة عن المسيح).

فهذا يدل على أن بولس كاذب في دعواه أنه رسول من عند المسيح، لأنه نقض ما قرره المسيح جملة وتفصيلا، فكيف يكون رسولا من عنده، ثم يهدم وينقض ما جاء به؟!

ولكن الحق أن المسيح لم يُبَشِّر ببولس، وهذه الأناجيل الأربعة التي كتبها من جاء بعد المسيح شاهدة على ذلك، وقد ورد في إنجيل متى ثلاثة نصوص عن المسيح في التحذير من الذين سيدّعون النبوة بعده، انظر إنجيل متى (٧/١٥، ١٦، ٢٤/١١، ٢٤/٤-٥).

فائدة

الأناجيل تبشر بالنبي الحقيقي وهو محمد، نبي الإسلام، والبشارات بقدومه مدونة فيها وفي غيرها من المراجع الإنجيلية، والتي تحوي ما يقرُب من الثلاثين بشارة.[1]

٣- لو كان ما قاله بولس حقا من أن **المسيح ابن الله** لأخبر بذلك المسيح قبله، فهو أولى بذلك من بولس، لأنه شرفٌ له لو كان حقا، ولأن المسيح لن يكتم الحقيقة عن الناس، ويدعُها لمن بعده، مع عدم وجود الداعي لذلك، لاسيما وقد جاء المسيح لهداية الناس وإرشادهم، وليس لتركهم يعيشون في دوامة من الألغاز.

٤. المسيح رسول من الله، وبناء عليه فإنه ليس لديه الصلاحية ولا القدرة على أن يُعَيِّن أحدا من عند نفسه، لأن اختيار الأنبياء يكون من عند الله، وليس من عند الرسول، فالله يصطفي ويختار من الناس رسلا كما يشاء، وإلا فما مكانة الرب إذن؟

وبناء عليه فادعاء بولس أنه رسول من عند المسيح هو محض اختلاق وافتراء.

٥. الأنبياء هم صفوة الناس وخيارهم، فالمسيح من أم طاهرة تقية نقية، وهي مريم هي بنت عمران، وعمران من أهل العبادة والخير والصلاح، ونسبُهم ينتهي إلى إسرائيل (يعقوب)، نبيا من الصالحين.

أما بولس فهو رجل ولَغت يده في دماء أهل الخير، وسجَنهم وعذَّبهم، فأين هو والنبوة؟!

٦. مما يدل على بطلان دعوى بولس أنه رسول هو خبثُ شخصيته، **فالغاية عنده تبرر الوسيلة**، فلأجل تحقيق غايته فإنه يفعل أي شيء، وهذه الشخصية الانتهازية ليست شخصية نبي، حاشاهم من ذلك، فإن الأنبياء هم أزكى الناس نفوسا وأطهرها، وقد فضح بولس نفسهُ بنفسه في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، (٩/١٩- ٢٣):

«فإني إذ كنت حرا من الجميع، استعبدت نفسي للجميع **لأربح الأكثرين**.
فصرت **لليهود كيهودي** لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس[2] **كأني تحت الناموس** لأربح الذين تحت الناموس.
وللذين بلا ناموس **كأني بلا ناموس** – مع أني لست بلا ناموس لله، بل تحت ناموس للمسيح – لأربح الذين بلا ناموس.
صرت **للضعفاء كضعيف** لأربح الضعفاء. صرت **للكل كل شيء**، لأخَلِّص على كل حال قوما.
وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل، **لأكون شريكا** فيه».

---

[1] انظر هذه الأدلة الإنجيلية في كتاب:

The amazing prophecies of Muhammad in the Bible

وهذا الكتاب منشور بهذا العنوان في شبكة المعلومات.

وانظر أيضا كتاب «البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب» (٩٩ دليلا على وجود النبي المُبَشَّر به في التوراة والإنجيل)، تأليف د. صلاح الراشد، الناشر: دار ابن حزم — بيروت.

[2] الناموس هو التوراة وشرائعها.

انتهى كلامه.

التعليق:

هل يليق هذا الكلام بصاحب دعوة دينية من عند الرب (الله) سبحانه وتعالى؟
أم أن هذا الكلام يليق بشخص انتهازي من الطراز الأول؟

٧. ومن دلائل كذِب بولس أن دعوة المسيح كانت موجهة إلى بني إسرائيل فقط، أما بولس فوسَّع الدائرة من عند نفسه، ودعا الوثنيين إلى دينه الذي أنشأَهُ، فزعَم أن دين المسيح عالمي للناس كلهم ليدخلوا فيه، ففي إنجيل متى (١٥/٢٤) أن يسوع قال: «**لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة**».

بينما في «أعمال الرسل» (٢٢/٢١) أن الله قال لبولس: «**اذهب، فإني سأرسلك إلى الأمم بعيدا**».

فانظر أيها العاقل إلى الفرق بين كلام يسوع النبي الحقيقي، وبولس المـُدَّعي للنبوة.

فتبين من هذا إفك بولس وافتراؤه.

٨. ومما يدل على غِش بولس وتحريفه لدين المسيح أنه قام بإجراء تنازلات دينية عديدة بإلغاء تعاليم مذكورة في شريعة التوراة تدريجيا لِيُرَغِّب المدعوين الجدد وهم الوثنيون الرومان في الدخول في دينه، حتى لا يشق عليهم الدخول فيه، فبدأ بإلغاء شريعة الختان عن الوثنيين الذكور كما في رسالته إلى أهل غلاطية (٦/١٥)، وحَلَّل لليهود أكل ذبائح الوثنيين، وأكل لحم الخنزير، وحلّل الزواج المختلط بين اليهود والوثنيين، وألغى جميع أنواع الطهارة الجسدية التي تتشدد بها التوراة، كل هذا من أجل أن يستميل الرومان للدخول في الدين الجديد الذي قدَّمه لهم، وذلك أن نفوسهم غير قابلة للانقياد لشرائع سماوية، فهم وثنيون، عُبَّاد أصنام، لا يُحِلُّون حلالا ولا يُحرِّمون حراما، ولا يؤمنون بأنبياء، فأسقط عنهم شريعة التوراة حتى يُرَغِّبهم في الدخول في دينه!

وبولس بهذا التصرف جعل نفسه ربا، يُشَرِّع ما شاء من الشرائع، ويُسقط ما شاء، وليس فقط نبيا كما زعم! إذ أن التحريم والتحليل من عند الرب وليس من عند الرسول، لأن الرسول وظيفته تبليغ الشريعة عن الرب، وليس إنشاء شريعة جديدة أو التصرف بشريعة قائمة كما فعل بولس.

ثم جاءت الخطوة الثانية الكبيرة فألغى هذا الخبيث **ما تبقى من التوراة** لكي يزيل هذه العقبة الكئود من أمام الوثنين للدخول في دينه الذي اخترعه لهم على أنقاض دين المسيح، فقد قال في رسالته إلى أهل روما (٧/٦):

«**وأما الآن فقد تحررنا من الناموس**[١]، إذ مات الذي كنا ممسكين فيه، حتى نعبد بِجِدَّة الروح لا بعتق الحرف.

فماذا نقول؟ هل الناموس خطية؟ حاشا بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس».

التعليق:

[١] تقدم قريبا أن الناموس هو التوراة وشرائعها.

كما ترى أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة، فإن بولس لم يكتفِ بإلغاء التوراة، بل اتهمها بأنها هي مصدر معرفة الخطأ والزلل، كما في قوله (لم أعرف الخطية إلا بالناموس).

٩. ومن أعظم الأدلة على غِش بولس للناس أن إلغاءه للتوراة مناقض للغاية التي جاء المسيح من أجلها، فقد قال المسيح إنه لم يأت ليُلغي التوراة، بل جاء ليُتَمِّم ويُكَمِّل، كما جاء في إنجيل متى (١٧/٥-١٩) أن المسيح قال:

«لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلَّم الناس هكذا يُدعى أصغر في ملكوت السماوات، وأما من عمِل وعلَّم فهذا يدعى عظيما في ملكوت السماوات».

فإذا كان المسيح قد حذَّر من مجرد تحريف حرف أو نقطة في التوراة والإنجيل، وقال إن من فعل هذا فإنه يُدعى أصغرا في ملكوت السماوات والأرض، **فماذا يقال في حق بولس الذي أسقط التوراة برُمَّـتِها؟!**

إن إلغاء بولس للتوراة بحد ذاته يعتبر جناية عظيمة على دين المسيح، ودليل عظيم على كذب بولس، فليت جمهور القساوسة يعلمون ذلك ويُعَلِّمونه للناس بدلا من تقليد من سبقهم من القساوسة، وإضلال من تبِعهم من الناس (الرعية)، فإن هذا لا يحصل به إلا الزيادة في الإثم والعذاب عليهم جميعا يوم القيامة.

النتيجة المؤلمة لدور بولس

وبهذه الأكاذيب الخبيثة، والمكر اليهودي العظيم، استطاع الخبيث بولس أن يقلب دين المسيح رأسا على عقب، وأن يُدخل فيه ما ليس منه، **وأن يُحوِّل دين المسيح من التوحيد إلى التثليث**، فما كان من جمهور النصارى إلا أن صدَّقوا بولس فيما زعمه، وابتدأ التقليد الأعمى له إلى يومنا هذا، وانسلخ أتباع المسيح من عبادة الخالق – وهو الله – إلى عبادة المخلوقين – وهو المسيح عيسى ابن مريم وأمه –، ومن تعظيم الله ووصفه بالغِنَـى عن مخلوقاته، إلى وصفه بالحاجة لهم بدعوى أنه اتخذ صاحبة وولدا من مخلوقاته!

ويمكن تلخيص دور الخبيث بولس في تحريف دين المسيح في خمس نقاط:

١. ادّعى بولس أنه رسول معين من قِبل يسوع.

٢. ادّعى بولس أن اليسوع أَوحى إليه إنجيلاً.

٣. ادّعى بولس أن يسوع ابن الله.

٤. ادّعى بولس أن خطيئة أبينا آدم وأمنا حواء لم تُغفر، وأن البشرية توارثتها عبر القرون، وهي المعروفة بـ «الخطيئة» أو «المعصية الأولى».

٥. ادّعى بولس أن يسوع أرسله الله فنزل إلى الأرض ليُصلب ويتعذب فداء للبشرية من خطيئة أبَويهم آدم وحواء.

وهكذا أخرج الخبيث بولس جماهير النصارى من دين المسيح الحقيقي الذي يدعو إلى عبادة الله وترك عبادة من سواه، إلى دين لا يَمُت لدين المسيح بصلة، ألا وهو الوثنية، التي هي عبادة الأوثان (وهي الجمادات التي لا تدب فيها الحياة، مثل الأحجار والصور والقبور والصلبان)، وعبادة البشر (كالمسيح وأمه، وعبادة القساوسة).

وبعبارة مختصرة فإن دين المسيح تحول على يد بولس من عبادة الخالق إلى عبادة المخلوق، ومن اتِّباع النبي الحقيقي وهو المسيح، إلى اتِّباع مدَّعٍ للنبوة وهو بولس.

وقد بقي بولس في مهمته (مهمة تشويه دين المسيح) بعد رفع المسيح ما يزيد على ثلاثين سنة، وكانت بدايته بعد رفع المسيح بثلاث إلى خمس سنوات، أي ما بين عامي ٣٣-٣٨م على وجه التقريب واستمرت حتى سنة ٦٧م، أي نحو ثلاثين سنة، حين تم إعدامه في روما على يد الإمبراطور نيرون، الذي اتهم المسيحيين بإحراق مدينة روما، فقتل نيرون بولس ومعه (بطرس) كبير تلامذة المسيح بحسب وصف الأناجيل له، فأعدمهما صَلبا، ثم تفنن نيرون في تعذيب المسيحيين، ومن ذلك أنه جعلهم طعاما للكلاب الجائعة، وصَبَّ الوقود على آخرين، وجعلهم مشاعل لباب قصره.

فانظر كيف عاقب الله هذا الفاجر بولس في الدنيا، وكيف انقلبت عليه مجاملة الرومان على حساب المسيح ودينه، ففي بداية أمره كان يُعذب أتباع المسيح ويسجنهم، ثم دخل دين المسيح نفاقا، ليفسد دين المسيح من الداخل، وليجعله دينا صالحا للوثنيين لأن يدخلوا فيه، فكانت النهاية أن سحقه رأس الوثنيين (نيرون) سحقا، فصار عبرة لمن بعده، ولم ينفعه أن حرف دين المسيح للوصول إلى رضاهم على حساب رضا الله سبحانه وتعالى.

وبهذا انتهت المرحلة الأولى من مراحل تحريف دين المسيح على يد بولس، فبولس ومن جاء بعده من رجال الدين مِمَّن نشروا دينه وبشَّروا به — بحسب تعبيرهم – سيحملون إثم الأجيال الذين اعتنقوا هذا الدين بسببهم إلى يوم القيامة، فلينظر القسيس العاقل (وغير القسيس) إلى أين هو ذاهبٌ بالناس، إلى الجنة أم إلى الجحيم.[1]

فائدة

ليس بعجيب سرعة حصول هذا الإفساد الذي قام به بولس، والذي حصل في خلال ثلاثين سنة من حياته، لأنه إفساد من الداخل، فقد تظاهر هذا الخبيث بالدخول في دين المسيح، وأنه نبي من عند الله، فصدقه الناس، فأدخل بضاعته الفاسدة، فراجت عليهم، وأفسد دين المسيح الواضح النقي الذي يدعو إلى عبادة الله وحده، وجعله مزيجا من العقائد الوثنية باسم المسيح، وليس هذا الإفساد بهذه الجرأة بغريب على اليهود، فهم الذين هموا بقتل المسيح، وأي جرأة أعظم من هذه، فإذا كان هذا منهم مُستساغ فكيف لا يجرؤون على إفساد دينه؟

مكانة بولس في المسيحية

[1] انظر تفصيل دور بولس في تشويه دين المسيح في كتاب: «تاريخ النصرانية — مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، ص ٩٣ وما بعدها، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع.

بناء على ما تقدم فإن بولس هو المؤسس الحقيقي للديانة المسيحية **الحالية**، وتنتسب إليه قولا وعملا، وليس إلى المسيح عيسى ابن مريم، وإن كانت تُسمى «المسيحية»، فهو واضع بذرتها التي سقتها المجامع الكنائسية فيما بعد بدعم الرومان لتزداد تحريفا وضلالا، فبولس هو **الطامة الأولى** على دين المسيح، وهو الذي **أفسده وأخرجه عن إطاره تماما إلى إطار الوثنية، المتمثلة في عبادة الأصنام والأحجار والتماثيل والصُّوَر والصُّلبان والأشخاص من الأنبياء والكُهَّان.**

قال (جوستاف لوبون)[1]: «كان القديس بولس مفطورا على فرط الخيال، وكانت نفسه مملوءة بذكريات الفلسفة اليونانية والأديان الشرقية، فأسَّس باسم يسوع دينا، لا يفقهه يسوع لو كان حيا».[2]

وقال: «إن بولس أسَّس باسم يسوع دينا لا يفقهه يسوع لو كان حيا، ولو قيل للتلاميذ الإثني عشر (إن الله تجسد في يسوع) ما أدركوا هذه الفضيحة القطعية، ولرفعوا أصواتهم مُحتجين».[3]

وقال «مايكل هارت»[4]: «إن القديس بولس هو المُطوِّر الحقيقي للنظرية المسيحية، وهو المُغَيِّر لأصولها، وهو المؤلف لجزء كبير من العهد الجديد».

"St. Paul was the main developer of Christian theology, its principal proselytizer, and the author of a large portion of the New Testament".

From "The 100, a Ranking of the Most Influential Persons in History"

by Michael H. Hart

وبناء على ما تقدم فمؤسس الديانة المسيحية بشكلها وتركيبتها الحالية هو بولس قطعا وليس المسيح.

موقف المسيحيين من بولس

المسيحيون يُعظمون بولس تعظيما شديدا، ويعتقدون أنه رسول فعلا كما قال هو عن نفسه، ويسمونه «رسول الأمم»، وله كنائس عدة، منها كنيسة بولس في روما، وهي ثاني أكبر كنيسة هناك، وفيها من النقوش والزخارف العمرانية الشيء الكثير،

---

[1] تقدم التعريف به.

[2] كتاب «حياة الحقائق»، ص ٦٣.

[3] كتاب «حياة الحقائق»، ص ١٨٧.

[4] مايكل هارت، فيزيائي فلكي أمريكي، ولد سنة ١٩٣٢، وهو صاحب كتاب «**الخالدون المئة**»، والذي نقلنا منه كلامه، والاسم الأصلي للكتاب بالإنجليزية:

The 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History

وفيه ترتيب أكثر الشخصيات تأثيراً في التاريخ، ضمت القائمة على رأسها اسم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأسماء النبي عيسى وموسى عليهما السلام، كما ضمت أسماء مؤسسي الديانات الوضعية ومبتكري أبرز الاختراعات والاكتشافات التي غيرت مسار التاريخ، مثل مكتشف الكهرباء ومخترع الطائرة وآلة الطباعة، وأيضا قادة الفكر وغيرهم.

انظر ترجمته في Wikipedia.

وفي مقدمة الكنيسة تمثال كبير له، وكل هذا لا يمت لدين المسيح الأصلي بصلة، إذ أن المسيح جاء ليخرج الناس من عبادة غير الله إلى عبادة الله، وتطبيق ما جاء في الإنجيل، فتحول دينه إلى ما ترى أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة، تحول إلى عبادة صور وتماثيل وبراويز، وفي الكنائس تدور كؤوس الخمر، وتحصل العلاقات المحرمة بين القساوسة والراهبات، ويحصل الرقص وعزف الموسيقى، مما هو مناقض لدين المسيح وتعاليمه من جميع الوجوه.

***

٢٩. الحُـجَّة التاريخية الثانية على تحريف دين المسيح[١]

تقدم في النقطة السابقة بيان الدور التاريخي لليهودي شاول (والذي سمى نفسه لاحقا «بولس») في تحريف دين المسيح، والتي يُمَثِّل المرحلة التاريخية الأولى في تحريف دين المسيح، واللبنة الأولى فيه.

وفي هذه النقطة سنبين بإيجاز **المرحلة التاريخية الثانية** في تحريف دين المسيح، والتي تمت فيها **عشرة تحريفات إضافية لدين المسيح**، وكان ذلك على يد المجامع الكنائسية التي ضمت جمعا غفيرا من الأساقفة والبطاركة ورجال الدين، وقد حصلت تسعة من تلك التحريفات في القرون الستة الأولى، في ظل الدولة الرومانية، ثم لما سقطت الدولة الرومانية بسبب عوامل التفكك وهيمنت الكنيسة الكاثوليكية على أوربا بعد ذلك ولمدة عشرة قرون، تُسمى عندهم القرون الوسطى المظلمة، حصل في مطلع القرن السادس عشر الانقسام الكبير الأخير في الكنيسة الكاثوليكية ونشوء طائفة البروتستانت، فكان هذا هو التحريف العاشر والأخير في دين المسيح إلى تاريخ كتابة هذه الأسطر، والله أعلم هل سيحصل في المستقبل تحريفات وانقسامات جديدة أم لا.

التحريف الكنائسي الأول

في مطلع القرن الرابع الميلادي اشتد النزاع وثارت نيران الخلاف بين القساوسة المسيحيين حول شخص المسيح، أهو إنسان أم إله، وذلك أن قِسًّا مصريا يدعى (آريوس) تقدم برأيٍ إلى كنيسته قال فيه بأن الله واحدٌ وليس له ابن، واحتج على هذا بحُجج عقلية صحيحة، فنشأ خلاف في الكنيسة المصرية، ثم امتد الخلاف إلى الكنيسة العامة في روما، فحصلت إشكالات كثيرة بين رجال الدين المسيحي ما بين مؤيد ومعارض، وكانت الإمبراطورية الرومانية هي الحاكمة في ذلك الزمان، ولم تكن معتنقة للديانة المسيحية آنذاك، بل كانوا وثنيين، عندهم عدد من الآلهة يعبدونها، آلهة للزرع، وآلهة للعسكر، وآلهة للماشية، وهكذا، ولم يكونوا يؤمنون بنبي ولا بدين سماوي، فالحاصل أن الإمبراطور الروماني قسطنطين قام بمحاولة لوَأْدِ هذا الخلاف الذي سيُفرق الأمة ويهدد الأمن الداخلي، فأمر بعقد مجمع عام للأساقفة والبطاركة في أحد قصوره في مدينة نيقية — قرب مدينة اسطنبول حاليا — وذلك في عام ٣٢٥م، فاجتمعوا وكان عددهم ٢٠٤٨، وكان منهم ٣١٨ يقولون بألوهية المسيح، والبقية وعددهم ١٧٣٠ يقولون بأن المسيح بشر.

ونظرا لأن قسطنطين كانت عقيدته وثنية من الأصل فإنه مال إلى قول القائلين بألوهية المسيح وأنه ابن الله مع أنهم الأقل عددا، فنصرهم نصرا مؤزرا، فقرر المجمع ألوهية المسيح وأنه ابن الله، وذلك بعد اجتماعات دامت أكثر من ثلاثة أشهر، وجعلوه من ضمن قانون الإيمان المسيحي الذي أصدره المجمع، فانقلبت الكفة لصالح القائلين بألوهية المسيح بقوة السلطان بعد أن كانوا أقلية، **ورُفِع الستار رسميا عن مسيحية بولس،** الذي هلك قبل نحو ثلاثة قرون من هذا الحدث، ووحَّد

---

[١] للأمانة العلمية فقد استفدت جُل المعلومات المذكورة في هذه النقطة والتي تليها من كتاب: «تاريخ النصرانية — مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، المبحث الرابع والسادس، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع.

وينظر للاستزادة كتاب «التغييرات والتطورات التدريجية التي حدثت لرسالة يسوع بعد رفعه على مدى عدة قرون»، وهو منشور بهذا العنوان في شبكة المعلومات.

قسطنطين جبهته الداخلية على حساب دين المسيح الأصلي، لمصلحة توحيد مملكته ووأد الخلاف فيها، وليس هذا بغريب على أمثاله مِمَّن الغاية عندهم تبرر الوسيلة، فإن هدفه هو توحيد الكنيسة وعدم حصول الانقسامات فيها، فمنع قسطنطين القول الذي جاء به آريوس، أي القول بأن المسيح بشر وليس إله، ونفاه ومن معه خارج البلاد، وأصدر مرسوما بحرق كتبه، ومن احتفظ بشيء منها فإن عقوبته الإعدام، وجعل القول المعتمد بين اليهود والمسيحيين هو القول الذي ينص على أن **اليسوع إله وابن الإله**، وبعبارة أخرى فإن قسطنطين أجبر الناس على الدخول في المسيحية الجديدة، وقد كان هذا من أعظم الطوام في دين المسيح، **وهو الطامة الثانية** على دين المسيح بعد طامة تحريف بولس لها.

يلاحَظ أن قسطنطين فعل هذا قبل أن يتنصَّر، أي لم يكن معتنقا للمسيحية آنذاك، ثم دخل المسيحية بعد مجمع نيقية بسنوات.

تشييع رسالة السيد المسيح رسمياً

وبناء على نتائج هذا المؤتمر انقلبت الكفة لصالح مؤلِّهي السيد المسيح **بعدما كانوا أقلية**، وتحوَّل رجل الدين المُوحِّد الأسقف آريوس ومن معه من معارضين لبطريك كنيسة الإسكندرية، إلى معارضين للإمبراطور الروماني الوثني قسطنطين، **وخارجين عن النظام العام للإمبراطورية الرومانية**.

وفي ذلك المجمع الوثني الكئيب والمشئوم، تكُون الإمبراطورية الرومانية، ممثَّـلة بالإمبراطور قسطنطين، قد شَـيَّعت رسمياً رسالة السيد المسيح، بعد **حوالي ثلاثة قرون من رفعه**، ورفَعَت الستار رسمياً عن مسيحية شاول (بولس الرسول)، والتي تنص على أن **المسيح إله وابن الإله**، ولم يكن هذا الاعتقاد مفروضا من قبل، بل لم يكن متفقا عليه من قِبَل القساوسة، فحقق الإمبراطور الروماني الوثني قسطنطين **قصده السياسي** بتوحيد الجبهة الداخلية واستتباب الأمن الداخلي بفرض هذه العقيدة التي كانت محل خلاف داخلي، لكي يتفرغ لمواجهة منافسيه على السلطة في الداخل والأعداء الخارجيين، وبناء عليه فقد كانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية لضبط الجبهة الداخلية، يدل لهذا بكل وضوح أنه لم يكن مسيحيا آنذاك.

قال (وِل ديورانت)[1] إنه بفضل جهود قسطنطين "أضحت المسيحية دولة ودينا، وأمست هي القالب الذي صُبَّت فيه الحياة الأدبية والفكر الأوربي على مدى أربعة عشر قرنا[2]".[3]

تنبيه

لم يستطع مجمع نيقية القضاء على الوحدانية، التي كان يدعو لها الأسقف آريوس، **فقد كان التوحيد هو الغالب بين المسيحيين في القسطنطينية وأنطاكية وبابل والإسكندرية وأسيوط وبيت المقدس وقيصرية فلسطين وصُور**، ومع ذلك

[1] «وِل ديورانت»، (١٨٨٥ – ١٩٨١م)، فيلسوف ومؤرخ وكاتب أمريكي، من أشهر مؤلفاته كتاب «قصة الحضارة»، والذي شاركته زوجته أريل ديورانت في تأليفه. (المصدر: Wikipedia).

[2] توفي (وِل) عام ١٩٨١م، وبناء عليه فهو يقصد بقوله (على مدى أربعة عشر قرنا) أي القرن السادس الميلادي وما بعده.

[3] «قصة الحضارة» (٤٠٣/١).

فقد أخذ الأساقفة غير المُوحِّدين يسيطرون على المسيحيين بالرؤى والأحلام حتى اختفى مذهب التوحيد[1]، ولم يبقَ على الساحة إلا **مذهب تأليه المسيح**.[2]

ويا للعجب! لم يتفق القساوسة على أن المسيح ابن الله إلا بعد ٣٠٠ سنة من رفع المسيح!

فهل يمكن أن تكون هذه العقيدة صحيحة بعد هذه الفترة الزمنية البعيدة، ولا تكون صحيحة أثناء وجود المسيح على الأرض!؟

[1] أي مذهب القول بأن الله واحد.

[2] انظر كتاب «محاضرات في النصرانية» لمحمد أبو زهرة، ص ١٢١ وما بعدها، وكتاب «الروم» لأسد رستم، (١/٦٠، ٦١).

قرارات أخرى لمجمع نيقية

تقدم ذكر أن القرار الرئيس لمجمع نيقية هو اعتماد ألوهية المسيح، وأنه ابن الله، وقد صحب هذا القرار قرارات بشرية أخرى مدمرة لدين المسيح، وهي:

١. اعتماد أربعة أناجيل فقط، يطلق عليها اسم «العهد الجديد»، واعتُبرت الأناجيل الأخرى التي كان عددها يربو على السبعين إنجيلاً – ومنها أناجيل الـمُوحِّـدين، مثل إنجيل برنابا – مزيفة وغير قانونية ومحرمة، يجب إحراقها على الفور، ومنع اطلاع المسيحيين عليها، وجعل عقوبة من توجد بحوزته الإعدام.

٢. اعتمد هذا المجمع ست عشرة رسالة فقط من رسائل من يدعونهم **بالرسل**، اعتبرها المجمع صحيحة، سواء في ما يخص محتوياتها أو في نسبتها إلى مؤلفيها، وألحقَها بالأناجيل الأربعة، واعتبر ما عداها من الرسائل مزيفة ومدسوسة على مؤلفيها.

وقد جاءت مجامع أخرى بعد هذا المجمع، واعتمدت سبع رسائل إضافية وألحقتها بالأناجيل، كان مجمع نيقية قد رفضها، واعتبرها مزيفة ومنحولة على مؤلفيها.

٣. قام مجمع نيقية برفض بعض كتب العهد القديم – التوراة والكتب التابعة لها – حيث اعتبرها مزيفة ومدسوسة، ثم جاءت من بعده مجامع أخرى أعادت الاعتراف بتلك الكتب.

٤. تم لعن وطرد وحرمان المخالفين لقرارات هذا المجمع من حظيرة الكنيسة، وعلى رأسهم الأسقف المصري الـمُوَحِّـد (آريوس) الذي قال بوحدانية الله، وحرْقُ كتبه، وإعدامُ من توجد بحوزته.

٥. تقرر منْعُ زواج الرهبان، وقد كان ذلك القرار المناقض للفطرة السليمة سبباً لمآسٍ ومشاكل جنسية لأولئك الرهبان لا حصر لها **منذ ذلك اليوم وإلى يومنا هذا، والمتمثل في العلاقات السرية القذرة بين الرهبان والراهبات في الكنائس**.

وقد وصَفَ القرآن الكريم المسيحيين لما شددوا على أنفسهم بتشريع شرائع لم ترد في الإنجيل ومنها منع الزواج على أنفسهم فقال:

﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها﴾.

وتفسير الآية: ابتدع من يدَّعون أنهم أتباع المسيح رهبانيةً بالتشدد في العبادة، ما فرضناها عليهم، بل هم الذين التزموا بها من تلقاء أنفسهم، قَصْدُهم بذلك رضا الله، وهذه الرهبانية في الحقيقة ليس لها علاقة برضا الله، لأن الله لم يأمر بذلك على لسان نبيه المسيح عيسى ابن مريم، فكيف يكون فعل ما لم يأمر به الله سببا في رضا الله؟

أعمال أخرى قام بها قسطنطين لما دخل في المسيحية

يذكر المؤرخ المسيحي سعيد بن البطريق فائدة تاريخية تتعلق باستعمال قسطنطين قوته كسلطان في نشر المسيحية، قال فيما معناه:

لما تنصَّر[1] الإمبراطور قسطنطين بعد مجمع نيقية بسنوات، أمر بكسر الأصنام وقتَلِ من يعبدها، وحَصَر قيادة الجيش بالنصارى.

ثم أمر أن يُـبحث عن مكان قبر المسيح وصليبه، فقامت أمه هيلانة – أو هلينا – بتلك المهمة بنفسها، وسافرت إلى بيت المقدس، حيث بنت كنيسة القيامة – لا تزال موجودة إلى اليوم – على المكان المزعوم أن السيد المسيح قد قُبِر فيه لمدة ثلاثة أيام قبل أن يقوم من قبره، ولذلك سميت هذه الكنيسة بـ «كنيسة القيامة»[2].

وبحثت هيلانة عن الصليب الذي زُعِم أن السيد المسيح قد صُلب عليه وكان مدفوناً، وعادت به إلى ابنها الإمبراطور قسطنطين بعد أن غلَّفته بالذهب، ثم أمر الإمبراطور قسطنطين بطرد اليهود من بيت المقدس، كما أمر بقتل كل من لم يتنصَّر، فتنصر خلق كثير من اليهود والوثنيين، وظهر دين المسيحية.[3]

أقول: هذا تطور جديد للمسيحية في عهد قسطنطين، فقسطنطين بعد مجمع نيقية طَمَسَ القول ببشرية المسيح، والذي حاول آريوس إظهاره، وأظهر القول بأنه إله وابن الإله، وفعل قسطنطين هذا لم يتعدَّ جمهور المسيحيين المنتمين للكنيسة، ثم بعد دخوله في المسيحية صار يلزم الناس **جميعا** بالدخول في المسيحية، أعني **الوثنيين الرومان** الذي لم يدخلوا المسيحية ابتداء!

التحريف الكنائسي الثاني لدين المسيح بعد اعتناق الإمبراطور ثيودوسيوس الأول للمسيحية وحصول الامتزاج بين المسيحية والرومانية

في سنة ٣٨٠م كان عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول، الذي اعتنق المسيحية، فاعتنقت الإمبراطورية الرومانية الديانة المسيحية رسميا بثوبها الجديد الذي فصَّله بولس وثـبَّـته قسطنطين، فانفتح الباب على مصراعيه أمام الشعوب الوثنية التابعة للإمبراطورية الرومانية للدخول في المسيحية، مع أنهم ليسوا من بني إسرائيل الذين كانت رسالة المسيح الأصلية موجهة إليهم، وقد تقدم بيان ذلك، فدخلوا أفواجا، طواعية أو برغم أنوفهم، فليس هناك خيار ثانٍ أمام سيف الامبراطور إلا الدخول في المسيحية، فدخلت تلك الملايين بعقائدهم وشعائرهم وتقاليدهم (كعبادة الصور والتماثيل وغيرها) وطقوسهم للديانة المسيحية، فزاد الطين بِـلَّةً، وانفتح التحريف لدين المسيح على مصراعيه، وحصل المزيد من الامتزاج بين المسيحية وعقائد الرومان الوثنيين، وهذه هي **الطامة الثالثة على دين المسيح بعد طامة بولس وطامة قسطنطين**.

التحريف الكنائسي الثالث

في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول حصلت **طامة جديدة** لدين المسيح، فزاد تشويها إلى تشويهه، فقد حصلت خلافات عقائدية جديدة حول ماهية الروح القدس، وعلاقته بالآب والابن، وقد كان الناس إلى ذلك الزمان يعتقدون بإلٰهين اثنين وهما الآب والابن (الله والمسيح بحسب اعتقادهم)، فلما حصلت الخلافات المشار إليها حول الروح القدس وماهيته قام الإمبراطور ثيودوسيوس الأول بجمع مائة وخمسين رجلا من كبار رجالات الدين المسيحي، ما بين كاردينال وبطريرك

[1] تنصر أي صار نصرانيا، أي مسيحيا بالمصطلح السائد.

[2] سميت هذه الكنيسة بهذا الاسم نسبة إلى قيام المسيح من قبره – بحسب اعتقادهم –، وليس نسبة إلى يوم القيامة.

[3] «تاريخ ابن البطريق» (١٢٨/١–١٣٠).

وأسقُف، وجمَعهم في مجمع القسطنطينية الأول، وكان ذلك في سنة ٣٨١م، وهو المجمع الثاني بعد مجمع نيقية، وأمرهم بالتشاور لحل الخلافات الجديدة، فخرجوا بعقيدة جديدة **وهي عقيدة التثليث**، وهي اعتقاد أن الآلهة عبارة عن ثلاثة أقانيم، وهي **أقنوم الآب، وأقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس**.

وبعبارة مختصرة فقد تحول دين المسيح الصافي الداعي إلى **التوحيد** (توحيد العبادة لله) إلى **التثليث**، **وهو اعتقاد أن الآلهة ثلاثة أقانيم كما تقدم، وشتَّان ما بين هٰذين الاعتقادين**.

التحريف الكنائسي الرابع

وفي سنة ٤٣١م حدثت **طامة أخرى لدين المسيح**، إذ خرج نَسطور، وهو بطريرك كنيسة القسطنطينية، خرج بعقيدة مفادها أن المسيح عيسى ابن مريم له طبيعتان، إلٰهية وبشرية، (لاهوت وناسوت)، وأنهما منفصلتان عن بعضهما.

ويتبع ذلك أن مريم ما ولدت الإلٰه عيسى، بل ولدت البشر عيسى!

فهي أم الإنسان عيسى، وليست أم الإلٰه عيسى!

فحصل إثر هذا خلاف شديد بين كبار رجال الدين المسيحي، فقرروا عقد مجمع للنظر في عقيدة البطريرك نسطور، فعُقِد مجمعٌ في تلك السنة في مدينة إفسس في تركيا، وهو المُسمى **مجمع إفسس الأول**، حضره مائتا بطريرك وأسقف، وقرروا أن المسيح له طبيعتان، إلٰهية وبشرية، ولكن تلك الطبيعتين متحدتان ومندمجتان، وليستا منفصلتين كما يعتقد نسطور، وبناء عليه تكون مريم هي والدة الإلٰه عيسى كما هي والدة البشر عيسى.

ولما أصر نسطور على عقيدته طردوه من منصب البطريرك ولعنوه.

ولكن عقيدة نسطور انتشرت في سوريا والعراق وفارس، وسمي أتباع هذه العقيدة النسطوريين أو النساطرة، نسبة إلى البطريرك نسطور، الذي مات في حوالي عام ٤٥٠م.[١]

تعليق على عقيدة (الطبيعتين) التي أتى بها نسطور

هذه العقيدة التي أتى بها نسطور عقيدة خرافية، لأنها معتمدة أصلا على عقيدة خرافية أخرى وهي أن الله تجسد في المسيح، والتي أتى بها بولس، وقد تقدم الكلام عليها وبيان بطلانها، وأما مقولة إن المسيح ذو طبيعتين، إلٰهية وبشرية، فباطلة من أربعة وجوه:

الأول: على افتراض أن الله تجسد في المسيح، (وحاشاه من ذلك، ولكننا نقول ذلك على سبيل الافتراض)، فما الذي يمنع من أن تكون طبيعة المسيح واحدة، وطبيعة الله واحدة؟

وبناء على ماذا يقرر نسطور أن الجسد واحدٌ والطبيعة مختلفة؟

هل هو ربٌّ يعلم الغيب؟

إن مسألة الطبيعة أو الطبيعتين تعتبر من الغيب الذي لا تراه العيون.

---

[١] انظر كتاب: «محاضرات في النصرانية»، لمحمد أبو زهرة، ص ١٢٦ — ١٢٧، وكتاب: «دائرة معارف القرن العشرين»، للأستاذ محمد فريد وجدي.

وهذا يوضح دور رجال الدين والبطاركة في تحريف دين المسيح بإدخال عقولهم في الأمور الغيبية والتكلف في فهمها، فضلوا وأضلوا من يستمع لهم، تعالى الله عن إفكهم وافترائهم علوا كبيرا.

الوجه الثاني: أنه يلزم من هذه المقولة أن اللاهوت يعتمد على الناسوت، وهذا باطل، إذ كيف يعتمد الرب على البشر؟!

الوجه الثالث: أن قولهم باتصاف المسيح بطبيعتين في جسد واحد متناقض جدا، فالذات الواحدة لا يمكن أن تكون متصفة بصفات الرب وصفات البشر في آن واحد، لأنهما على طرفي نقيض، فالرب له صفات الكمال، والبشر له صفات النقص، فلا يمكن أن يكون الرب عالما بكل شيء وليس عالما بكل شيء في آن واحد.

الوجه الرابع في بيان تهافت هذه الدعوى (دعوى تقسيم المسيح إلى لاهوت وناسوت) أنها دعوى جديدة، لم يُعَلِّمها المسيح بني إسرائيل، ولو كانت صحيحة لعلمهم إياها قطعا، لأن هذا شرف له لو كانت حقا، وهي من الأمور التي تتوافر الهِمم على نقلها ليعرفها الناس، ولم يُطبِقوا على الجهل بها هذه القرون الطويلة، ثم تُقرُّ بين المسيحيين في سنة ٤٣١م، فهي إذن عقيدة مبتكرة من عند البشر بعد رفع المسيح بنحو أربع قرون، ولم تكن معروفة من قبل.

التحريف الكنائسي الخامس

وفي سنة ٤٤٩م حصلت **طامة جديدة**، وذلك أن ديسقورس، بطريرك كنيسة الإسكندرية، جاء بعقيدة جديدة مفادها أن للمسيح طبيعة واحدة من طبيعتين؛ بشرية وإلٰهية، اتحد فيها العنصر البشري (الناسوت) مع العنصر الإلٰهي (اللاهوت) فصارا شخصا واحدا، وهو المسيح!

فعقد ديسقورس مجمع إفسس الثاني سنة ٤٤٩م، فأقرَّ المجمع تلك العقيدة، وعارضت الكنائس الأخرى هذا القرار وهما كنيسة القسطنطينية الشرقية والكنيسة الكاثوليكية في روما، فزاد الانقسام في الدين المسيحي بين كنائسه ورجاله.

التحريف الكنائسي السادس– مجمع خليقدونية

وفي سنة ٤٥١م، عقد بابا الكنيسة الكاثوليكية، لاون الأول، وبمشاركة من ستمئة من رجال الدين المسيحي عقد مجمع في مدينة خليقدونية، على بحر مرمرة في تركيا، فألغوا ما تم إقراره في مجمع إفسس الأول سنة ٤٣١م، ولعنوا بطريرك الإسكندرية ومن يؤيده.

فترتب على هذا غضب شديد من بطريرك الإسكندرية، فانفصلت الكنيسة القبطية عن الكنيسة الكاثوليكية، وعن الكنيسة الشرقية في القسطنطينية، فزاد الانقسام بين طوائف المسيحيين.

التحريف الكنائسي السابع

وفي سنة ٥٤٣م ظهر قس اسمه يعقوب البرادعي نادى بعقيدة الطبيعة الواحدة للمسيح، والتي سبقه إليها ديسقورس قبل أربع سنين، فتبعه خلق كثير سُمُّوا فيما بعد باسم اليعقوبيين أو اليعاقبة، فحصل انقسام جديد بين المسيحيين بقيام هذه الطائفة (اليعقوبية)، ويُسمَّون في اللغة الأجنبية (الأرثوذكس).

التحريف الكنائسي الثامن

وفي سنة ٦٨٠م جاء بطريك أنطاكية وهو (يوحنا مارون) بعقيدة جديدة لتفسير طبيعة المسيح بزعمه، قال فيها إن المسيح له طبيعتان ومشيئة واحدة، نظرا لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد، فعارضته كنيسة القسطنطينية والكنيسة الكاثوليكية، وعقدوا مجمعا حضره حوالي مئتين وثمانين أسقفا، وقرروا أن المسيح له طبيعتان ومشيئتان، وطردوا ولعنوا البطريك مارون، فانفصلت كنيسة أنطاكية، وتعرض مارون للاضطهاد، فلجأ إلى جبل لبنان، وسموا أتباعه (المَوارنة)، وهي طائفة باقية إلى الآن.

التحريف الكنائسي التاسع

وفي سنة ٨٦٩م عُقِد مجمع القسطنطينية الرابع، وتقرر فيه أن الروح القدس انبثق من الآب والابن معا، وليس من الآب فقط، حسبما تقرر في مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م.

توطئة بين يدي التحريف الكنائسي العاشر الذي نشأ في بدايات القرن السادس عشر الميلادي

انهيار الإمبراطورية الرومانية عام ٤٧٦م وهيمنة الكنيسة الكاثوليكية على المجتمع الأوربي لعشرة قرون، ثم اكتشاف العالم الجديد (الأمريكتان واستراليا ونيوزلندا) مع مطلع القرن الخامس عشر الميلادي ونشوء طائفة البروتستانت (المُحتجون)

مقدمة

لما انحلت الدولة الرومانية الغربية سنة ٤٧٦م، وحلَّت الكنيسة الكاثوليكية محلَّها، صار البابا هو الحاكم الفعلي لإيطاليا وغيرها من الأقاليم التي انهارت فيها الإمبراطورية الرومانية، فزاد نفوذ الكنيسة، وصار هو الداعم لملوك أوربا، فصار لها الفضل عليهم، وصار يعطيهم المال من عنده بما يكسبه من ظهور الناس، ومَن اعترض على البابا من الملوك فإنه قد يفقد حياته وليس فقط عرشه.

ومن أهم صور ذلك الابتزاز والهيمنة على الكاثوليكيين التالي:

١. اختراع عقيدة صكوك الغفران، والتي كان يهدف رجال الكنيسة من وراء هذا الاختراع إلى جمع المال، فقد زعموا في المجمع اللاتيراني الذي عُقِد في روما سنة ١٢١٥م أن **يَسوغ منح الكنيسة الكاثوليكية في روما سلطة بيع صكوك الغفران**[1]، فإذا أراد الإنسان أن تُغفر له ذنوبه فما عليه إلا أن يشتري صكا من الكنيسة فيدخل الجنة إذا مات، والمال يذهب لجيوب رجال الكنيسة.

فرجال الكنيسة أقاموا بهذه العقيدة أنفسهم مقام الرب، الذي لا يغفر الذنوب إلا هو، تعالى الله عن كذبهم علوا كبيرا.

٢. ومن صور الفساد الكنائسي الفساد الأخلاقي بين الرهبان والراهبات، ولا حاجة إلى إعادة الكلام في هذا، وهو مستشرٍ إلى الآن في كنائس الكاثوليك والأرثوذكس.

[1] انظر إلى الضحك والدجل على عقول الناس!

٣. سلكت الكنيسة أسلوب القهر والتسلط، ومن ذلك اعتبار أي رأي يخالفها ولو كان في علوم الطبيعة أو الفلك أو غيرها من العلوم التي ليست من تخصص الكنيسة، فإنهم يعتبرونه كفرا وخروجا من الدين المسيحي، وبناء عليه فإنهم يُصدرون العقوبات التي ربما تصل إلى الإعدام على من يفعل ذلك، سواء كان الفاعل حاكما أو محكوما.

ومن مظاهر تسلط الكنيسة أن أصدرت الكنيسة الكاثوليكية في عهد البابا جريجوري التاسع في سنة ١٢١٣م محاكم عُرِفت باسم «محاكم التفتيش»، وهو نظام قمعي وحشي دموي، لم يشهد التاريخ مثله أبدا، يقوم بالتحقيق مع كل من خالف الكنيسة، فإن ثبتت مخالفته لها عوقِب بالتعذيب بنار هادئة حتى يسيل شحمه ولحمه، ثم تصادر ممتلكاته إلى الكنيسة.

وكانت الكنيسة ترسل الجواسيس إلى النساء في البيوت، فإن أخبرت المرأة مندوب الكنيسة بمخالفة زوجها للكنيسة وثبت عليه ذلك فالويل له ثم الويل له ثم الويل له.

وقد شمل نشاط هذه الكنيسة اليهود والمسلمين في أسبانيا، وقُدِّر عدد ضحاياهم هناك بـ ٣٤٠ ألف نسمة من سنة ١٤٨١م إلى سنة ١٨٠٨م.

وبهيمنة الكنيسة على أوربا في نهاية القرن الخامس بدأت العصور الوسطى المظلمة في أوربا، والتي استمرت نحو ألف عام إلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، ثم قامت الاحتجاجات على طغيان الكنيسة

وقصة ذلك الانشقاق باختصار أنه مع مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، بدأت الاعتراضات والاحتجاجات على مظاهر الفساد المادي والأخلاقي الحاصل في الكنيسة الكاثوليكية وباباواتها وكرادلتها، وقد تقدم ذكر بعضها، فلم تعُد الناس تطيق ذلك التسلُّط الرهيب والكبت الشنيع، فقامت تلك الاعتراضات بطبيعة الحال، وكانت تسير بشكل سري وسلمي وهادئ، بدأها رجال دين صغار، منهم من اعترض على ادعاء الكنيسة سلطة غفران الذنوب، سواء ما كان أمام القساوسة أو بواسطة صكوك الغفران، ومنهم من اعترض على العقيدة القائلة بأن قتل المسيح على الصليب كان تكفيرا على خطيئة آدم، فقالوا إن ذلك ليس وسيلة لإرضاء الله وعفوه عن تلك الخطيئة، ومنهم من نادى بزواج القساوسة والراهبات، وانتقد فجور الفريقين، ووصف كثيرا من الأديرة **بأنها بيوت دعارة**، فلم تقبل الكنيسة الكاثوليكية مطالب الإصلاح هذه، وعاقبت بعض المطالبين بالحرق وبعضهم بالسجن حتى الموت.

التحريف الكنائسي العاشر

قيام ثورة حقيقية، نشأت على إثرها طائفة البروتستانت (المُحتجُّون)، انشقوا عن الكاثوليك

لـمَّا لم تؤت تلك الدعوات الإصلاحية الهادئة ثمرتها، تحول الأمر إلى **ثورة** قادها المصلِحون الجدد ضد الكنيسة الكاثوليكية وباباواتها وكرادلتها، ومن أهم أولئك الثوار «القسيس مارتن لوثر»، والقسيس «جون كالفن» والأسقُف «جون هوس».

ولم يكن بإمكان أحد التنبؤ بأن النقد السِّلمي الهادئ للكنيسة الكاثوليكية، الذي بدأ مع مغيب القرن الرابع عشر ومطلع القرن الخامس عشر للميلاد، سيتطور إلى موجه عارمة من الصِّدامات والقلاقل والحروب الدينية الدامية التي عصفت بقارة أوروبا، وسالت بسببها دماء المسيحيين الأوروبيين بغزارة، وانشقت على إثرها الكنيسة الكاثوليكية إلى شطرين متعاديين،

شطرٌ تمسك بالكنيسة الكاثوليكية وسُلطة البابا، وشطرٌ خرج عن طاعة الكنيسة والبابا وتمرَّد عليهما، وكوَّن جماعة جديدة سُمِّيت **البروتستانت، protestant ، أي المحتجون أو المعترضون.**

ويعتبر هذا الانشقاق الذي نجح ووطَّد أقدامه في سنة ١٥١٧م هام وخطير ومؤثر في مجريات الأمور الدينية والاجتماعية والسياسية في القارة الأوروبية، لا يقاس مع الانشقاقَيْن اللذين حدثا قبله في الديانة المسيحية عن الكنيسة الكاثوليكية، وهي انشقاق الكنيسة القبطية في الإسكندرية بمصر والكنائس التابعة لها، ثم انشقاق الكنيسة الأرثوذكسية في القسطنطينية.

هذا ويلاحَظ أن ثورة أولئك القساوسة **اقتصرت على النظام الكنسي الفاسد مالياً وأخلاقيا، والمتمثل بتصرفات البابوات وغيرهم من كبار القساوسة**، ولم تُطالب تلك الثورة بتنقية المسيحية مما شابها وخالطها من التحريف والعقائد الوثنية، مما أدخله بولس ومن بعده، كتأليه السيد المسيح وصلبه، وعقيدة التثليث، فأمور العقيدة لم يثوروا ضدها كما فعل آريوس، وإنما ثاروا ضد تسلط وهيمنة الكنيسة الكاثوليكية ورجالاتها ممثلةً بمنصب البابا على المجتمع، وابتزاز الناس ماليا وجنسيا باسم الدين، كما تقدم بيانه في المقدمة.

سقوط هيمنة الكنيسة في بريطانيا

لقد خرج على إثر ذلك الانشقاق، ملك إنجلترا هنري الثامن في سنة ١٥٣٤م عن طاعة البابا، وسحَب اعترافه بسلطته عليه، وأعلن أنه هو رئيس الكنيسة الإنجليزية وليس البابا. وبهذا تم انفصال الكنيسة الإنجليزية في لندن عن الكنيسة الكاثوليكية في روما وعن سلطة البابا عليها، وسمح الملك بطباعة كتابهم المقدس باللغة الإنجليزية، وكان هذا ممنوعا، هذا ولم يخلُ الأمر من قيام الحرب بين الكاثوليك والبروتستانت في بريطانيا.

وفي فرنسا قامت سلسلة طويلة من المذابح والحروب الأهلية بين المسيحيين البروتستانت — ويسمونهم في فرنسا الهوجونوت – والكاثوليك، وقد تميزت تلك الحروب بالشراسة والدموية التي اقترفها الجانبان ضد بعضهما، وقد بدأت تلك المذابح في سنة ١٥٦٢م، وانتهت في سنة ١٥٩٨م، حيث دامت لمدة ٣٦ سنة.

الهروب الجماعي من أوربا، وفرار البروتستانت إلى الأمريكتين وغيرها

تجددت الحروب بين الجانبين في سنة ١٦٢١م — أي بعد ٢٣ سنة من انتهائها — واستمرت إلى سنة ١٦٤٨م، فلما اكتُشِف العالم الجديد — الأمريكتان واستراليا ونيوزلندا – الذي صادف اكتشافه حصول القلاقل الدينية في أوروبا، فر البروتستانت بأعداد غفيرة من أوربا إلى تلك المناطق لهذا السبب، بالإضافة إلى أسباب أخرى اقتصادية وغيرها.

طوائف ومذاهب البروتستانت

وقد أنشأ البروتستانت في المَهجر طوائف أو مذاهب أو كنائس عديدة خاصة بهم، منها الكنائس الإنجيلية، أي التي تتبع الأناجيل، ومنها كنائس **تتبع آراء قسيس من القساوسة الذين ثاروا على الكنيسة الكاثوليكية**، مثل **اللوثريين**، نسبة إلى القسيس مارتن لوثر، **والكالفينيين**، نسبة إلى القسيس جون كالفن، **والهوسيين**، نسبة إلى القسيس جون هوس.

ويلاحَظ أن كل طائفة أو مذهب أو كنيسة من هذه الكنائس البروتستانتية مستقلة تماما بإدارتها الدينية عن الكنائس الأخرى، فهي لا تخضع لرئاسة أعلى منها تجمعُها تحت مظلتها،كما أعطوا الحق لكل بروتستانتي بفهم وتفسير الكتاب المقدس كما يرى، مما أدى إلى عدم تقيد البروتستانت كثيرا بالعقائد المسيحية، وساعد ذلك على تفريخ طوائف أو مذاهب أو كنائس جديدة باستمرار، ففي الولايات المتحدة الأمريكية وحدها يوجد أكثر من ١٣٠٠ طائفة أو مذهب بروتستانتي، ولكل طائفة أو مذهب كنيسة خاصة بها، والحبل على الجرار.[1]

ويختلف البروتستانت مع الكاثوليك في تحرُّرهم وعدم اعترافهم بالنفوذ الشخصي لرجال الدين، وخلع هيمنة رجال الدين عنهم، فليس الأمر عندهم كما هو عند الكاثوليك، يلاحَظ هذا في المنهج الكنائسي التالي عندهم:

- إلغاء منصب البابا من كنائسهم، ولم يعد لهم رئاسة دينية كالكاثوليك الذين تجمعهم الكنيسة الكاثوليكية في روما.
- حصْرُ صلاحيات رجال الدين بالوعظ والإرشاد الديني فقط، وأُزيلت القداسة عنهم، وخلَع رجال الدين عندهم ملابس الكهنوت، ولبسوا ثيابا عادية مثل بقية الناس.
- السماح للرهبان والراهبات بالزواج، وهذا فرق عظيم بينهم وبين الرهبان الكاثوليك الذين لا يتزوجون، بل يقضون شهواتهم مع الراهبات بالسر في الكنيسة، أو خلال علاقات مع البنات الذين هُنَّ من شريحة الرعية، واللاتي يطلب القساوسة منهن إقامة علاقة معهن، ثم المسكينة منهن تقبل بذلك إما **رهبة** من ذلك القسيس، بسبب نفوذه ومكانته، أو **رغبة** منها في حصول رضى القسيس عنها، لأنه يزعم أنه ابن الله، فإذا رضي القسيس عنها — أي عن البنت — رضي الله عنها أيضا، فتوافق البنت للقسيس أن يعاشرها ويتلذَّذ بها حتى لو كانت متزوجة، طلبا لرضا الله عنها – بِـظَـنِّـها –، وهكذا تتنقل المسكينة بين أحضان القساوسة طيلة شبابها، فإذا كبرت تركوها وبحثوا عن بنت أجمل منها، كل هذا باسم دين المسيح، ومحبة المسيح، والمسيح من هذا العُهر براء.
- إلغاء قانون الاعتراف بالذنوب أمام القساوسة طلبا لغفرانها من قِبلهم، فيما يُعرَف بـ «سر الاعتراف».
- منعوا الصور والتماثيل في كنائسهم، ومنعوا السجود لها، أو طلب الشفاعة من مريم أو القديسين، لأنهم ينظرون لها كإنسانة عادية، بخلاف المسيح، فهم لا يختلفون عن الكاثوليك في اعتقادهم فيه، فهم يعتقدون أنه الرب وابن الرب!

أيها القارئ المثقف العاقل، وأيتها القارئة المثقفة العاقلة، لو أجرينا مقارنة يسيرة بين المنهج البروتستانتي الذي أسسه البروتستانت وبين تعاليم المسيح الأصلية، هل يصح نسبة هذه الطائفة الجديدة (البروتستانتية) إلى دين المسيح وتعاليمه؟

وإذا كانت الإجابة نعم – على سبيل الافتراض –، فلو أجرينا مقارنة يسيرة مرة أخرى بين المنهج الكاثوليكي الذي هرب منه البروتستانت وبين تعاليم المسيح الأصلية، فهل يصح نسبة الكاثوليك **أيضا** إلى دين المسيح وتعاليمه؟

أترك الإجابة للقارئ الـمُـتَّـزِن والقارئة الـمُـتَّـزِنة.

---

[1] «حياة الحقائق»، جوستاف لوبون، ص ٨١.

خلاصة في أثر المجامع الكنائسية على دين المسيح

إن الناظر الـمُنصِف إلى التحريف الأول على يد بولس والذي تبعه عشر تحريفات كنائسية (ليكون المجموع أحد عشر تحريفا عظيما في رسالة المسيح) لَيَـرى رأي العين أن المسيحية **المعاصرة** هي عبارة عن اجتهادات بشرية لا تمت إلى الوحي الإلٰهي بصلة، ولو كانت المسيحية المعاصرة دينا ربانيا من عند الله لما احتاجت إلى تدخل البشر كل هذا التدخل لفهم طبيعة المسيح، ناهيك عما تم إدخاله من قرارات تنافي دين المسيح نفسه بل تنقضه، وتدل على أن القساوسة هم أساس التحريف، ثم السلطة التي كانت تدعمهم بالقوة لكتمان الحق، وأعظمُ ذلك حظرُ سبعين إنجيلا في مجمع نيقية وحرقها وإعدام من يتداولها، لا لِشيء إلا لكونها كانت تقرر أن الله واحد في ذاته، ليس له ابن.

ولما كانت المسيحية عبارة عن اجتهادات بشرية لا تمت إلى الوحي الإلٰهي بصلة؛ كان نتيجة ذلك أن انقسمت هي نفسها إلى طوائف، كل طائفة تدَّعي أنها هي التي على الحق، وأن الأخرى مخطئة، وهي:

١. الكاثوليك وهم الـمَـلَـكـانيون أو المَلَكِيَّة.

٢. الأرثوذكس وهم اليعقوبية.

٣. البروتستانت، أي الـمُحتَجُّون.

٤. المارونيون أو الـمَوارِنة.

٥. أتباع المسيح حقا، وهم برنابا وآريوس الإسكندري ومن تبعهم، **وهؤلاء ليس لهم وجود الآن**، وهم الذي كانوا يقولون إن المسيح بشر رسول، عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، ليس ربا ولا ابن الربِّ، وهؤلاء هم أتباع المسيح على الحقيقة، ولو أنهم أدركوا النبي محمدا (صلى الله عليه وسلم) لآمنوا به ودخلوا الإسلام، لأن المسيح بشَّر بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) بعده، وهذا مُثبت في الأناجيل المعاصرة التي كتبها يوحنا وغيره[1]، فرسالة محمد (وهي دين الإسلام) ما هي إلا امتداد لرسالة المسيح الصحيحة، جعلنا الله جميعا من أتباع الأنبياء، حتى نفوز برضا الله ودخول جنته.

خلاصة في مراحل تحريف دين المسيح في القرون الست الأولى بعد رفعه إلى السماء

مما ينبغي أن يُعلم أن دين المسيح الأصلي يقوم على:

١. عبادة الله وحده

---

[1] وقد يسر الله جمع تلك البشارات فانتهت إلى ٢٨ بشارة، وهي مجموعة في كتاب:

The Amazing Prophecies of Muhammad in the Bible

وهذا الكتاب منشور في شبكة المعلومات بهذه العنوان.

٢. أن المسيح بشر
٣. أن المسيح رسول
٤. أن المسيح يعلم الناس التوراة والإنجيل
٥. أن المسيح رسول إلى بني إسرائيل
٦. أن المسيح بَـشَّر برسول من بعده اسمه محمد، يتمم رسالة المسيح، ويصحح التحريف الذي اعتراها، ويدعو الناس إلى عبادة الله، بحسب الشريعة المدونة في الكتاب المقدس (القرآن)، ويدلهم إلى طريق الجنة ويحذرهم من الطريق المؤدي إلى النار.

وفي الإنجيل ٢٨ بشارة بالنبي محمد، وهي مدونة في العهد القديم والجديد.[١]

بينما المسيحية المعاصرة مزيج من ثلاثة:

١. بقايا دين المسيح، وأحسن ما فيها في الأناجيل الأربعة، والتي بدأ تدوينها على يد أشخاص من سنة ٣٧ م إلى سنة ١١٠م، وهي إنجيل مَتَّى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا.
٢. تحريفات بولس والمتمثلة في:
أ- دعوى أنه رسول مُعَيَّن من قِبَلِ المسيح
ب- دعوى أن الله أوحى إليه إنجيلا
ت- دعوى أن المسيح إله (وليس نبي)
ث- دعوى أن المسيح ابن الله (بُنُوَّة المسيح لله)، وأن المسيح ليس بشرا، وأن الله تجسد فيه
ج- عقيدة الذنب الأصلي أو الخطيئة الأولى، والتي تنص على أن البشر توارثوا ذنب أبيهم آدم عبر القرون
ح- عقيدة الفداء، والتي تنص على أن الله أرسل المسيح (على أنه ابنه) فاديا ومخلصا للبشر من الذنب الأصلي
٣. تحريفات المجامع الكنائسية والتي انطلقت من بداية القرن الرابع الميلادي تحت دعم الحكومة الرومانية، وهي:
أ- مجمع نيقية، وحصل فيه ترسيم ألوهية المسيح سنة ٣٢٥م، وحصر الأناجيل في أربعة أناجيل مع ستة عشر رسالة، وحرق ما سوى ذلك من الأناجيل والتي تربو على سبعين إنجيلا، ومنع القساوسة من الزواج، مع أن الله لم يحرم عليهم ذلك.
ب- مجمع القسطنطينية الأول، وحصل فيه ترسيم عقيدة التثليث سنة ٣٨١م.

---

[١] تقدمت الإشارة إلى أن هذه الأدلة الإنجيلية مجموعة في كتاب:

The amazing prophecies of Muhammad in the Bible

وهذا الكتاب منشور بهذا العنوان في شبكة المعلومات.

وانظر أيضا كتاب «البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب» (٩٩ دليلا على وجود النبي المبشر به في التوراة والإنجيل)، تأليف د. صلاح الراشد، الناشر: دار ابن حزم – بيروت.

ت- مجمع إفسس الأول سنة ٤٣١م، وحصل فيه ترسيم تقسيم المسيح إلى لاهوت وناسوت، وأن المسيح ذو طبيعتين.

ث- مجمع إفسس الثاني سنة ٤٤٩م، وحصل فيه ترسيم تقسيم المسيح إلى لاهوت وناسوت، وأن المسيح ذو طبيعة واحدة، (خلافا لقرار المجمع قبله، والذي نص على أن المسيح ذو طبيعتين).

ج- مجمع خليقدونية سنة ٤٥١م، وحصل فيه إلغاء قرار مجمعي إفسس الأول والثاني.

ح- نشأة المذهب الماروني على يد بطريرك أنطاكية سنة ٦٨٠م، والذي ينص على أن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة، وهذا المذهب محصور في جبل لبنان منذ ذلك الحين إلى الآن.

خ- انشقاق طائفة أطلقت على نفسها «البروتستانت» من الكنيسة الكاثوليكية وذلك في عام ١٥١٧م بسبب ضجرها من فساد القائمين على الكنيسة الكاثوليكية، ثم هجرتها من أوربا إلى الأمريكتين وغيرها.

وبناء على ما تقدم فالدين الذي يسير عليه المسيحيون ليس هو دين المسيح الأصلي في الحقيقة، بل هو مزيج من ثلاثة أشياء: دين المسيح وتحريف بولس، ثم تحريف المجامع الكنائسية، الذي دعمته حكومات الرومان في القرن الرابع والخامس الميلادي، فتكوَّن دين جديد لا يَمُت لدين المسيح بصلة أبدا، بل يناقضه في أصوله وفروعه، وإن تسمَّى به في الظاهر، فالعبرة بالحقائق وليس المسميات.

خلاصة عامة

هذا الملخص الذي تقدم ذكره يعتبر دليلا تاريخيا كافيا إثبات بطلان مقولة إن المسيح إله أو ابن الإله، فقد تبين للقارئ والقارئة الصادقَين في البحث عن الحق أن المسيحية المعاصرة من وضع البشر، ولا تَـمُت إلى تعاليم المسيح بصلة، والأناجيل الأربعة التي كتبها الرجال الأربعة الذين جاءوا بعد المسيح لا تُقر هذا، فتبين أن تلك العقائد ليست إلا من وضع البشر،man-made، وأن الناس غُلِبوا عليها بالحديد والنار في عهد الأباطرة الرومان، ولو أن لها أصلا في تعاليم المسيح لما احتاج الإمبراطور الروماني قسطنطين ومن بعده إلى عقد تلك الاجتماعات والمؤتمرات، مما يوضح بكل جلاء أن دين المسيح قد أصابه التحريف والتغيير، وصار ألعوبة في يد بولس ومن لحقه من أباطرة الرومان ورجال الكنيسة، يغيرون فيه كما يشاءون، ثم يقولون كذبا وزورا: (هذا هو دين المسيح، وهذه هي العقيدة التي يجب أن يؤمن بها جميع أتباع المسيح)، مع أن المسيح نفسه لم يعْـلَمها ولم يُعَلِّمها بني إسرائيل!

***

الفصل الرابع: الأدلة القرآنية على بطلان مقولة إن المسيح رب

٣٠. الدليل الثلاثون: الدليل القرآني

خلاصة مفيدة في بيان حقيقة المسيح عيسى ابن مريم في الكتاب المقدس (القرآن)

لما اشتدت غربة الدين، وتلاشت آثار الأنبياء في الناس، وترك الناس عبادة الله وحده، وعبدوا غيره، من الأنبياء والأحجار والصور وغيرها، وفي سنة ٥٧٠م تقريبا، بعث الله نبيه محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) للناس كافة ليدلهم على الدين الصحيح الذي بعث الله به جميع أنبيائه، بعثه الله إلى بني إسرائيل وغير بني إسرائيل، العرب وغير العرب، وأنزل عليه كتابه المحفوظ من التبديل والتغيير وهو القرآن، فبيَّـن للناس حقيقة المسيح التي انقسم الناس فيها إلى فرق وأحزاب وطوائف، فقال الله فيه قول الحق، وهو أنه بشر، وأنه نبـي عظيـم من أنبياء بني إسرائيل، فلم يرفعه إلى منزلة رب العالمين كما فعل النصارى، ولم يـخفِضه ويقول إنه قُـتِل وصُلِب وبُـصِق في وجهه، كما قال اليهود، بل بين الله أنه عصمه من كيد اليهود لما أرادوا قتله، فرفعه إليه في السماء في معجزة إلٰهية، وهو باقٍ فيها ينتظر نزوله في آخر الزمان ليبقى فيها حكما عدلا أربعين سنة، ثم يـموت كما مات غيره من الأنبياء، ثم يُدفن في الأرض، ثم يبعثه الله يوم القيامة كما يـبعث غيره من الأنبياء والبشر.

قال الله في القرآن ﴿ما الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطعام انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

فهذا القول الذي قاله الله في القرآن عن المسيح هو القول الفصل، لأنه رب البشر، وهو العليم بأحوالهم، وهو القول الموافق للعقل والواقع، فعِصْمته من القتل والإهانة متوافقة مع كونه نبي، ورفعُه إلى السماء متوافق مع علو قدرِهِ ومنزلته، والقول بأنه بشر وليس إلٰها ولا ابنًا لله متوافق مع العقل، لأن كل الأنبياء بشر كذلك، ولأن الله ليس بـحاجة إلى ابن، فهو الغني عن العالَمين، لا يليق به أن يـخلق الـخلق ثم يحتاج إليهم، وهذا واضح بحمد الله لكل من أراد الحق وتجرد له، وصدق مع الله في البحث عن الدين الحقيقي الصحيح.

استطراد

وقد اهتم القرآن الكريم اهتماما بالغاً بشأن نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام، فابتدأ قصته بِـذِكر ولادة أمه مريم، ونشأتها نشأة الطهر والعفاف والعبادة والتبتل، ثم ذَكَـر إكرام الله تعـالى لها بأن رزقها غلاما بلا أب، حيث أرسل لها أعظم الملائكة وهو جبريل – عليه السلام – ليبشرها به، ولينفخ فيها فتحمِل بعيسى عليه السلام، ثم ذكر رعاية الله لها أثناء حملها، ورعايته لها أثناء ولادتها له، ثم حديثها مع بني إسرائيل لما استنكروا إنجابها للولد وليست ذات زوج، وكلام عيسى في المهد بأنه عبد الله، وأنه نبي من عند الله، ثم بيّن القرآن خبره بعدما كبر لما بعثه الله إلى بني إسرائيل نبيا مؤيَّـدًا بمعجزات كثيرة تدل على نبوته، وأنه رسول من عند الله، ليعلَم الناس أنه لا يأتي بتلك المعجزات إلا رسولٌ أيده الله بها، حالُـهُ في هذا كحال غيره من الأنبياء، ثم ختم القرآن أخبار عيسى ابن مريم بذكر محاولة اليهود قتله، وكيف أن الله نجاه منهم بمعجزة إلٰهية، لم تحصل لنبي قبله، وهي رفعُـهُ إلى السماء معززا مكرما، خلافا لما يعتقده النصارى واليهود فيه أنه قتله اليهود وبصقوا في وجهه وصلبوه على خشبة على هيئة صليب ووضعوا الشوك على رأسه، حاشاه من ذلك.

وكما تقدم، فقد سلك الإسلام في الاعتقاد بالمسيح مسلكا وسطا بين اليهود والنصارى، فالنصارى عظَّموه وأخرجوه من حيز البشرية إلى حيز الألوهية، ثم اضطربوا في هذا اضطرابا عظيما، فمنهم من قال إنه هو الله، ومنهم من قال إنه ابن الله، ومنهم من قال إنه ثالث ثلاثة، وهم في هذا الاعتقاد مناقضين لاعتقادهم الآخر فيه، وهو أن اليهود قتلوه وبصقوا في وجهه وصلبوه على خشبة الصليب، إذ كيف يجتمع كونه ربا لهذا الكون أو ابنا لله مع وقوع الإهانة العظيمة عليه؟!

أَفَـلا دافع الله عن ابنه، لو كان ابنه حقا؟!

واليهود — على الجانب الآخر – اعتقدوا في المسيح عيسى ابن مريم اعتقادا يناقض اعتقاد النصارى تماما، فقالوا إنه ابن زنا (حاشاه من ذلك)، حسدا له أن جعله الله نبيا، وهم مع هذا لا يؤمنون بنبوته.

ولكن طائفة قليلة من أتباع عيسى ابن مريم بقيت على إيمانها الصحيح بعيسى ابن مريم، وهم الحواريون، فبقوا متمسكين بدينه حتى بعد رفعه إلى السماء، وهم بريئون من غُـلُـوِّ[1] النصارى في المسيح، وازدراء اليهود له.

ثم جاء الإسلام فجَلَّـى حقيقة الأمر، وكان هذا بعد رفع المسيح بنحو ستة قرون، وذلك أن الله رحيم بعباده، لم يترك بني إسرائيل يسيرون مضطربين بلا هداية ولا إرشاد، فأرسل نبيه محمدا إلى جميع الناس، بني إسرائيل وغير بني إسرائيل، وأنزل عليه القرآن، وتكفل بحفظه من التحريف والتبديل الذي طرأ على التوراة والإنجيل، والذي تسبب في اضطراب عقيدة المسيحيين في المسيح نفسه، واختلافهم في فهم ذاته ماهيته، فبيَّن القرآن حقيقة عيسى ابن مريم عليه السلام، فلم يدع شبهة إلا أزالها، ولا حقيقة إلا أبانها، وبين أنه نبي عظيم من أنبياء بنـي إسرائيل، أرسله الله ليأمرهم بعبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، وأنزل معه الإنجيل فيه هدى ونور، ونهاهم عن عبادة ما سواه، وبَيَّن القرآن أن الله نسخ شريعة المسيح ومن قبله من الأنبياء بشريعة الإسلام، وجعلها مهيمنة على ما قبلها من الشرائع، وحفِظ دستورها وهو القرآن من التحريف والضياع.

وقد أنكر الله سبحانه في القرآن الكريم اتخاذ الله في قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرحمٰن وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا للرحمٰن وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي للرحمٰن أَن يَتَّخِذَ وَلَدا﴾[2].

وقد ورد ذكر اسم عيسى في القرآن ٢٥ مرة، وورد ذكره بوصفه (المسيح) ٩ مرات، كما ورد ذكر اسم أمه مريم ٣١ مرة، كلها في مقام الاحترام والتعظيم والتبجيل اللائق بأمثالهما من البشر، دون اعتقاد أن لهما شيئا من صفات الربوبية أو الألوهية، بل هما بشر مثلنا، يعبدان الله كما نعبده نحن، ويرجوانه الجنة والنجاة من النار كما نرجوه نحن.

ليس هذا فحسب، بل قد جاء وصف عيسى بأنه من أولي العزم من الرسل، والعزم أي الصبر والحزم.

وأولي العزم من الرسل هم أعظم الرسل، وهم خمسة (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد)، صلوات الله عليهم جميعا.

[1] الغُـلُـو هو الزيادة في التعظيم كما سيأتي.

[2] سورة مريم: ٨٨ — ٩٢.

الفصل الخامس: ملحق فيه فوائد عامة

الفهرست

- الحلقة الثالثة: مَن الذي علَّم محمدًا (صلى الله عليه وسلم) القرآن؟
- الحلقة الرابعة: أوصاف النبي محمد صلى الله عليه وسلم
- الحلقة الخامسة: شهادات بعض المُستشرقين – من العلماء والمُفكرين غير المسلمين – على عِظَم قدر النبي محمد صلى الله عليه وسلم

٢٦. همسات إيمانية من القلب إلى القلب، ويتضمن عشر همسات

٢٧. خاتمة

١. سورة الإخلاص من الكتاب المُقَدَّس (القرآن الكريم)

قال الله في القرآن الكريم:

﴿قُـل هو الله أحد * الله الصَّمد * لم يلِد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد﴾

تفسير السورة:

﴿قُـل﴾، المخاطَب بهذه الآية هو النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، يقول الله له: قل أيها الرسول لكل الناس.

﴿هو الله أحد﴾: أي هو الله المتفرد بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، لا يشاركه أحد فيها.

﴿الله الصَّمد﴾: أي الذي تصمد له جميع الخلائق وتطلب منه حاجاتها.

﴿ لم يلد ولم يولد﴾: أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة، لأن هذه صفات المخلوقين، أما الله فلا يشبهه شيء، وليس كمثله شيء، وهو أعلم بنفسه من غيره.

﴿ولم يكن له كُـفُوا أحد﴾: أي ليس له مماثل ولا شبيه، لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، تبارك وتعالى وتقدَّس.

وقد أنزل رب العالمين هذه السورة القصيرة في طولها، العظيمة في معانيها، للرد على ثلاث طوائف:

الأولى: المشركين الذين كانوا في عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الذين قالوا إن الملائكة بنات الله.

الثانية: اليهود الذين قالوا: عُـزير ابن الله.

الثالثة: النصارى (المسيحيين) الذين قالوا إن المسيح ابن الله.

فنفى الله عن نفسه هذه الصفات (الولادة والـمِثلِيَّة) نفيا قاطعا.

وقد قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): قال الله تعالى:

كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك.

فأما تكذيبه إياي فقوله: (لن يُعيدني كما بدأني)، وليس أول الخلق بأهونَ عليَّ من إعادته.

وأما شَـتمُهُ إيَّاي فقوله: (اتخذ الله ولداً)، وأنا الأحد الصمد، الذي لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد. انتهى الحديث.

أسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن قرأ القرآن فكان هاديا له إلى الفلاح والرشاد، وفي الآخرة قائدا له إلى الجنة.

٢. نبذة عن عقائد الرومان[١]

الرومان شعوب ضالة تائهة، لا تعرف الرب الحقيقي (الله)، ولا تؤمن برسول، تعيش كما تعيش البهائم، بل البهائم خير منها، لأن البهائم تعرف ربها في فطرتها، أما هم فلا، فقد كان الروماني يعتقد أن الكون من حوله خاضع لقوى جبارة، قديمة الوجود، غير مرئية، يظهر نشاطها في الظواهر الطبيعية، كهبوب العواصف والرياح، ونزول الأمطار، ولمعان البرق في الليل فيُبدد ظلامه، وصوت الرعد والصواعق التي تصم الآذان، وغروب الشمس وما ينتج عنه من قدوم الليل وظهور القمر والنجوم، ثم شروقها وما ينتج عنه من تبدد الظلال، وتتابع الفصول، ونمو الحيوانات والنبات ونشأة الإنسان، وما يطرأ عليه من تطورات في الخِلقة من ضعف إلى قوة ثم ضعف.

فكان الإنسان الروماني يطلق على هذه القوى اسم «الأرواح النشطة» أو «الآلهة».

وكان عدد هذه الآلهة في نظر الرومان كبير جدا، فهناك على سبيل المثال آلهة لحراسة المنزل والمزرعة، وآلهة للغابات، وآلهة تهيمن على الظواهر الطبيعية الثائرة كـهَيَجان البحر وفيضان الأنهار وهبوب العواصف ونحوها، وآلهة للعَسكر، وهكذا.

وكانت علاقة الشخص الروماني بآلهته علاقة مادية بحتة، فلأنه يعتقد منفعتها له في مهنته فإنه كان يقدم القرابين لها والذبائح، لكي ينال برضاها – بحسب اعتقاده – ثم معونتها له ليحصل على ربح وفير في مهنته، مزارعا كان أو صانعا أو رجلا عسكريا يريد النصر في حروبه، أو غير ذلك.

وقد كان للرومان عدة معبودات لها صور بشرية، خصوصا تلك التي كانت تُعبد رسميا من قِبَل الدولة الرومانية، مثل (جوبيتر) الذي كان أعظم الآلهة عندهم، و (منيرفا) التي كانوا يعتقدون أنها تَهِبُ الذي يعملون بعقولهم وأيديهم المهارة في العمل، و (ساتورونس) آلهة الزراعة، وهَلُمَّ جرًّا.

وكان الرومان يعتقدون أنهم كلما زاد عدد العابدين لآلهة معينة فإنها تكون أكثر استعدادا ورغبةً في أن تكافئ عابديها.

ومن المضحك أنهم إذا مات لهم امبراطورٌ له إنجازات مرموقة وأعمال جليلة وانتصارات، فإن مجلس الشيوخ الروماني يضيف اسم ذلك الامبراطور لقائمة الآلهة التي يعبدونها، فيصير الإمبراطور إلٰها بعد وفاته وتحوُّله إلى فتات، وقد حصل هذا (التأليه) لعدد من الأباطرة مثل قيصر وأغسطس وتراجان وغيرهم.

ومن الجدير بالذكر أن السلطات الرومانية كانت تسمح للمواطن الروماني باعتناق أي ديانة أجنبية بشرط ألا تمنعه تلك الديانة من الخضوع لآلهة الرومان وتعظيمها، والاشتراك في احتفالاتها وطقوسها، لأن اشتراك الجميع في تعظيم آلهتهم هو رمز للوحدة، وكفيل برضا الآلهة.

يضاف إلى ذلك أهمية تعظيم الجميع للأباطرة، وذلك بحرق البخور أمام تماثيلهم.

وقد كان القانون الروماني صارما جدا ضد من يخالف تلك القواعد.

وبسبب مخالفة اليهود لتلك القواعد فقد بطش بهم الرومان بطشا في الأعوام ٧٠ و ١٣٢– ١٣٥، فقد كانت فلسطين (بلد اليهود والنصارى) تحت سلطة الرومان.

---

[١] للأمانة العلمية فقد استفدت المعلومات المذكورة في هذا الملحق من المبحث الأول من كتاب: «تاريخ النصرانية – مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع.

٣. أسباب الضعف في انتشار رسالة المسيح الصحيحة بعد رفعه إلى السماء[1]

- لقد كان للانتهاء المفاجئ لوجود السيد المسيح على الأرض وبأسلوب عنيف بتدخل الحكومة الرومانية صدمة نفسية قوية على تلاميذ المسيح وأتباعه، الضعفاء ماديا ونفسيا وعلميا، والذين ليس بينهم تلميذ واحد له نفوذ ووجاهة بحيث يمكن اللجوء إليه لحماية دعوة المسيح والعمل على استمرارها ونشرها، فقد واجهوا هم أنفسهم اضطهادا أيضا من اليهود، فصار همُّهم هو النفوذ بجلدهم لئلا يحصل لهم تعذيب وملاحقة، فابتعدوا تماما عن فكرة حماية دعوة المسيح والعمل على استمرارها ونشرها، مما أدى إلى إضعاف نشر رسالته ودينه على المستوى العام، وتهيئ الفرصة لبولس اليهودي للبدء في تحريف رسالة المسيح، فانفتح الطريق له.
- ومن المناسب ذكره هنا هو أن دور الحواريين في نشر دين نبيهم المسيح عيسى ابن مريم مخالف تماما لدور أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) في نشر دينه (الإسلام)، فقد استمروا في نشر دينه في أرجاء الأرض بعد وفاته، فقد أسس محمد دولة، لها جيش وكيان، فنشروا دين الإسلام في البلدان، وبذلوا أنفسهم وأموالهم من أجل نشره تعاليمه وحفظ دينه، فحصل لهم ما أرادوا، فحُفِظ دينه إلى الآن وسيستمر محفوظا ومنشورا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
- ومِمَّا يُقال في هذا الصدد أن من أسباب الضعف في نشر تعاليم المسيح بعد رفعه هو أن اليهود لابد أنهم قد انتشوا بانتصارهم على المسيح بقتله – بحسب اعتقادهم –، فركزوا جهدهم على التلاميذ لاجتثاث دعوته من جذورها وإيقاف نشرها بشتى الوسائل، متمثلا ذلك في تهيؤ الفرصة لبولس للبدء في تحريف رسالة المسيح وتطبيقها في أرض الواقع.
- ومن أهم أسباب الضعف في نشر تعاليم المسيح هو أن بولس سَحب البساط من تحت تلاميذ المسيح لما ادَّعى أنه رسول مُعَيَّن من عند المسيح، فما عاد لتلاميذ المسيح أي أهمية بين الناس لأخذ الدين منهم إذ وُجِد بينهم نبي جديد – بظنهم –، يأخذون الدين منه مباشرة، فتسبب هذا في ضعف انتشار دين المسيح أيَّما ضعف.
- ومن أهم أسباب الضعف في نشر تعاليم المسيح أيضا هو عدم حفظ الإنجيل بنسخته الأصلية التي كانت بيد المسيح وتلاميذه، فإنه من الواضح والمنطقي والبدَهي، أن الإنجيل الذي كان بيد المسيح، والذي كان يُبشِّر به؛ أنه ليس واحداً من الأناجيل الأربعة التي بيد المسيحيين اليوم، ولا ينطبق على أيٍّ منها، إذ إن الأناجيل الأربعة كلها قد أُلِّفت بعد رفع المسيح، ومعها الثلاثة وعشرون رسالة الملحقة بها، فيكون المجموع سبعة وعشرين سفرا، وهذه الأسفار تمت كتابتها من قِبَل أشخاص لم يلتقوا بالمسيح ولم يروه لحظة واحدة، بل كتبوها بعد رفعه إلى السماء، وهي في محتواها غير متطابقة لا في النص ولا فيما تتضمنه من العقائد والقصص، وبينها من التناقض والاختلاف الشيء الكثير، وسيأتي الكلام على حقائق عن الأناجيل الأربعة في فصل مستقل.

---

[1] للأمانة العلمية فقد استفدت في إعداد هذا الملحق من المبحث الخامس من كتاب: «تاريخ النصرانية – مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع.

٤. العوامل الخمسة لمعرفة لماذا المسيحي والمسيحية مستمران في المسيحية بالرغم مما فيها من تناقضات؟[١]

- **العامل الأول**: إن جماهير النصارى (المسيحيين) لا يقرءون الأناجيل الأربعة وملحقاتها الثلاثة وعشرين، لأن الكلام فيها طويل ومتشعب ومتناقض وغير مفهوم، والقساوسة لا يعطونهم أجوبة مقنعة لأسئلتهم عليها لأنهم هم أصلا ليسوا فاهمين لها تمام الفهم، وهم مُحِقُّون في هذا، لأن تلك الأناجيل كلام بشر مثلهم، وهي مترجمة عن لغة أخرى، ومؤلفوها غير معروفين تماما، وعملية التعديل في الترجمات مستمرة على مر الزمان، وبناء عليه فإنه لا يمكن لبشر فهمها إلا بحجب العقل والمنطق.

- فالحاصل أن المسيحيين لا يقرؤون أناجيلهم من أولها إلى آخرها، إذ لا يبدو أن ذلك من متطلبات دينهم، ومن يقرؤها منهم فإنه لا يتجاوز الأدعية الموجودة فيها.

- **العامل الثاني**: نظراً لطبيعة الدين المسيحي الحالي، بعقائده وشعائره وطقوسه الوثنية المعقدة والغامضة، **التي تُجافي العقل والمنطق**، فقد عَمِد رجال الدين المسيحي **على مدار تاريخهم** على عدم تشجيع أتباعهم على طرح الأسئلة والاستفسارات عنها، وعن كتبهم المقدسة والأخطاء والتناقضات التي تتضمنها، واعتبروا أن مجرد الاستفسار عن تلك المواضيع **يعتبر دليلاً على عدم الإيمان بهذا الدين**، الذي يجب الإيمان به **من دون فهم أو إعمال للعقل**.

وسببُ ذلك المنع هو عِلمُهم الأكيد بأن من يتفكر من الناس – لاسيما المثقفين والمثقفات – بدينه وعقائده وشعائره وطقوسه الوثنية فإنه ستُستثار عنده كثيرٌ من الأسئلة والاستفسارات التي لن يجد إجابات أو إيضاحات منطقية وشافية لها، لا من القساوسة ولا من غيرهم، وسيقوده ذلك بلا أدنى شك إلى الحيرة وعدم الثقة بدينه، فيزهدُ فيه ويعافَهُ.

ولهذا فإن القساوسة يكتفون بزجر الرعية عن السؤال أو الإجابة بإجابة ضعيفة لا تساوي فلسا وهي قولهم (هذا سر).

ومن المعلوم أن الدين الحقيقي الصحيح ليس فيه أسرار، ولماذا الأسرار؟ كيف يصح في العقل أن أسير في النور مع كونه سر من الأسرار؟!

ثم إنه لم يأتِ في الأناجيل الأربعة وملحقاتها أن المسيح سأله سائل فلم يجبه، أو قال (هذا سر)، بل كان يذهب للجموع ويجيبهم على أسئلتهم ويعلمهم عبادة الله وأنه نبي.
فلو أن القساوسة يقتدون بالمسيح فعلا لفعلوا فِعله.

ولو أن النصارى يقرؤون كتبهم بأنفسهم بِـتَـمَـعُّنٍ وتمحيص، وبمعزل عن القساوسة، لاكتشفوا الحقيقة، وهي أن هذه الكتب لا يمكن أن تكون كتاب الله، ولاكتشفوا أن المسيحية المعاصرة لا يمكن أن تمثل دين المسيح، ولكن غالبهم يقلدون مجتمعهم المسيحي بدون تمحيص لمعتقداته، أو يخشون سطوة القساوسة، أو دخلوا في المسيحية بسبب استغلال الـمُبشرين لعامل الفقر أو الجهل أو المرض، كما يحصل في أفريقيا، الذين يُغزُون فقراء الناس بالدواء والتعليم والمال، وربما أغروهم بالجنس، (بأن يعرضوا عليه بنتا من بناتهم يستمتع بها متى أراد)، فيدخل ذلك الجاهل في المسيحية (دين بولس، وليس دين المسيح الحقيقي) ليحصل له ما أمَّله به ذلك الـمُبـشِّر.

ونتيجة لما تقدم فإن من المدهش أن الغالبية العظمى من المسيحيين — عربهم وعجَمِهم — لا يعرفون دينهم ولا تاريخه، ولا عن عقائدهم وشعائرهم وطقوسهم وكيف نشأت وتطورت، ولا عن أناجيلهم، وكيف ومتى أُلِّـفت، باستثناء رجال الدين والـمُنَصِّرين (الـمُبَشرين) المحترفين، والمتخصصين منهم بمقارنة الأديان.

---

[١] استفدت فقرات من هذا الفصل من كتاب: «تاريخ النصرانية»، ص ٢٦٧، عبد الوهاب بن صالح الشايع، حفظه الله.

- **العامل الثالث**: إن الذي قرره المجتمع المسيحي والكنائس المسيحية في نفوس عموم المسيحيين هو أن دينهم هو الدين الصواب، وأن طريقهم الذي يسيرون عليه يؤدي بهم إلى الخلاص، **هذه هي الفرضية الذهنية العميقة والمتغلغلة في أذهانهم، أنهم يسيرون في النور وعلى الدين الحق،** مع أنه لو وَجه إليهم إنسانٌ أسئلة أساسية عن دينه فإنه إما تكون الإجابة (لا أدري)، أو (ليس من حقك أن تسأل هذا السؤال)، وأما أن يجيبك إجابة علمية مقنعة فلا تظن حصول ذلك أبدا.

- **العامل الرابع** من عوامل استمرار المسيحيين في دينهم هو عدم اهتمامهم بتمحيص الأخبار التي يقرؤونها في كتبهم والتأكد من صحة ثبوتها والتوثُّق من ناقليها، حيث إنهم يعتمدون على أقوال المجهولين والنَّـكِرات، **ولا يبالون هل هي منقولة بنقل ثابت عن المسيح، أو أنها مجرد حكايات أو رؤى منامية وأحلام!**

فالنصارى قطعوا على أنفسهم نعمة النظر واستخدام العقل الذي وهبهم الله إياه، وسلَّموا دفَّة التَّـحكم والتوجيه إلى قساوستهم، يُسَيِّرونهم كما يشاءون، ويُمْلون عليهم ما يشاءون من تُـرَّهات وسخافات، فإذا استيقظ تفكير الواحد من الرعية وكان عنده شجاعة كافية وسأل القسيس سؤالا منطقيا وعجِز القسيس عن إجابته؛ رد عليه القسيس قائلا: (إن الإجابة سِرٌّ لا يُـدرك ولا يُفهم ولا يُعرف)!

والحقيقة أنهم لا يعلمونه ولا يدرون له وجهاً، وأَنَّ علم الطالب المبتدئ منهم مثل عِلم أكبر القُـسُس فيهم في مثل هذه القضايا، فلا بالشرع الواضح استناروا، ولا بالعقل استرشدوا.[١]

ومن المعلوم أن الأمر العقائدي إذا خلا من الدليل الشرعي والدليل العقلي فإنه يكون من إملاء الشياطين وأتباعهم.

- **العامل الخامس** من عوامل استمرار المسيحيين في دينهم هو تداول القصص والحكايات والمنامات التي يتناقلها القساوسة ويضحكون بها على عقول الرعية وعقول من يُبشرونهم – بزعمهم –، ابتداء من بولس الذي ادَّعى أنه رأى المسيح في المنام، وقسطنطين الذي رأى الصليب في المنام، إلى يومنا هذا، فإنك تجد القساوسة يقُصُّون على من يبشرونهم – مثلا – أن فلانا رأى المسيح في المنام، فأمره بالدخول في المسيحية، فدخل فيها فحصل له خير كثير، وآخر رأى في المنام أنه كان في سجن، فلما رأى الصليب دخل في المسيحية فخرج من السجن، وخُذ من هذه الخرافات، ولو كانت المسيحية هي دين الله حقا، وكانت الأناجيل الأربعة وملحقاتها هي كتاب الله حقا؛ لما احتاج القساوسة إلى رؤى ومنامات، بل لرجع القسيس إليها وأجاب منها، كما هو الحاصل مع القرآن الذي بيد المسلمين، ولَـصَـمَـدَ القسيس في النقاشات العلمية، وما هرب من النقاشات وسلك أسلوب الترغيب بذكر الحكايات المنامية، أو الترهيب باستعمال أسلوب الضرب وهتك العرض في غرف الكنيسة، أو التهرب من الإجابة بقول (إن هذا سر لا يعلمه إلا القساوسة!)

وللعلم، فإن للشيطان له مقدرة على التلاعب في عقول الناس في المنامات، فالواجب الحذر، فإن الدين الصحيح لا يؤخذ من المنامات، بل بالوحي الثابت المحفوظ من عند الله، وإلا فإن الإنسان قد ينام ويرى أنه صار مِلكا أو رئيسا أو رجلا ثريا، فإذا استيقظ فإذا هو كما هو!

---

[١] هذه النقطة نقلتها بتصرف من «موسوعة الأديان»، الباب الثالث: النصرانية وما تفرع عنها، الفصل السابع: عقيدة النصارى، المبحث الثالث: الاتحاد (التجسد).

الناشر: الدرر السنية. (www.dorar.net/enc/adyan/477).

٥. الدين المسيحي المعاصر ليس من عند الله، بل هو دينٌ من وضع البشر وصنعِهم، يُصادم العقل والمنطق والفطرة السليمة في عقائده وشرائعه وطقوسه وأسراره

- يتصف الدين المسيحي الحالي بأنه دينٌ يُصادم العقل والمنطق والفطرة السليمة في عقائده وشرائعه وطقوسه وأسراره، ولا يفهمه لا قساوستهم ولا أتباعهم من المسيحيين، لذا فمن أراد أن يؤمن بهذا الدين فيجب عليه أولا أن يُلغِي عقله تماما اتّباعا لنصيحة قساوستهم ومُنَصِّريهم، لأن دينهم لا يُفهم بالعقل، لأنه فوق مستواه – بحسب زعمهم –، بل يجب الإيمان به من دون فهم أو تفكير أو إعمال للعقل، وإن أصبحوا في زمننا الحاضر يتحرَّجون من ترديد هذه المقولة أمام غير المسيحيين، إلا أنهم مُكَبَّلون بها ويسيرون على خطاها، فليس لهم بديل آخر.[١]
- ولهذا السبب فإن الديانة المسيحية الحالية لا تعتمد في إثبات صدق وصحة كل ما يتعلق بها، والدفاع عنها في أي جانب من جوانبها العقائدية والشعائرية أو طقوسها أو أناجيلها، على الأدلة والبراهين العقلية المنطقية المُقنِعة، مع أن قساوستهم ومُنصِّريهم يتظاهرون بخلاف ذلك، لأن أعدى أعداء الدين المسيحي الحالي هو الدليل والبرهان والعقل والمنطق.[٢]
- وبعبارة مختصرة فإن المسيحية الحالية مناقِضَة للعقل من كل وجه، لا يلتقيان أبدا.
- وهذا مما يدل على أن المسيحية الحالية ليست دين الله، فإن الله حكيم خبير، لا يُشرِّع إلا شرائع توافق العقل، وتُصلِحُ حال البشر، وتوثق العلاقة بينهم وبينه، ولم يشرع شرائع تحول بينه وبين خلقه.
- كما أن الله خلق العقل لنستفيد منه وليس لنطرحه جانبا، ونجعله عدوا أجنبيا عنا، وإلا فما الفرق بيننا وبين المجانين؟
- فهذا كله يدل على أن المسيحية الحالية ليست إلا خليطا من أديانٍ من عمل البشر، وإن تسمَّت باسم المسيح، فإن العبرة بالحقائق وليس المسميات.
- قال الباحث الأستاذ عبد الوهاب بن صالح الشايع حفظه الله:

«وقد أثبت التاريخ، أن هذه العقيدة الوثنية المثلثة (الأب والابن والروح القدس) والتي يدَّعون أنها إله واحد، الغريبة على ديانة المسيح عيسى ابن مريم، لم يفهمها لا المسيحيون الذين اعتنقوها طواعية، ولا الذين أُجبِروا على اعتناقها، ولم يستطع المسيحيون – بما فيهم رجال دينهم على اختلاف رتبهم إلى اليوم – إقناع أحد بها، وذلك لغموضها وتعارضها مع الفطرة السليمة للإنسان، واستحالة قبول العقل لها.

إن المسيحية الحالية، بعد أن كانت مقبولة من الشعوب شبه البدائية في أوروبا، منذ أيام مبتدِعها وباذر بذرتها الأولى شاول (بولس الرسول) مروراً بالقرون الوسطى المظلمة في أوروبا، لم تعد تناسب المسيحيين المتعلمين والمتفتحين في العصر الحديث في كل مكان، لذا فقد زَهِدوا فيها وأخذوا يهجرونها، ويعتنقون أدياناً أخرى، ومنهم من اتجه نحو العلمانية والإلحاد، كافرا بكل الأديان.

يقول «جوستاف لوبون»[١] في هذا السياق: "كيف يؤمن الرجل الحديث بوجود إله حقود يُحَمِّل وزر معصية الإنسان الأول ذراري[٢] هذا الإنسان، فيجعل ابنه الوحيد – يسوع – يُكَفِّر عن تلك الخطيئة الواهية؟"[٣]» انتهى كلام الشايع حفظه الله.[٤]

---

[١] نقلا من كتاب: «تاريخ النصرانية»، ص ٢٥٩، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع، حفظه الله.

[٢] المصدر السابق، ص ٢٦٠، بتصرف يسير.

- قلتُ: ولْـيُجرب القارئ الكريم ذلك بنفسه، بأن يسأل ثلاثة من المسيحيين هذا السؤال، كل واحد منهم على انفراد ويقارن بين الإجابات، ليتأكد بنفسه من صحة المعلومة المذكورة أعلاه:

من المعلوم أن الإنجيل الذي كان بيد المسيح كان إنجيلا واحدا، فلماذا هي الآن أربعة؟

ولماذا هي منسوبة إلى (يوحنا، مرقس، لوقا، متى)، وليست منسوبة إلى المسيح نفسه؟

[١] تقدم التعريف به.

[٢] «ذراري» جمع «ذرية»، وهي ما تناسل من الإنسان.

[٣] «حياة الحقائق»، ص ٨٥.

[٤] «تاريخ النصرانية»، ص ٢٢١ – ٢٢٢.

٦. موقف شريحة من المسيحيين المثقفين من المسيحية المعاصرة

هذه التناقضات في عقائد المسيحية المعاصرة وحالة (اللا منطقية) أدت إلى نتيجة عكسية بين جمهور المسيحيين، لاسيما المثقفين والمثقفات، ألا وهي الهروب من المسيحية، فقد اتجهت شريحة ليست بالقليلة من المسيحيين إلى الإلحاد، وهو إنكار الأديان وإنكار وجود الخالق، وذلك لما اتضح لهم بجلاء أن الدين المسيحي مناقض للعقل من كل وجه ولم يكن بين يديهم البديل الصحيح وهو الإسلام.

وسعيد الحظ من هؤلاء المسيحيين هو من حصلت له فرصة السفر إلى بلاد المسلمين أو قراءة القرآن أو التواصل مع المسلمين في وسائل الاتصال الحديثة، فعرف الحق ودخل في الإسلام وارتاح واطمئن.

٧. ليس للدين المسيحي أي دور في التقدم الحضاري المعاصر، بل لم يحصل التقدم إلا بعد عزله عن الحياة تماما[1]

من الطبيعي ألا يكون للديانة المسيحية الحالية أي دورٍ مهما كان على الإطلاق في النهوض بأتباعها من المسيحيين – أوروبيين وأمريكان وغيرهم – وتقدمهم في أي وجه من وجوه الحضارة المادية المعاصرة مهما كان صغيراً أو تافهاً, **نظراً لتصادمها مع العقل والمنطق**, ولذلك فقد كان للمسيحية الحالية دور سلبي وهدام ومعاكس للعلم والتقدم الحضاري في أوروبا وغيرها من المناطق التي استقرت فيها, فالحضارة والتقدم على جميع الأصعدة الإنسانية والعلمية, والدين المسيحي الحالي على طرفي نقيض.

ولذلك وُصِفت القرون الوسطى في أوروبا – التي دامت نحو ألف سنة – بقرون الظلام, عندما سادت وتحكمت الديانة المسيحية في أوروبا بقيادة الكنيسة الكاثوليكية وبابواتها وكرادلتها في الفاتيكان في روما, بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية في سنة ٤٧٦م.

فهذا الذي تراه من تقدم على جميع الأصعدة العلمية والثقافية والصحية, والنظافة الشخصية في الجسم والملبس والسكن ... الخ, والديموقراطية, وتقديس حرية التعبير في أمور الدنيا والدين, وحقوق الإنسان في أوروبا والغرب عموماً, كلها كانت من المحرمات والمحظورات التي لا يمكن للمسيحيين مجرد الحلم بها, إبَّان تحكم الديانة المسيحية, بقيادة باباوات الكنيسة الكاثوليكية وكرادلتها في أوروبا.

ولم تتقدم أوروبا في مضمار العلم والحضارة إلا بعد أن نجحت في كسر الطَّوق الذي كبلتها به الديانة المسيحية, ممثلة في الكنيسة الكاثوليكية وبابواتها وكرادلتها وغيرهم من القساوسة لمدة ثمانية عشر قرناً من الزمان, وتحجيم الدين المسيحي المحرف, وسجنه داخل الكنائس لا يتعداها, وبعد أن دفعت ثمناً باهظاً من دماء أبنائها, التي سالت كالشلالات في أوروبا, ثمناً لانعِتاقها من قيود الكنيسة ودينها المحرف.

وهذا على عكس الحال مع الدين الإسلامي, ممثلاً بالقرآن الكريم وأحاديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم, الذي بنى المسلمون على أساسهما وبتعاليهما في فترة وجيزة حضارة إنسانية راقية ومتقدمة في جميع المجالات, امتدت من حدود الصين شرقاً, حتى شبه الجزيرة الأيبيرية غرباً.

ولهذا نرى كثيرا من المسلمين من هو متمسك بدينه غاية التمسك، ويدعو إلى دين الإسلام في وسط الدول الغير إسلامية، وهو مع هذا له يد طولى في ميادين الصناعة والزراعة والتجارة، ولم يمنعه الإسلام من تطوير ذاته ومجتمعه في أمور الدنيا والدين، بل يحثه عليه، قال الله تعالى ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذَلُولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾.

وخلاصة الكلام؛ لو لم يقف الغربيون بوجهِ دينهم المسيحي المحرف ورجاله الذين أذاقوهم صنوف الضيم والويل والقهر والاضطهاد في القرون الوسطى ووقفوا حجر عثرة أمام تقدمهم الحضاري، وفصلوا – أي الغربيون – هذا الدين الوثني

[1] استفدت فقرات من هذا الفصل من كتاب: «تاريخ النصرانية»، ص ٢٦٠ وما بعدها، للأستاذ عبد الوهاب بن صالح الشايع، حفظه الله.

البشري المتخلِّف عن سياسات الدولة وأنظمتها، وعزلوه داخل جدران الكنائس لا يتعداها — فيما عُرِف لاحقا بفصل الدين عن الدولة — بعد أن دفعوا أنهاراً غزيرة من دمائهم، ثمناً لعِتقِهم من تسلط دينهم المحرف ورجاله على مقدراتهم؛ لظل المسيحيون إلى اليوم يعيشون في ظلمات العصور الوسطى المسيحية.

وللعلم فإن ما نراه اليوم من تساهل أو غض نظر أو عدم مبالاة من قِبَل رجال الدين المسيحي في الغرب، عما يروه من خروج أتباعهم من دينهم المحرف إلى الإلحاد أو اعتناق أديان أخرى؛ فذلك كله راجع إلى سلب السلطات التنفيذية — التي كانوا يتمتعون بها — من أيديهم، وليس مردُّه إلى التسامح الديني، الذي يحاولون أن يتظاهروا به، ركوباً لموجة حقوق الإنسان... إلخ.

٨. فائدة في مصطلح «المسيحية»[١]

- لم يكن اسم «المسيحية» ولا «المسيحي» معروفا في عهد المسيح وما بعده إلى نحو خمسة عشر سنة إلى خمسة وعشرين سنة على وجه التقريب، ولا توجد هذه الكلمة في أيٍّ من الأناجيل الأربعة ولا الرسائل الملحقة بها، ومنشؤُها كان عندما لاحظ الوثنيون الرومان من أهالي مدينة أنطاكية وغيرهم أن هناك تغيرا واضحا أخذ يطرأ على الجماعة التي تبِعت بولس، والتي تتكون من اليهود والوثنيين الذين تهودوا طبقا لتعاليم بولس، وتميزوا بوضوح عن بقية اليهود المتمسكين بدينهم اليهودي، فأطلقوا على تلك الجماعة اسم المسيحيين – نسبة إلى المسيح عليه السلام – ، وهذا هو الإثبات لما تقدم من الكلام: جاء في «أعمال الرسل» (٢٦/١١): وفي أنطاكية أُطلِق على تلاميذ الرب **أول مرة** اسم «المسيحيين».
- يؤيد هذا أن الوثنيين الذين دخلوا في دين بولس هم أنفسهم واجهوا مشكلة الحاجة إلى هوية يستظلون تحت رايتها بعدما انفصلوا عن قواعدهم الوثنية السابقة ودخلوا في الدين الجديد الذي أسسه بولس لهم، واحتاجوا أيضا إلى أن يكون هذا الدين متميزا عن دين المسيح الأصلي الذي جاء به المسيح، فتسموا بالمسيحيين.
- فبناء على هذا فإطلاق لفظة المسيحية أو المسيحي على أتباع المسيح ممن كانوا في وقت المسيح إلى بعد رفعه بربع قرن تقريبا يعتبر خطأً دينيا وتاريخيا، ويساهم في خلط الصورة وتشويهها بين الدين الحق والدين المزيف من جهة، وبين أتباع المسيح وأتباع بولس من جهة أخرى.
- وديانة بولس والتي سُمِّيت لاحقا (المسيحية) – كما ترى أيها القارئ الكريم والقارئة الكريمة – هي ذات عقائد وشعائر وطقوس وثنية وأسرار غامضة ومعقدة، لم (ولن) يستطيع أحد فهمها ولا الإجابة عنها، ولا حتى كبار رجال الدين المسيحي استطاعوا ذلك على مر القرون العشرين الماضية.

[١] للأمانة العلمية فقد استفدت هذه الفائدة العلمية من كتاب: «تاريخ النصرانية – مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، ص ١١٣، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع.

٩. هل اتخاذ شعار الصليب من دين المسيح؟[1]

- اتخذ المسيحيون الصليب شعارا، وهم يعبدونه ويحلفون به، مع أنه جماد من الجمادات، لا ينفع ولا يضر، ينحتونه في وِرش الحدادة والنجارة ثم يعبدونه.
- ولم يأتِ ذكر اتخاذ الصليب رمزا لدين المسيح لا في الأناجيل الأربعة ولا في الرسائل الملحقة بها، والتاريخ يدل على أن المسيحيين لم يتخذوا الصليب شعارا إلا بعد مجمع نيقية الذي عُقِد في سنة ٣٢٥م، وقد كان الرومان يُلزِمون المحكوم عليهم بالإعدام صَلبا بحمل الصليب حتى يوم تنفيذ الحكم فيهم.
- وقد كان الامبراطور الروماني (قسطنطين الأول) أول من استخدم الصليب شعارا على تروس جنوده وكان آنذاك لا يزال وثنيا، لم يتحول للمسيحية.

فقد ذكر المؤرخ المسيحي (د. أسد رستم) فيما معناه أنه في إحدى المعارك في سنة ٣١٢م شاهد قسطنطين فوق قرص الشمس قبل المغيب **صليبا من نور** مكتوبا عليه (بهذا تَغْلِب)، كما رأى في **منامه** تلك الليلة السيد المسيح حاملا هذه الشارة نفسها، موصِيا إياه باتخاذها راية يهجم بها على عدوه، فلما استيقظ من نومه أمر برسم الصليب على تروس جنوده، وخاض المعركة **وانتصر**، وقد أصبح هذه الشعار (الصليب) فيما بعد راية لدولة الروم.[2]

- وبهذا تتبين هشاشة القواعد التي تقوم عليها المسيحية، فالصليب الذي يتخذه المسيحيون شعارا أساسُه رؤيا منامية وليست وحيا من عند الرب (الله) ولا تعليما للمسيح مدونا في أيٍّ من الأناجيل الأربعة التي أُلِّفت بعد رفعه.
- وعلى أحسن تقدير فقد كان من المفترض لكي يكون الصليب شعارا صحيحا عند المسيحيين أن يكون من تعاليم بولس، ولكنه لا هذا ولا هذا، ومع هذا فقد جعله المسيحيون شعارا لدين المسيح، والمسيح لا يعرف عنه شيئا، ولم يُصلب عليه أصلا!
- أضف إلى هذا أنه من المفروض أن يُبغِض المسيحيون الصليب، لأنه الآلة التي صُلِب عليها إلٰهُهم —كما يعتقدون!

ألَيس كذلك أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة؟[3]

---

[1] للأمانة العلمية فقد استفدت هذه الفائدة العلمية من كتاب: «تاريخ النصرانية — مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، ص ١٥٨، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع.

[2] كتاب «الروم»، (٥٣/١)، وانظر «قصة الحضارة»، (٣٨٤/١١)، وِل ديورانت.

[3] ينظر كتاب «أربعون دليلا على بطلان عقيدة توارث الخطيئة وصلب المسيح»، تأليف: ماجد بن سليمان الرسي، وهو منشور في شبكة المعلومات بهذا العنوان.

١٠. عبادات وعادات وطقوس ومنافع شخصية دخلت في دين المسيح بعد رفعه إلى السماء[١]

لقد كانت ديانة المسيح ورسالته – قبل رفعه إلى السماء وتعرضها للتحريف من قِبَل بولس ومن بعده – كانت بسيطة وسهلة، وخالية من التنظيم الكهنوتي المعقد الموجود في الكنائس الكاثوليكية والقبطية والشرقية، كنظام البابوات والبطارقة والكرادلة والرهبان، ولم تُعزف الموسيقى في المعبد الذي كان يصلي فيه المسيح، ولم يُدق فيه ناقوس، ولم تُعلق فيه صلبان، ولم يكن هناك اعترافات بالذنوب أمام الكهنة، ولم يكن هناك صكوك غفران، ولم يكن الزواج محرما على القساوسة والرهبان قبل مجمع نيقية، ولم يكن هناك صور للمسيح وأمه، ولم يكن يحتفل بما يسمى بعيد الميلاد أو «الكريسماس»، ولم يكن هناك ما يسمى بشجرة عيد الميلاد، أو «بابا نويل»، ولم تكن هناك أعياد غير التي يحتفل بها قومه اليهود والتي من أهمها «عيد الفُصح» أو عيد الفطر «الإيستر»، وما سوى ذلك فلم يفعله المسيح ولم يأمر به لما كان على الأرض، والدليل على هذا كله أن شيئا من هذا لم يُذكر في الأناجيل الأربعة، ولو أنه حصل لذُكِر فيها، لأنه من الأمور التي تتوافر الهمم على نقلها، فبناء على ذلك فكل هذه العادات طارئة على دين المسيح، لم يعلمها ولم يفعلها لا هو ولا تلاميذه.

ومما يدل على فساد الدين الذي يسير عليه المسيحيون الآن وأنه بعيد كل البُعد عن دين المسيح الأصلي هو استباحة المسيحيين لأكل لحم الخنزير وعمل فاحشة الزنا (وهو عمل العلاقة الجنسية خارج إطار الحياة الزوجية)، مع أن الزنا من القبائح المعلومة بالشرع وبالعقل وبالفطرة، فالكثير منهم يقترفه بلا حياء من الله ولا من الناس، سواء رجال الدين وغيرهم مِمَّن يُسمَّون بالرعية، يفعلون الزنا بالكنائس التي هي دور العبادة عندهم، مع أن الزِّنا محرم في كتبهم، والقساوسة يفعلون هذا مع نساء متزوجات، وفي هذا اعتداء على كرامة أزواجِهن بلا مبالاة منهم وبلا شعور بالذنب، وقد تحمل الواحِدة منهن منه، وهذا محتمل جدا بطبيعة الحال، وتأتي بطفلة مثلا، يقوم زوج تلك المرأة التي عاشرها القسيس وحملت منه على تربيتها حتى تكبر، وهو يحسب أنه أبوها وهو ليس كذلك، وزوجته بطبيعة الحال ربما تعلم بحقيقة الأمر ولكنها لا تستطيع أن تبوح بسرها حتى لا تُفتضح، وربما لا تعلم بأن الطفلة من القسيس، لأن كِليهما يعاشرها، فإذا كبرت الطفلة وصارت امرأة جاءت إلى الكنيسة، فربما استدرجها أبوها الحقيقي (القسيس) إلى الفراش وهو لا يعلم أنه أبوها، واستمتع بها، فإلى أي نور ومحبة – بل إلى أي جحيم – يسوق القساوسة أتباعهم من الرعية!

جاء في إنجيل متى (٥/٢٧–٣٠) في تحريم الزنا أن المسيح قال لتلاميذه:

«قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تزنِ.

وأما أنا فأقول لكم : إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها، فقد زنى بها في قلبه.

فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم.

---

[١] للأمانة العلمية فقد استفدت فوائد في هذا الملحق من كتاب: «تاريخ النصرانية – مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، ص ١٥٧، ١٦٦، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع.

وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم».

وفيما يتعلق بأكل لحم الخنزير، فقد جاء في سفر اللاويين (٧/١١) أن الرب قال لموسى وهارون في معرض الكلام عن الحيوانات المحرم أكلها:

«والخنزير. لأنه يشُق ظِلفا ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر. **فهو نجس لكم**».

والواقع أن المسيحيون — بما فيهم القساوسة - يأكلون الخنزير بشراهة، فأيُّ تمسك بدين المسيح تسير عليه جماهير المسيحيين؟!

١١. مقارنة بين التشريع البشري المسيحي الذي وضعه القساوسة وبين التشريع الإسلامي الرباني المحفوظ كما هو منذ أنزله الله قبل ١٤ قرنا

وضَع رجال الدين من المسيحيين في مجامعهم قوانين دينية بشرية (ليست من عند الرب)، لم تكن معروفة في وقت المسيح، واتفقوا على أن من خالف تلك القوانين فهو كافر ملعون، فاتضح من هذا لكل ذي عينين أن تلك القوانين بشرية جاء بها الرهبان والقساوسة ورجال الدين من عندِ أنفسهم، وجعلوها بمنزلة حكم الرب، وبعبارة أخرى فقد جعلوا أنفسهم أربابا مع الله، إذ جعلوا لأنفسهم سلطة التشريع الدينية، التي لم يُفَوضها الرب لأحد إطلاقا.

ثم إن رجال الدين على مرور الزمن انقسموا على تلك التشريعات، فالذين كانوا يشهدون لبعضهم بالإيمان في المجامع الكنائسية صار يُكفِّر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا، كما هو واضح للمطلع على أسباب انعقاد تلك المجمعات والقرارات الصادرة منها، وليس هذا الاختلاف منهم بغريب، لأن تلك القوانين بشرية وضعية، والبشر مختلفون وناقصون في فهمهم وعلمهم، ولو كانت تلك القوانين من مصدر واحد وهو الله لما حصل ذلك الاختلاف.

وهنا يتبين فضل الإسلام والقرآن، فالمسلمون في جميع أنحاء الدنيا لم يختلفوا على أصول دين الإسلام **إطلاقا**، لأنهم لم يجعلوا التشريع لأحد من البشر، لم يجعلوه إلا لله وحده، ومن المعلوم أن التشريع الإسلامي مُدَوَّن كله في القرآن، والقرآن محفوظ في الصدور، يحفظه الملايين من البشر على مر القرون، وكذلك هو محفوظ في المصاحِف.

فالحاصل أن المسلمين يأخذون عقيدتهم من القرآن ومن أحاديث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، بينما المسيحيون يجتمعون في مجامع كنائسية، ويقررون عقائد، ثم يُدخِلونها في المسيحية التي يعتقدون أنها دين المسيح، ثم يبثونها في كتبهم وفي كنائسهم بين الناس على أنها عقائد يجب اعتناقها، مع اعترافهم في باطنهم بكونها لم ترد في الأناجيل التي بين أيديهم.

فالمسلم يعبد ربه ويطيعه ويطلب منه مغفرة الذنوب، والمسيحي يعبد القسيس ويطيعه ويطلب منه مغفرة الذنوب.

فالفرق بينهما كالفرق بين السماء والأرض، وبين النور والظلام.

١٢. شبهة والجواب عليها

احتج بعضهم بأن المسيح هو ابن الله (بُنُوَّة نَسَب) بأن المسيح ليس له أبٌ بشري، فبناء عليه فإن أباه هو الله.

والجواب عن هذه الشبهة: أن هذا الكلام لا يستقيم، لأن الله خلق أبانا آدم وحواء بلا أم ولا أب، ولم يقل أحد أن أباهما هو الله.

ثم إن الله على كل شيء قدير، لا تَحْكُمه عادة، ولا يُعجزه أمر، فالله قادر على أن يخلق بشرا من ذكر وأنثى، كما هو حال سائر البشر، وقد يخلق من غير ذكر وأنثى، كحال أبينا آدم، وقد يخلق من ذكر بلا أنثى، كحال أمنا حواء التي خلقها الله من ضِلع آدم، **وقد يخلق من أنثى بلا ذكر، كحال المسيح ابن مريم**، وقد يخلق من الرجـــل الكبير ومن الأم العاقر، كحال الأنبياء إبراهيم وزكريا، وقد لا يخلُق من الذكر والأنثى شيئا، لا ذكر ولا أنثى، كحال من به عُقم، وقد يخلق من الزوجين ذكورا بلا إناث، وقد يخلق منهما إناثا بلا ذكور، وقد يخلق منهما ذكورا وإناثا، فالله قادر على كل شيء، سبحانه وتعالى، إذا أراد شيئا فإنما يقول له (كن) فيكون.

قال الله في القرآن ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾، وقال الله أيضا القرآن ﴿لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور * أو يُزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير﴾، ومعنى الآية الكريمة: لله سبحانه وتعالى ملك السموات والأرض وما فيهما، يخلق ما يشاء من الخلق، يهب لمن يشاء من عباده إناثًا لا ذكور معهن، ويَهَبُ لمن يشاء الذكور لا إناث معهم، ويَهَبُ لمن يشاء من الناس الذكر والأنثى، ويجعل مَن يشاء عقيمًا لا يولد له، إنه عليم بما يَخْلُق، قدير على خَلْق ما يشاء، لا يعجزه شيء أراد خلقه.

وبعد هذا التقرير أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة: أيهما أقرب للعقل والمنطق، أن نقول إن الله خلق المسيح في بطن أمه بكلمة (كن) فكان المسيح في بطن أمه، أم نقول إن المسيح هو ابن الرب، وأنه ذو طبيعتين إلٰهية وبشرية، ونتجاهل كل صفات المسيح البشرية التي رآها الناس بعيونهم، والتي وردت في الأناجيل الأربعة وملحقاتها؟!

أترك الإجابة للقارئ المنصف المتجرد في البحث عن الحق.

١٣. فائدة في معنى كلمة (ابن الله) الواردة في بعض الأناجيل[1]

- لفظة (ابن الله) الواردة في مواضع من الأناجيل يجب أن يُردُّ فهمها إلى لغة المسيح عليه السلام، وبالرجوع إلى المراجع الإنجيلية نجد أن كلمة الابن تعني **الرعاية والمحبة والهداية والإيمان والتشريف**، وهذا الوصف منطبقٌ على المسيح وتلامذته على وجه الخصوص، كما أنه منطبق على غيرهم من بني إسرائيل ممن اتبع المسيح وعمل بشريعته التي أرسله الله بها.

يدل لهذا المعنى ما جاء في إنجيل يوحنا (١/١٢): (أولاد الله أي **المؤمنون باسمه**).

وفي رسالة بولس إلى أهل رومية (٨/١٤): (لأن كل الذين **ينقادون بروح الله**، فأولئك هم **أبناء الله**).

ثم قال في (٨/١٦): (الروح نفسه أيضا يشهد لأرواحنا **أننا أولاد الله**).

وفي إنجيل متى (٥/٩) قال المسيح: (طوبى لصانعي السلام، لأنهم **أبناء الله** يُدعَون).

وكما في قول المسيح لتلاميذه: (وصلُّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا **أبناء أبيكم** الذي في السماوات). (متى ٥/٤٤-٤٥).

فألفاظ (ابن الله) التي جاءت في الأناجيل والكتب المقدسة عند المسيحيين استُخدمت في المسيح وفي أتباعه على حدٍّ سواء، وجاءت في حق المؤمنين به ومُحِبِّي الخير والسلام، والمحافظين على العبادات، فتبين بهذا المعنى الحقيقي لهذا المصطلح في الأناجيل (ابن الله)، وأن المقصود ليس البُنُوَّة على وجه النَّسب والتناسل، ولو كان هذا حقا لكان جميع الناس أبناءه، ولما اختص المسيح بها، وهذا لا يقوله أحد.

- ثم إن وصف (الابن) جاء في وصف بشر كثير **جاؤوا قبل المسيح**، فهو وصفٌ لم يُخْتَصَّ به المسيح عليه السلام ومن معه، ومن ذلك ما جاء في العهد القديم قول الله **لداود** عليه السلام: (**أنت ابني**، أنا اليوم ولدتك[2]، اسألني فأعطيك). (المزامير ٢/٧).

- بل جاء في العهد القديم وصف جميع أولاد آدم بأنهم أبناء الله، كما في سفر التكوين في بداية الإصحاح السادس عند الحديث عن البشر بعد آدم:

"وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض ووُلِد لهم أبناء **أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهم حسَنات**[3]، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا".

- ويدل لما تقدم أيضا أن كلمة (أبناء الله) يقال في مقابلها (أبناء الشيطان، وأبناء الأفاعي)، كما جاء في الأناجيل في وصف اليهود: (يا أبناء الأفاعي)، والكل يعلم أنهم ليسوا أبناء الأفاعي من النَّسب، ولا أبناء الشيطان من النَّسب، وإنما نُسبوا إلى الأفاعي لمكرهم وخطرهم وسمومهم الفكرية، كما نُسِبوا إلى الشيطان لتلبيسهم وكذبهم.

---

[1] للأمانة العلمية، ونسبة الفضل لأهله؛ فقد استفدت من مقال للدكتور خالد بن عبد الله بن عبد العزيز القاسم، بعنوان: «عقيدة التثليث: حقيقتها وأدلة بطلانها»، ونقلت فوائد منه إلى هذا المقال.

[2] أي خلقتُك، فخرجت إلى هذا الدنيا مولودا من بطن أمك بأمر الله، فنسب الله الولادة لنفسه، لأنه هو الذي أمر بها.

[3] حسَنات أي جميلات.

- فالحاصل أن كلمة (ابن الله) إذا وردت في الأناجيل فإنها لا تعني بُنُوَّة النسب، وإنما يُقصد بها وصف من جاءت هذه الكلمة في حقه بأنه في رعاية الله، وأنه قريب من الله.

أما المعنى الثاني للبُنُوَّة فهو بُنُوَّة النسب التي تحصل بالتناسل، والذي يكون فيه الابن قِطعة من أبيه، فلا شك عند كل ذي لبٍّ وإيمان وبصيرة أن هذا المعنى منتفٍ عن الله سبحانه وتعالى، لأنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه بُنُوَّة نسب قَطْ، لأن الله لَم يلِد ولَم يولد، كما أن الله غني عن العالمين، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، واتخاذ الولد والزوجة لا يكون إلا عن حاجة، والله مُنَزَّهٌ عن أن يخلق الشيء ثم يحتاج إليه.

تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

والمقصود بالبُنُوَّة في الأناجيل هو المعنى الأول، كما تقدم تقرير ذلك.

فصل في تصريح المسيح بأنه إنسان بشر، وهذا قاطع للخلاف وحاسمٌ للمسألة

ومما يوضح معنى كلمة (ابن الله) الواردة في الأناجيل هو تصريح المسيح بأنه من نسل بشري ليس لاهوتيا، فلو أن المسيح ابن الله على الحقيقة لما قال إنه بشر، لأنه سيكون كاذبا، حاشاه من ذلك.

وقد جاء وصفُ المسيح عيسى عليه السلام نفسه بأنه ابن الإنسان في مواضع عديدة في الأناجيل، وقد تقدم ذكر جملة من الأدلة على ذلك، منها:

- ما ورد في إنجيل لوقا في الإصحاح التاسع، عدد ٥٦، القول عن المسيح نفسه:

«لأن ابن **الإنسان** لم يأت ليُهلك أنفس الناس».

فهذا النص صريح في أن المسيح ليس ابن الله وإنما ابن الإنسان، وهو الجنس البشري.

- وفي إنجيل يوحنا (٨-٢٨) قال المسيح:

«قال لهم يسوع: متى رفعتم **ابن الإنسان**، ... **ولست أفعل شيئا من نفسي**».

أليس هذا يدل على أن المسيح بشر؟

لو كان المسيح ربا لما وصف نفسه بالبشرية في قوله (ابن الإنسان)، ولما قال (لست أفعل شيئا من نفسي)، لأن رب الكون يفعل كل شيء، ويدبر أمر الكون كله، ولا يمكن عقلا أن يقول المسيح (لست أفعل شيئا من نفسي) لو كان هو رب الكون.

- وفي إنجيل متى (١/٣٤) قال يسوع عن نفسه للجموع: «جاء **ابن الإنسان** يأكل ويشرب».

- كما قال المسيح لمن يريد قتله: «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني. وأنا **إنسان** قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله. هذا لم يعمله إبراهيم». يوحنا (٨/ ٤٠).

- بل لما قيل لعيسى عليه السلام (أنت ابن الله) كان خاتمة جوابه أنه ابن **الإنسان**. يوحنا (١/ ٤٩-٥١).

فوصْفُ المسيح - عليه السلام - لنفسه بأنه إنسان دليل واضح وصريح على أنه بشر، فهل من يقول هذا الكلام قد قام في نفسه مجرد ظن أنه هو الله أو ابنه، ونزل يدعو الناس إلى عبادة نفسه؟

- وفي الأناجيل إشارات أخرى لبشرية المسيح، انظر: لوقا (١٧/ ٢٢) (١٨/ ٨)، متى (١٢/ ٣٢).

فالحاصل أن كلمة (الابن) إذا أطلِقت على المسيح فإنها لا تعني أن المسيح هو ابن الله من جهة النسب والتناسل، لا، بل المعنى هو أن الله هو الراعي له والمُرَبِّي.

فصل في معنى كلمة (الأب)

لفظة (الأب) الواردة في مواضع من الإنجيل يجب أن يُرَدُّ فهمها إلى أيضا لغة المسيح عليه السلام، وبالرجوع إلى إنجيل يوحنا نجد أن كلمة (الأب) تعني الراعي والمُـربِّي والقائم على الشيء، ومن المعلوم أن الله هو القائم على هذا الكون كله بما فيهم البشر، فهو أبو الكون بهذا المعنى، فقد جاء عن اليسوع في يوحنا (٢٠/ ١٧): «إني أصعد إلى **أبي وأبيكم**، وإلٰهي وإلٰهكم».

وقال اليهود ليسوع: «لنا **أب واحد** وهو الله». (يوحنا ٨/ ٤١).

وقال المسيح لتلاميذه: «وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مِخدَعِك وأغلق بابك، وصَلِّ إلى **أبيك** الذي في الخفاء. **فأبوك** الذي يَرى في الخفاء يجازيك علانية». (متى ٦/٧).

وقال أيضا لتلاميذه: «احتَـرِزوا من أن تصنعوا صدقتكم قُدَّام الناس لكي ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند **أبيكم** الذي في السماوات». (متى ٦/١).

وفي سفر أشعيا (٦٤/ ٨) قول أشعيا: «يا رب أنت **أبونا**».

ومثل هذا الكلام المنسوب إلى المسيح وغيره كثير، وكله شاهد على أنه كان يستعمل اسم (الأب) في التعبير عن الله بمعنى المُـربِّي، الذي يكلأ عباده المؤمنين ويرعاهم، وليس بمعنى أبوة النسب، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فبناء على ما تقدم فإذا جاء في الإنجيل قول المسيح عن الله أنه (الأب) فإنه يقصد المُربي والقائم على الشيء، ولا يعني أُبُوَّة النسب والتناسل المعروفة، والتي يكون فيها الابن قطعة من أبيه.

خلاصة ما تقدم

كلمة الابن تطلق على معنيين، حقيقي ومعنوي.

المعنى الحقيقي مثل قولك (أنا إيلي، ابن دانيال). يعني أن دانيال **أبوك** الذي أنجبك، وأنت ابنه.

هذا هو المعنى الحقيقي لكلمة (ابن).

والمعنى الثاني (**معنوي**) وهو مثل قولك للطفل الذي يمشي في الحديقة مع أبيه وأمه وتريد أن تلاطفه: يا **ابني** تعال أعطيك حلوى.

وقولك للطفلة الصغيرة التي تمشي مع أمها وأبيها: تعالي يا **ابنتي** أعطيك حلوى.

أو قولك لابن أخيك: يا **ابني** تجنب السهر.

تقول هذه الكلمة له (يا ابني) مع أنه ليس ابنك الحقيقي، ولكنك تشعر انه ابنك بسبب شعورك بالحنان عليه ولأنك تربيه بكلامك، فهو كما لو أنه ابنك فعلا.

وكذلك مثل قول مدير المدرسة للأولاد اللذين في المدارس:

يا **أبنائي** تجنبوا السرعة في القيادة.

وقول مديرة المدرسة للطالبات: يا **بناتي** ساعِدن أمهاتكن.

يقول المدير والمديرة هذا الكلام للطلاب والطالبات مع أنهم ليسوا أبناءهما حقيقة، ولكنهما يشعران بذلك لأنهما المُربِّـيان لهم.

ونفس الشيء بالنسبة لكلمة (ابن) المذكورة في الأناجيل، فهي تعني بنوة التربية والعناية والمحبة، ومن ذلك تسمية من يتَّـبِع تعاليم المسيح أنهم أبناء الله، فهي ليست البُـنُـوَّة الحقيقية المعروفة التي هي بُنُوَّة التناسل، لأن الله لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وإنما المقصود هو المعنى الثاني.

- والعكس صحيح أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة، فلو قلتَ لرجل كبير رأيته في الشارع، أو لصديق والدك أو لعمك أو لخالك: يا **أبي**، **أو**: **يا والدي**، هل تريد مني مساعدة؟

فمقصودك بالأبُوَّة هنا في قولك (يا أبي أو يا والدي) هو التعبير عن الاحترام والتقدير، وليس الأبوة الحقيقية التي هي بمعنى أنك من ذريته ونَسلِه.

وكذلك لو قلت لامرأة كبيرة تحمل أغراضا معها أو لصديقة أمك أو لعمتك أو لخالتك: يا **أمي**، هل تريدين مني مساعدة؟

فالمقصود بالأمومة هنا في قولك (يا أمي أو يا والدتي) هو التعبير عن الاحترام والتقدير، وليس الأمومة الحقيقية التي هي بمعنى أنك من ذريتها ونَسلِها.

فصل في معنى كلمة الرب إذا أُطلِقت على المسيح نفسه

تفسير (ربي) إذا قيلت للمسيح في الأناجيل أي (يا معلم) كما جاء واضحا في إنجيل يوحنا (١/ ٣٨):
«فالتفت يسوع ونظرَهما يتْـبَعان، فقال لهما: ماذا تطلبان؟ فقالا: **ربي الذي تفسيره (يا مُـعَـلِّم)**. أين تمكث».

١٤. أخبار عن ولادة مريم وتربيتها

- كان عمران والد مريم هو صاحب صلاة بني إسرائيل لصلاحه وتقواه وعبادته، ولما نذرت زوجتُه «حَنَّة» أن تجعل ولدها محررا إن رزقها الله ولدا؛ حاضت من فورها، وكانت لا تلد، فواقَعها زوجها فحملت بمريم، ومعنى (مريم) أي العابدة الناسكة في لسانهم.

- ومن دلائل فضل مريم أن الشيطان لم ينغزها في جنبها كما يفعل لسائر الأطفال، وهذا فضلٌ خاص لها ولابنها المسيح عيسى ابن مريم، كما جاء في الحديث عَنْ النَّبِيَّ محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في بيان حماية الله لمريم وذريتها – ولم يكن لها ذرية إلا ابنها المسيح – ، في قوله: «مَا مِنْ بني آدم مَوْلُودٍ إِلَّا يَـمَسُّهُ[١] الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا[٢] مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غير مَرْيَمَ وَابْنَهَا»، ثُمَّ قال أَبُو هُرَيْرَةَ – راوي الحديث –:

وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.[٣]

وعنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ بإصبعيه حِينَ يُولَدُ، غير عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَهَبَ يَطْعَنُ، فَطَعَنَ فِي الْحِجَاب[٤]».[٥]

- أتت «حَنَّة» أم مريم بابنتها مريم بعد فترة رضاعها إلى بيت المقدس فسلمتها للعباد الذين في المسجد الذي كان يصلي فيه زوجها عمران، وكان إمامهم في الصلاة، ليربوها على العبادة والطاعة، فتنازعوا بينهم أيهم يكفلها ويربيها، وكان زكريا هو النبي في ذاك الزمان، فطلب أن يقوم هو بكفالتها ويتنازلوا هم عن ذلك له فأبوا، مع أنه كان كبيرهم ونبيهم، ثم اتفقوا على أن يجعلوا الأمر بينهم قرعة، فمن فاز بالقرعة صارت مريم في كفالته، كائنا من كان.

فكانت مشيئة الله أن تكون القرعة لزكريا، وهذا من دلائل خيرية مريم عليها السلام، إذ كانت في كفالة وتربية نبي من الأنبياء، وليس رجلا عاديا.

- فنشأت مريم نشأة نبوية في كفالة وكنف النبي زكريا، نشأت صالحة عابدة قانتة لله جل وعلا، وكان لها محراب تتعبد فيه في مسجد بيت المقدس، وحصل لها شيء من المعجزات التي تدل على كرامتها عند الله، فكان زكريا يدخل عليها المحراب فيجد

---

[١] أي يمَسُّه بإصبعه ليصيح.

[٢] يستهل صارخا أي يصيح.

[٣] رواه البخاري (٣٤٣١) ومسلم (٢٣٦٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٤] الحجاب هو حجاب ضربه الله بين الشيطان ومريم، فلما أراد الشيطان أن يطعن مريم في جنبها طعن في الحجاب، وكذلك الأمر بالنسبة لابنها المسيح عيسى ابن مريم، لما أراد أن يطعنه في جنبه بأصبعه ليصيح جاءت الطعنة في الحجاب الذي جعله الله بينهما، فحماه الله منه.

[٥] رواه البخاري (٣٢٨٦)، ومسلم عُقيب الحديث رقم (٢٣٦٦).

فاكهة الصيف في فصل الشتاء، وفاكهة الشتاء في فصل الصيف. قال الله عنها ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنَّى لكِ هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾.

١٥. فضائل مريم وكرامتها عند ربها

- من دلائل فضيلة مريم أن الملائكة كلَّمتها، وأخبرتها باصطفاء الله واختياره لها لأن تكون خير نساء العالمين في ذلك الزمان، قال الله في القرآن ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاكِ وطهَّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين * يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾. والاصطفاء هو الاختيار.

- ومن دلائل فضل مريم أن الملائكة نقلت لها بشارةً من عند الله بأنها ستحمِلُ بولدٍ اسمه المسيح عيسى ابن مريم، ليس هذا فحسب؛ بل بشَّرتها بأن ابنها المسيح ليس كسائر الأبناء، بل له مكانة عظيمة عند الله وعند الناس، ومن المُقرَّبين عند الله، قال الله في القرآن ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم **وجيها** في الدنيا والآخرة ومِن **المُقربين**﴾.

- تلقت مريم هذه البشارة من عند ربها بالقبول، مع أنها تعجبت منها أيَّما تعجب، إذ كيف يكون لها ولد وهي ليست ذات زوج!

وقد أخبر الله في القرآن عن تعجب مريم فقال عنها ﴿قالت ربِّ أنَّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلكِ الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾.

معنى ﴿لم يمسسني بشر﴾ أي لم يتصل بي بشر من خلال العلاقة الجنسية.

ومعنى الآية أن الله على كل شيء قدير، إذا أراد شيئا فإنما يقول له (كن) فيكون ذلك الشيء، ومنه ما حصل لمريم، إذ قال الله (كن) فكان المسيح في بطن أمه بهذه الكلمة، ولهذا يوصف المسيح بأنه (كلمة الله) لأنه كان بها كما في قوله تعالى ﴿بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾.

- ومن اللطائف أن هذا الخبر القرآني متوافقٌ مع ما جاء في إنجيل لوقا (١/٢٨-٣١، ٣٤، ٣٧):

٢٨ فدخل إليها الملاك وقال: سلام لك أيتها المنعم عليها الرب معك. مباركة أنت في النساء.

٢٩ فلما رأته اضطربت من كلامه، وفكرت: ما عسى أن تكون هذه التحية.

٣٠ فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم، لأنك قد وجدت نعمة عند الله.

٣١ وها أنت ستحبِلين[١] وتلدين ابنا وتسمينه يسوع.

---

[١] تحبلين أي تحملين.

٣٤ فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا؟

فأجابها الملاك:

٣٧ لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله.

- ومع تلقي مريم لبشارة الملائكة لها بالمسيح بالقبول والرضا، إلا أنها حملت همًّا عظيما، إذ مَن يُقنع قومها بحقيقة الأمر في أن حملها بالمسيح بهذه الصورة الغير طبيعية كان بأمر الله، فهم لا يعلمون حقيقة الأمر، وبالتالي فسيعتمدون على ظاهر الحال ويتهمونها بالزنا، فلهذا حملت همًّا عظيما، وتمنت الموت على أن يتهمها قومها بالزنا.

- ومن اللطائف أن النساء المسلمات هُـنَّ خير من اقتدى بمريم، لأنهن يؤثِرن الموت على فعل الفاحشة، التي هي الاتصال الجنسي مع غير الزوج، بخلاف ما وصل إليه حال النساء المسيحيات، من التساهل العظيم في هذا الموضوع، وانتشار الصداقات والعلاقات بين الجنسين خارج إطار الزوجية، حتى القساوسة يفعلون ذلك مع الراهبات وغيرهن من نساء الرعية، في الكنائس وخارجها، في اعتداء مكشوف على كرامة النساء وأزواجِهن، ومخالفة صريحة لتعاليم المسيح وجميع الأنبياء، والآداب التي يتحلى بها كِرام الناس ونسائهم، لاسيما مريم العذراء على وجه الخصوص.

فهل يُعقل أن تكون هذه السلوكيات التي هي جزء من شخصية القساوسة ترجمة لسلوكيات المسيح؟ حاشا وكلا.

- **استطراد**

والأعجب من ذلك ما يُلقيه رجال الكنيسة على مسامع الناس من أن المرأة المسلمة مضطهدة ومحتقرة، في حين أن الواحدة من نسائهم إذا دعاها القسيس للفِراش جاءت ذليلة مقهورة، لكونها لا تستطيع رد طلبه، حتى ولو كانت متزوجة، فإنها تخون زوجها إرضاء للقسيس، لما لرجال الدين من هيمنة وسلطة ومهابة في قلوب أفراد الرعية، واعتقادهن بأنَّهُن إن أرضين القسيس فقد أرضين الرب، حاشاه من ذلك، وهذا سُخف وضحك على العقول، وابتزاز مكشوف لأعراض النساء، إذ لو كان في هذا إرضاء للرب فلماذا يطلبه القسيس سرا، ويفعل العلاقة معها سرا؟!

ولماذا لم يأمر به المسيح في أيٍّ من الأناجيل الأربعة وغيرها؟

- **خاطرة لطيفة – أين حقيقة مقولة (الله محبة)؟**

إن مِن حقِّ المثقفين والمثقفات أن يتساءلوا عن مقولة (الله محبة) التي يرددها القساوسة كثيرا في الكنائس، في حين أنه على الجانب الآخر من الكنائس توجد غرف تعذيب لِمن يوجه أسئلة منطقية محرجة إلى أحد من القساوسة عن عقائد المسيحية؟

ومِن حقِّ المثقفين والمثقفات أن يتساءلوا أيضا عن ظاهرة ابتزاز القساوسة لأعراض البنات والراهبات بالسر، فأين أثر مقولة (الله محبة) في الواقع، وما هي حقيقتها؟!

- ومن دلائل فضل مريم أن جبريل — وهو أعظم الملائكة – بشَّرها مرة أخرى بأنها ستحمل بالمسيح، وقد تقدم أن الملائكة بشرتها قبل ذلك، فجاء جبريل – أعظم الملائكة – لِيُبشِّرها ولِـيُـنَـفِّـذَ هذه البشارة، فتمثَّل لها على هيئة البشر، وجاءها

وهي في ناحية من بيت المقدس لا يراها أحد، وأخبرها بأنه قد جاء موعد تحقيق البشارة التي أخبرها بها الملائكة من قبل، وهي حملها بالمسيح، فاستغربت مريم هذه البشارة مرة أخرى وسألت جبريل: كيف لي أن أحمل وأنا لستُ ذات زوجٍ ولست بَغِيًّا تفعل الفاحشة مع الرجال؟

فأجابها المَلَكُ جبريل بأنه هذا هو أمر الله واختياره، وليس لنا إلا قبول أمر الله وتنفيذه، والله له الحكمة البالغة في كل شيء، ففعل جبريل ما أمره به ربه سبحانه وتعالى، فنفخ في جيب قميص مريم، فوصلت النفخة إلى فرجِها ثم إلى رحِمِها، فحملت بالمسيح كما تحمل النساء من أزواجِهن، فمكث جنينها في بطنها تسعة أشهر، ثم ولدته، قال الله في سرد هذه القصة، وهي في سورة «مريم» من القرآن الكريم:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُون * مَا كَانَ لِلهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُون * وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيم﴾.

التعليق على الآيات:

هذا الحمل حصل في رَحِمِ مريم من أمٍّ بلا أبٍ، وهو يدل على كمال قدرة الله تعالى، وهو أمر ليس بالهَيِّن، ولكنه هَيِّنٌ على الله، والحكمة من خلقِه بهذه الصورة أن يكون في هذا دلالة وعلامة للناس على قدرة الله الذي نَوَّع في خلقهم، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى، إلا المسيح فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر، فتمت بخلق المسيح القسمة الرُّباعية الدالة على كمال قدرة الله وعظيم سلطانه، وليس هذا على الله بعزيز، فخلق السماوات والأرض أعظم من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يتفكرون.

فالله قادر على أن يخلق بشرا من ذكر وأنثى، كما هو حال سائر البشر، وقد يخلق من غير ذكر وأنثى، كحال أبينا آدم، وقد يخلق من ذكر بلا أنثى، كحال أمنا حواء التي خلقها الله من ضِلع آدم، وقد يخلق من أنثى بلا ذكر، كحال المسيح ابن مريم، وقد يخلق من الرجل الكبير ومن الأم العاقر، كحال الأنبياء إبراهيم وزكريا، وقد لا يخلُق من الذكر والأنثى شيئا، لا ذكر ولا أنثى، كحال من به عُقم، وقد يخلق من الزوجين ذكورا بلا إناث، وقد يخلق منهما إناثا بلا ذكور، وقد يخلق منهما إناثا وذكورا، فالله قادر على كل شيء، سبحانه وتعالى، إذا أراد شيئا فإنما يقول له "كن" فيكون، كما قال الله في القرآن ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾.

وقال الله في القرآن ﴿لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير﴾، ومعنى الآية الكريمة: لله سبحانه وتعالى ملك السموات والأرض وما فيهما، يخلق ما يشاء من الخلق، يهب لمن يشاء من عباده إناثًا لا ذكور معهن، ويهب لمن يشاء الذكور لا إناث معهم، ويعطي سبحانه وتعالى لمن يشاء من الناس الذكر والأنثى، ويجعل مَن يشاء عقيمًا لا يولد له، إنه عليم بما يَخْلُق، قدير على خَلْق ما يشاء، لا يعجزه شيء أراد خلقه.

فالحاصل أن خلْق المسيح كان آية ودلالة للناس عامة ولِبني إسرائيل خاصة على عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى واتصافه بالخلق كما يشاء، فليس أمامنا بعد هذا إلا الإيمان بذلك وتعظيم الرب في نفوسنا.

- ومن اللطائف أن هذه الحكمة من خلق المسيح من أم بلا أب مذكورة في المراجع المنتشرة بأيدي المسيحيين اليوم، ومع هذا فهم لا يؤمنون بها، بل يقولون قولا آخر وهو إن المسيح له أب وهو الله، تعالى الله عن ذلك، ففي سِفر أشعياء (٧:١٤) جاءت البشارة بحمل مريم بالمسيح، وبأن حمله كان آية على قدرة الله:

«ولكن يعطيكم السيد نفسه آية: هالعذراء تحبِل وتلد ابنا وتدعو اسمه (عمانوئيل)».

والسيد هو الله، والآية أي الآية والعلامة على قدرته، ومعنى تَحبِل أي تحمِل، و «**عمانوئيل**» هو أحد أسماء المسيح.

- ومن اللطائف أن أول شيء نطق به المسيح وهو في المهد هو الإقرار بأنه عبد لله، وذلك عندما سأل اليهود أمه عن هذا الطفل من أين أتيتِ به، فلم يقل إنه ابن الله، ولو كان كذلك لقالها، لأنه شرف له لو كان حقًّا، ولأن المقام يقتضيه ليدفع التهمة عن أمِّهِ، بل قال ﴿إِنِّي عَبْدُ الله آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

أيها القارئ الكريم والقارئة الكريمة، ماذا بعد هذا الوضوح من وضوح على أن المسيح عبدٌ لله، وبشر، ورسول، ليس ربا، ولا ابن الربِّ؟

- **حصول الطمأنينة لمريم بعد طمأنة ابنها لها لمَّا ولدتهُ**

بيَّن الله في كتابه أن مريم أصابها همٌّ عظيم لما ولدت ابنها المسيح، حيث أنها تعلم أن الناس سيتهمونها بالزنا لكونه من المعلوم عندهم أنها ليست ذات زوج، فليس في تصورهم مجال لأن تحمِل إلا من طريق الزنا، لأنهم يعلمون أنها غير متزوجة،

قال الله في القرآن ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾.

فالمسيح طمْأن أمه بعدما ولدته، وهذا من أول علامات الخير فيه، فأمرها بتناول الرُّطب، وشُرْب الماء من السَّري وهو جدول الماء، كما أوصاها بأن تعتذر لقومها عن إجابتهم إذا سألوها عنه من أين أتت به بأنها صائمة، وكان الصوم في شريعتهم هو الإمساك عن الكلام، فلما رأت مريم من ولدِها هذه المعجزات عرفت أنه نبي، فأيقنت بوعدِ ربها، وفعلت ما أمرها به ولدها النبي، لأنه لا يمكن أن يتكلم بهذا الكلام العظيم إلا بوحيٍ من الله، فحصلت لها الطمأنينة القلبية، وقامت من مكان وضعِها، ورجعت إلى قومها كعادتها، فلما رأوها حاملة ولدها الرضيع سألوها مستغربين (من أين لكِ هذا الصبي المولود، فأنتِ من بيت دينٍ وشرف، ومثلكِ لا يفعل الفاحشة؟)، فكان ردها لهم هو رد الواثقة بربها، أن أشارت إلى صبيها أنِ اسألوه، فهو الذي سيتولى الإجابة عن سؤالكم، فاستغربوا ذلك الجواب منها، إذ ليس من المعهود أن يتكلم من كان في المهد أو يجيب عن أسئلة من حوله، فتكلم عليه السلام بكلام عظيم أزال عنهم الدهشة، إذ علِموا أنه نبي، والنبي لا يتكلم إلا بالحق، فحصلت الطمأنينة النهائية لمريم في ذلك الموقف، وكان هذا من أعظم البر بوالدته.

وكان أول ما تكلم به المسيح هو الإقرار بأنه عبدُ لله، حيث قال ﴿إني عبد الله﴾، أي لستُ معبودا، ولا ابنا لله، بل عابدٌ لله، ثم قال ﴿آتاني الكتاب﴾ أي الإنجيل، فقد قضى الله بأن يؤتيه هذا الكتاب إذا كَبِر، ثم قال ﴿وجعلني نبيا﴾، أي مرسلٌ إليكم، ولم يقل (جعلني إلٰها)، ولم يقل (جعلني ابن الله)، ولا غير ذلك من الأقوال التي قالها المسيحيون عنه بعد رفعه إلى السماء، بل قال ﴿وجعلني نبيا * وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبَـرًّا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا * والسلام علي يوم وُلِدت ويوم أموت ويوم أُبعث حيا﴾.

- **خاتمة قصة مريم**

وبعدما سَـرَدَ الرب هذه القصة العظيمة في القرآن قال بعدها مباشرة ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾.

ومعنى هاتين الآيتين: إن هذا الذي قصصنا عليك يا محمد هو خبر وقصة المسيح عيسى ابن مريم، التي وقع فيها الشك والارتياب عند طوائف النصارى (المسيحيين)، فانقسموا فرقا وأحزابا.

وليلاحظ القارئ أن الله نَـسَـبَ المسيح إلى أمه مريم ولم ينسبه إلى نفسه، لأنه ابن مريم وليس له أب، ولو كان الله أبوه لنسبه إلى نفسه، لأن المقام يقتضي ذلك، فمن المعلوم أن الإنسان يُنسب إلى أبيه، فلما عُدِم ذلك في حالة المسيح نسبَه الله إلى أمه فقال ﴿ذلك عيسى ابن مريم﴾.

ثم أكَّد الله ذلك فقال ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾، أي أن الله لا يمكن أن يتخذ ولدا، لأن اتخاذ الولد يلزم منه أن الله محتاج إلى خلقه، وهذا يتنافى مع كون الرب غني عن العالمين كلهم، إذ هو الذي خلقهم وأوجدهم، فكيف يصير محتاجا لهم بعد ذلك؟

ولهذا قال الله بعدها ﴿سبحانه﴾، أي تعالى الله عن ذلك.

ثم قال في ختام هذا المقطع ﴿إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾، وهذا كقوله في الآية الأخرى في سورة آل عمران ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين ﴾، أي لا تكوننَّ يا محمد من الشاكِّين في خبر المسيح، فقد جاءك الحق من ربك.

- ومن الدلائل على فضل مريم في دين الإسلام أن سورتين كاملتين من سُوَرِ القرآن سُمِّيَتا باسمها واسم عائلتها، الأولى سورة «مريم»، والثانية سورة «آل عمران».

- **اضطراب النصارى في عقيدتهم في مريم اضطرابا شديدا**

انقسم النصارى في اعتقادهم في أمه مريـم العذراء إلى طوائف، فقد اختلفت الطوائف الكبرى الثلاث من طوائف النصارى حول مريم العذراء اختلافا كبيراً، حيث يرى فيها الأرثوذكس أنها وُلِـدت كأي إنسان آخر حاملة للخطية، ومثل الأنبياء والقديسين.

وأما الكاثوليك فيعتقدون أنها بريئة من الخطية مثل المسيح وبلا دنس، ويعتقدون أنها صعدت حية إلى السماء، وصنعوا لها التماثيل في كنيستهم، ويصلون لها، ويعتقدون بالثالوث المَـرْيَـمِي حتى في الصلوات، ويدمجونها مع الثالوث الأقدس عندهم.

وأما البروتستانت فيعتبرونها مخلوقة عادية كغيرها، ويعترضون على تسميتها «الإلٰه»، وأم الإلٰه، وزوجة الرب وصاحبته، ويعتقدون أنها أم يسوع فقط، فهي لم تلد اللاهوت، وإنما ولدت جسداً فقط، وقال بعضهم إنها قشرة البيضة التي خرج منه الكتكوت.

وقد اتفق الأرثوذكس والكاثوليك على بُـتولِـية العذراء — أي انقطاعها عن الرجال – وعدم وجود إخوة للمسيح بالجسد.

وأما القساوسة الأولين فنادوا بأن مريم منزهة عن الخطيئة الأصلية مثل المسيح، ويرون أن مكانتها تتلخص في كونها أم الله، فهم يُـكَـرِّمونها ويقومون بعمل صوم لها وأعياد في الوقت نفسه.

وأما اليهود فهم على الجانب الآخر تماما، فهم يرون أنها ارتكبت الزنا، وحملت بالمسيح وولدته.

ثم جاء الإسلام فحسم هذا الاضطراب المشين في الاعتقاد في مريم العذراء، فبين القرآن أن مريم بنت عمران كانت عابدة لله، شريفة صِـدِّيقة تقية نقية، لم تعبد غير الله، ولم تدعو الناس إلى عبادتها ولا عبادة ابنها، وقد جاء ذكرها في مقام الاحترام والتبجيل في ٣١ موضعا من القرآن، وورد ذكر اسم ابنها المسيح عيسى ابن مريم في القرآن ٢٥ مرة، وورد ذكره بوصفه (المسيح) ٩ مرات، كلها في مقام الاحترام والتعظيم والتبجيل، ولكن هذا الاحترام والتعظيم هو بالقدر اللائق بالبشر، فلا يتضمن اعتقاد أن لهما شيئا من صفات الربوبية أو الألوهية، بل هما بشر مثلنا، ليس لهم من خصائص الربوبية ولا الألوهية شيء، ويعبدون الله كما نعبده نحن، ويرجونه الجنة والنجاة من النار كما نرجوه نحن.

كما ينص دستور الإسلام على أن مريم بنت عمران حملت بالمسيح بكلمة الله (كن) فكان المسيح في بطنها، وبقي في بطنها البقاء في مراحل تكون الجنين كغيره، ثم ولدته كما تلد النساء أبناءهن.

١٦. مكانة المسيح عند اليهود والنصارى والمسلمين

فرّط اليهود في حق المسيح، فكفروا بنبوته وكذَّبوه، واتهموا أمه بالزنا، حاشاها من ذلك.

وأفرط النصارى في حقه، فرفعوه فوق بشريته، فقالوا إنه هو الله، وابن الله، وثالث ثلاثة، ومنهم من قال إن له طبيعة واحدة، ومنهم من قال له طبيعتان، ومنهم من قال له مشيئة، ومنهم من قال له مشيئتان.

وأما الحواريون ومؤلفو الأناجيل الأربعة فلم يذكر عنهم كلمة واحدة عن المسيح أنه قال إنه رب أو ابن الرب أو ثالث ثلاثة، ولا كلمة واحدة أنه قال للناس: اعبدوني.

وأما دين الإسلام فبَيَّـن الحقيقة الناصعة البيضاء، وهي أن المسيح بشر رسول، خلقه الله في رحم أمه مريم بكلمة (كُن) فكان المسيح في رحم أمه، والله قادر على كل شيء، ثم أرسله الله إلى بني إسرائيل، وأمرهم بعبادة الله وحده، كما أخبر الله عنه في القرآن بقوله:

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ **اعْبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ** إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[١].

وقال الله عن المسيح أنه قال لقومه ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن **اعبدوا الله ربي وربكم**﴾[٢].

وقال الله عن المسيح أنه قال لقومه ﴿إن **الله ربي وربكم** فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[٣].

وقال الله عن المسيح أنه قال لقومه ﴿إن **الله هو ربي وربكم** فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[٤].

وقال الله تعالى ﴿ما كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾.

تفسير هذه الآية الكريمة أنه يمتنع ويستحيل على بشرٍ مَـنَّ الله عليه بالنبوة وإنزال الكتاب عليه أن يقول للناس: (اعبدوني من دون الله)، فهذا من المستحيل صدوره من أحد من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، لا المسيح ولا غيره، لأن هذا هو أقبح الأوامر على الإطلاق، بأن يرسل الله رجلا نبيا، ثم ينصِبُ نفسه ربا لا نبيا، فإن هذا من المستحيل صدوره من الأنبياء، لأن الأنبياء هم أكمل الخلق على الإطلاق، وأشد الناس عبودية لله تعالى، واتباعا لأوامره، وأوامرهم للناس مطابقة لما أمرهم الله به، وهو دعوة الناس إلى التوحيد، وإفراد الله بالعبادة، والتحذير من الأمور القبيحة، التي أعظمها وأشدها الشرك بالله، واتخاذُ غيره إلٰها وربا.

---

[١] سورة المائدة: ٧٢.

[٢] سورة المائدة: ١١٧.

[٣] سورة آل عمران: ٥١.

[٤] سورة الزخرف: ٦٤.

وقد كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى يعبد بعضهم بعضا، يعبدون أحبارهم ورهبانهم، كما قال الله تعالى عنهم ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أُمِروا إلا ليعبدوا إلٰها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾، أي يعبدون الأحبار والرهبان، ويعبدون المسيح أيضا، مع أن الله ما أمرهم بذلك، بل أمرهم بضده، وهو ترك عبادة كل ما سوى الله، وعبادة الله وحده لا شريك له.

ثم بين الله حقيقة ما يأمر كل نبي قومه فقال ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾، أي أن كل نبي كان يأمر قومه بأن يكونوا ربانيين، أي حكماء فقهاء علماء، هذا معنى كلمة (ربانيين)، وأمرهم بأن يكونوا ربانيين حقٌّ عليهم بما دَرَسوه وحفِظوه وعلِموه من ذلك الكتاب الذي أنزله الله عليهم، وبما علَّموه الناس من الهدى والإرشاد المذكور في ذلك الكتاب، فإن تعليم المعلم للناس الخير يستوجب أن يَمتثل هو ما علَّمه إياهم، ويكون قدوة لهم.

فالحاصل أن مقولة إن الأنبياء أمروا أقوامهم بعبادتهم هم أنفسهم مقولة كاذبة، بل الأنبياء أمروا بعبادة الله، ونهوا عن عبادة ما سواه.

١٧. وصْفُ الله للمسيح في القرآن بأنه «كلمة الله»

جاء وصفُ المسيح في القرآن بأنه «كلمة الله»، لأنه خُلِق بكلمة «كُن» فقط، فكان تأثير هذه الكلمة بمنزلة ماء الرجل إذا التقى بماء المرأة في رحِمِها.

كما جاء وصفُ المسيح بأنه رُوحٌ من عند الله، أي أن روحه مخلوقة، خلقها الله كأرواح غيره من البشر، كما في قوله تعالى في القرآن ناصحا أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى (المسيحيون):

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى الله إلا الْحَقَّ **إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ** فَآمِنُوا بِالله وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا الله إِله وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِالله وَكِيلا * لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا للهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ الله وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾.

١٨. حال بني إسرائيل قبل بِعثة المسيح إليهم

مقدمة

كانت النبوة لا تنقطع في بني إسرائيل، وكانوا ملوكا، كما قال الله في سورة المائدة ﴿وإِذ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم ما لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِن الْعَالَمِينَ﴾.

ولكن بنو إسرائيل لم يحمدوا الله على هذه النعمة، فقد بلغوا في الطغيان مبلغا عظيما، وقست قلوبهم، ونَسُوا ما ذُكِّروا به، وشاع بينهم الربا والزنا، وكانوا يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، بل **ويقتلون النبيين**، وحرَّفوا ما بأيديهم من التوراة،

فاجترؤوا على كتاب الله وعلى أنبياءه جرأة عظيمة لم يجترئها أحد قبلهم، فأرسل الله إليهم المسيح الذي خلقه الله من أم بلا أب، بكلمة (كن) فكان المسيح في بطن أمه، ومع هذا فلم يؤمنوا بالمسيح، مع أن الله أيده بمعجزات كثيرة تدل على نبوته، فقرروا قتله، فحماه الله منهم، ورفعه إليه في السماء.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قول الله تعالى عن أهلِ الكتاب (اليهود والنصارى) ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ **فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ** وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُون﴾[1]:

نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حَمَلوا الكتاب مِن قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمَد[2] بدَّلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمنا قليلا ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفَكة[3]، وقلَّدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا[4] من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعدٍ ولا وعيد.

﴿وكثير منهم فاسقون﴾ أي في الأعمال، فقلوبهم فاسدة، وأعمالهم باطلة، كما قال تعالى﴿فبما نقضِهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به﴾[5]، أي: فسدت قلوبهم فقست، وصار من سِجِيَّـتِهم تحريف الكَلِم[6] عن مواضِعه، وتركوا الأعمال التي أمروا بها، وارتكبوا ما نُهوا عنه، ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية.

وروى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود حديثا ما سمعت أعجبَ إلي منه، إلا شيئا من كتاب الله، أو شيئا قاله النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم **اخترعوا كتابا من عند أنفسهم**، استهوته قلوبهم، واستحْلَـته ألسنتهم واستلذَّته، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم فقالوا: (تعالوا ندعُ بني إسرائيل إلى كتابنا هذا، فمن تابَعَنا عليه تركناه، ومن كرِه أن يُتابعنا قتلناه)، ففعلوا ذلك، وكان فيهم رجل فقِـيه[7]، فلما رأى ما يصنعون عَمَد إلى ما يَعرِف من كتاب الله فكتبه في شيء لطيف، ثم **أدرجه**، فجعله في قرنٍ[8]، ثم علَّق ذلك القرن في عنقه، فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء، إنكم قد أفشيتم القتل في بني إسرائيل، فادعوا فلانا فاعرِضوا عليه كتابكم، فإنه إن تابعكم فسيُتابعكم بقية الناس، وإن أبى فاقتلوه.

---

[1] سورة الحديد: ١٦.

[2] طال عليهم الأمد أي طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال يقينهم. قاله ابن سعدي في تفسير الآية.

[3] المؤتفَكة أي المكذوبة.

[4] أربابا جمع لكلمة (رب).

[5] سورة المائدة: ١٣.

[6] الكَلِم أي كلام الله، المُدوَّن في التوراة والإنجيل.

[7] فقيه أي عنده علم وفقه في الدين.

[8] القرن شيء مجوف مثل الأنبوب، يشبه قرن الحيوان.

فدَعوا فلانا ذلك الفقيه فقالوا: تؤمن بما في كتابنا؟

قال: وما فيه؟ اعرضوه علي.

فعرضوه عليه إلى آخره، ثم قالوا: أتؤمن بهذا؟ قال: (نعم، آمنتُ بما في هذا) – وأشار بيده إلى القَرن – فتركوه، فلما مات نَبَشوه فوجدوه مُتَعلِّقًا ذلك القرن، فوجدوا فيه ما يُعرف من كتاب الله، فقال بعضهم لبعض: يا هؤلاء، ما كنا نَسمع هذا، أصابه فتنة.[1]

فافترقت بنو إسرائيل على ثنتين وسبعين ملة، وخير ملِلِهم ملة أصحاب ذي القرن.

قال ابن مسعود: وإنكم أوشكَ بكم إن بقيتم (أو: بقِي من بقي منكم) أن تروا أمورا تنكرونها، لا تستطيعون لها غِيَرًا[2]، فبِحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لها كاره.

وروى أبو جعفر الطبري عن عتريس بن عرقوب أنه جاء إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال:

يا عبد الله، هلك من لم يأمر بالمعروف ويَنْـهَ عن المنكر.

فقال عبد الله: هلك من لم يعرف قلبُه معروفا ولم ينكر قلبُه منكرا، إن بني إسرائيل **لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم** اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم، استهوته قلوبهم، واستحْـلَته ألسنتهم، وقالوا: نعرض بني إسرائيل على هذا الكتاب، فمن آمن به تركناه، ومن كفر به قتلناه.

قال: فجعل رجل منهم كتاب الله في قرنٍ، ثم جعل القرن بين ثندِوتيه[3]، فلما قيل له: أتؤمن بهذا؟

قال: آمنت به – ويومئ إلى القرن بين ثندِوتيه – ومالي لا أؤمن بهذا الكتاب؟

فمِن خير مللهم اليوم ملة صاحب القرن.

بنو إسرائيل يقتلون النبيين

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ الله وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:

هذا ذم من الله تعالى لأهل الكتاب بما ارتكبوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديما وحديثا، التي بلَّغتهم إياها الرسل، استكبارا عليهم وعنادا لهم، وتعاظُما على الحق واستنكافا عن اتِّباعه، ومع هذا قتَلوا من قتلوا من النبيين حين بلَّغوهم عن الله شرعَهُ، بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم، إلا لِكونهم دعوهم إلى الحق.

﴿ويقتلون الذين يأمرون بالقِسط من الناس﴾، وهذا هو غاية الكِبْرِ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: الكِبْرُ بَـطَـرُ الحق[5] وغَـمْـطُ الناس[1].[2]

---

[1] معنى كلامهم أنهم ما كانوا يسمعون هذا الكلام الذي هو مكتوب في القرن، وأن الرجال أصابته فتنة في دينه.

[2] غِيَرًا أي تغييرا.

[3] أي ثدييه.

[4] سورة آل عمران: ٢١.

[5] بَطَرُ الحق أي رده. انظر «النهاية» لابن الأثير.

وروى ابن أبي حاتم عن أبي عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد عذابا يوم القيامة؟ قال: رجل قتل نبيا أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم﴾، إلى قوله ﴿وما لهم من ناصرين﴾.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا عبيدة، قتَـلَت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة رجل وسبعين رجلا من بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقُـتِلوا جميعا من آخر النهار من ذلك اليوم، فهُم الذين ذكر الله عز وجل.

ورواه ابن جرير به إلا أنه قال: مائة رجل واثنا عشر رجلا من بني إسرائيل.

وعن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، قال: قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبي من أول النهار، وأقاموا سوق بَـقْـلِهم من آخره. رواه ابن أبي حاتم.

ولهذا لما أن تكبروا عن الحق واستكبروا على الخلق، قابلهم الله على ذلك بالذِّلة والصَّغار[3] في الدنيا والعذاب المهين في الآخرة، فقال تعالى﴿ فبشرهم بعذاب أليم﴾، أي: مُوجع مُهين.

﴿أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾.

انتهى كلام الحافظ ابن كثير باختصار يسير.

قلت: وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة في قوله ﴿ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾، قال: هؤلاء أهل الكتاب، كان أتباع الأنبياء ينهونهم ويُذَكِّرونهم بالله فيقتلونهم.

***

وقال الله في اليهود: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ الله ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ الله **وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ** بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُون﴾[4].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:

وقوله تعالى ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق﴾، يقول تعالى:

---

[1] غَمْطُ الناس أي استحقارهم. انظر «النهاية» لابن الأثير.

[2] رواه مسلم (٩١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[3] الصَّغار هو الذلة والحقارة.

[4] سورة البقرة: ٦١.

هذا الذي جازيناهم من الذلة والمَسْكنة وإحلال الغضب بهم من الذلة بسبب استكبارهم عن اتباع الحق، وكفرهم بآيات الله، وإهانتهم حملةَ الشرع وهُم الأنبياء وأتباعهم، فانتقصوهم إلى أن أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم، فلا كُفر أعظم من هذا، إنهم كفروا بآيات الله وقتلوا أنبياء الله بغير الحق، ولهذا جاء في الحديث المتفق على صحته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الكِبْرُ بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس.

بنو إسرائيل يُحَرِّفون التوراة – دلالة القرآن على تحريف التوراة والإنجيل الأصليين

قال الله تعالى في وصف اليهود ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ** وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

﴿فبما نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُم﴾، أي: بسببه[2] عاقبناهم بعدة عقوبات:

الأولى: أنا ﴿لعَنَّاهُمْ﴾، أي: طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا، حيث أَغلقوا على أنفسهم أبواب الرحمة، ولم يقوموا بالعهد الذي أُخِذ عليهم، الذي هو سببها الأعظم.

الثانية: قوله ﴿وجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾، أي: غليظة لا تُجدي فيها المواعظ، ولا تنفعها الآيات والنذر، فلا يُرَغِّبُهم تشويق، ولا يُزعجهم تخويف، وهذا من أعظم العقوبات على العبد، أن يكون قلبه بهذه الصفة التي لا يفيده الهدى والخير إلا شرا.

الثالثة: أنهم ﴿يُحرفون الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِه﴾ أي: أُبتُلوا بالتغيير والتبديل، فيجعلون للكلِم الذي أراد الله معنىً غير ما أراده الله ولا رسوله.

الرابعة: أنهم ﴿نسوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا به﴾، فإنهم ذُكِّروا بالتوراة، وبما أَنزل الله على موسى، فنسوا حظا منه، وهذا **شاملٌ** لنسيان علمِهِ، وأنهم نسوه وضاع عنهم، ولم يوجد كثير مما أنساهم الله إياه عقوبة منه لهم، **وشاملٌ** لنسيان العمل الذي هو الترك، فلم يوفقوا للقيام بما أُمِروا به، ويستدل بهذا على أهل الكتاب بإنكارهم بعض الذي قد ذُكِر في كتابهم، أو وقع في زمانهم، أنه مما نسوه.

الخامسة: الخيانة المستمرة التي ﴿لا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُم﴾، أي: خيانةٍ لله ولعباده المؤمنين. ومن أعظم الخيانة منهم كتمهم عمَّن يعِظهم ويُحسِن فيهم الظن الحق، وإبقاؤهم على كفرهم، فهذه خيانة عظيمة.

وهذه الخصال الذميمة حاصلة لكل من اتصف بصفاتهم. فكل من لم يقم بما أمر الله به، وأخذ به عليه الالتزام، كان له نصيب من اللعنة وقسوة القلب، والابتلاء بتحريف الكلم، وأنه لا يوفق للصواب، ونسيانُ حظٍّ مما ذُكِّر به، وأنه لا بد أن يُبتلى بالخيانة، نسأل الله العافية.

---

[1] سورة المائدة: ١٣.

[2] أي بسبب النقض.

وسمى الله تعالى ما ذُكِّـروا به حظا، لأنه هو أعظم الحظوظ، وما عداه فإنما هي حظوظ دنيوية.

انتهى كلامه رحمه الله من كتابه «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان».

***

وقد زجر الله اليهود ووبَّـخَهم على إخفاء الحق المذكور في التوراة فقال ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ **تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا**﴾[1]، ومعنى الآية أنكم أيها اليهود تجعلون هذا الكتاب في قراطيس متفرقة، تظهرون بعضها، وتكتمون كثيرًا منها، ومما كتموه: الإخبار عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله:

﴿من أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾، وهو التوراة العظيمة، نُورًا في ظلمات الجهل، وَهُدًى من الضلالة، وهاديا إلى الصراط المستقيم علما وعملا، وهو الكتاب الذي شاع وذاع، وملأ ذكره القلوب والأسماع، حتى إنهم جعلوا يتناسخونه في القراطيس[2]، ويتصرفون فيه بما شاءوا، فما وافق أهواءهم منه أبدوه وأظهروه، وما خالف ذلك أخفوه وكتموه، وذلك كثير.

انتهى كلامه رحمه الله من كتابه «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان».

وقال الله تعالى مبينا تحريف اليهود للتوراة: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ **يُحَرِّفُونَهُ** مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وقال الله تعالى عن اليهود أيضا ﴿مِنَ الَّذِينَ **هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**﴾. والمقصود بقوله ﴿الذين هادوا﴾ أي اليهود.

وقال الله تعالى عن اليهود أيضا ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ**﴾.

وقال الله تعالى مخاطبا علماء أهل الكتاب كلهم (اليهود والنصارى) ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ **وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ** وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقال الله تعالى عن علماء الكتاب (اليهود والنصارى) ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ **فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً** فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

وقال الله تعالى عن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ **يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ** ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

---

[1] سورة الأنعام: ٩١.

[2] أي يكتبونه في القراطيس وهي الأوراق.

وهذا الكلام منطبق على الأناجيل الأربعة التي كتبها متى ومرقس ولوقا ويوحنا بعد رفع المسيح عيسى ابن مريم، التي قال علماء النصارى فيها إنها هي الإنجيل الأصلي الذي كان بيد المسيح عيسى ابن مريم والحواريين.

وقال الله تعالى عن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ **تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ** وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾.

وقال الله تعالى عن اليهود ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا **يَلْوُونَ** أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وتفسير الآية: وإن مِن اليهود لَجماعةً يحرفون الكلام عن مواضعه، ويبدلون كلام الله، ليوهموا غيرهم أن هذا من الكلام المنزل، وهو التوراة، وما هو منها في شيء، ويقولون: هذا من عند الله أوحاه الله إلى نبيه موسى، وما هو من عند الله، وهم يقولون على الله الكذب لأجل دنياهم وهم يعلمون أنهم كاذبون.

إن تحريف علماء النصارى لدينهم هو السبب الأساس الذي أدى إلى وجود الغموض والتناقض في المسيحية المعاصرة (ولا أقول الدين والتعاليم التي جاء بها المسيح عيسى ابن مريم)، ولو أن التوراة والأناجيل التي بأيدي اليهود والنصارى الآن هي نفس التوراة والإنجيل التي كانت بيد موسى والمسيح ابن مريم لما حصل هذا الاضطراب والغموض في دين المسيح إطلاقا، ولكانت مسائل العقيدة ظاهرة جدا، لأن الله وصف التوراة والإنجيل بأنه فيهما هدى ونور، والهدى والنور يتنافى مع واقع الغموض والأسرار التي في التوراة والأناجيل الموجودة بأيدي اليهود والنصارى الآن.

فتبين من هذا أن التوراة والأناجيل المعاصرة ليست هي الأصلية التي أنزلها على رسله موسى وعيسى، بل هي مكتوبة بأيدي بشر بعد عصر الأنبياء، وفيها من التحريف المكشوف عن النص الأصلي الشيء الكثير، وبهذا يتبين الفرق بين كلام الله وكلام البشر، والحمد لله على ظهور الحجة وبيان المحجة.

نَـزَعَ اللهُ النبوةَ من بني إسرائيل

نَزَعَ الله النبوة من بني إسرائيل وجعلها في بني إسماعيل، والله يحكم ما يشاء ويختار، فأرسل محمدا من ذرية إسماعيل بن النبي إبراهيم، أرسله إلى الناس كافة، بني إسرائيل وغير بني إسرائيل.

١٩. مرحلة شباب المسيح ونبوته

لم يشُبَّ المسيح على اللهو واللعب، ولم ينشغل بما انشغلت به اليهود من الإعراض عن أوامر الله وحب المال والنساء، بل كانت بوادر الإيمان والفضيلة فيه ظاهرة جدا، كما أخبر الله في القرآن عنه أنه كان من أول كلامه لما تكلم في المهد ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا * وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا * والسلام علي يوم وُلِدت ويوم أموتُ ويوم أُبعثُ حيا﴾.

وهذا النص متوافق مع ما جاء في إنجيل لوقا (٢:٤٠): «**وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح، ممتلئ حكمة، وكانت نعمة الله عليه**».

فلما بلغ المسيح الثلاثين من عمره أرسل الله إليه أعظم ملائكته وهو جبريل، وأوحى إليه الإنجيل، فيه هدى ونور، فكانت هذه فاتحة النبوة عليه، أرسله الله إلى بني إسرائيل وهم اليهود، وأيده بمعجزات تدل على أنه نبي، فآمنت طائفة به من بني إسرائيل وكفرت طائفة.

وقد كان حال اليهود الذين أرسِل إليهم المسيح لا يرضي الله سبحانه وتعالى، فقد كانوا معرضين عن طاعة الله، معرضين عن تطبيق ما في التوراة من الأوامر، وكانت نفوسهم متكبرة عن سماع الحق، يكرهون من ينصحهم من أهل الفضل، بل كانوا يقتلون الأنبياء، ويُعظِّمون الأحبار والرهبان، ويجعلون لهم حق التشريع، وهذا من الشرك بالله، لأن الله وحده هو الذي له حق التشريع.

فأيد الله المسيح بآيات باهرات تدل على أنه نبي من عند الله، فإذا ثبت لهم ذلك فقد كان ينبغي عليهم الإيمان به وطاعته واحترامه، لأن الأنبياء هم الواسطة بين الله وبين خلقه لتبليغ الشرائع، وبهم يعرف الإنسان طريق الجنة فيتبعه، وطريق النار فيجتنبه.

وقد جاء تقرير أن المسيح أيده الله بآيات باهرات تدل على نبوته في إنجيل يوحنا (٣/١-٢):

«كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس، رئيس لليهود.

هذا جاء إلى يسوع ليلا وقال له: يا مُعَلِّم، نعلم أنك قد أتيت من الله مُعَلِّما، لأن **ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه**».

فقول رئيس اليهود للمسيح (**ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه**) دليل على أن الله أيَّد المسيح بمعجزات دالة على نبوته، لأن البشر لا يستطيعون أن يأتوا بها، ومِن ذلك أنه كان يحيي الموتى، ويشفي الأبرص والأكمه (أي الذي وُلِد أعمى)، ويُنَبِّئ الناس بما يأكلون وما يدَّخرون في بيوتهم من الطعام، وكل هذا بإذن الله، وليس للمسيح فيه قدرة مستقلة وعلم مستقل، لأن المسيح بشر، لا أكثر ولا أقل.

فائدة في بطلان عقيدة الخطيئة الأولى

وهنا فائدة لطيفة، وهي أن رئيس اليهود قال للمسيح: (**يا مُعَلِّم، نعلم أنك قد أتيت من الله مُعَلِّما**)، فهنا تقرير أن المسيح أرسله الله إلى اليهود **رسولا ومعلما**، لأن الرسول يُعلِّم الناس الذين أرسل إليهم ما أرسله الله به من العلم، ومن المعلوم أن المسيح قد علَّم الناس الإنجيل، ودلهم على الخير.

ولم يقل رئيس اليهود للمسيح إنه جاء فاديا، أو مُخَلِّصا، أو إنه ابن الله، أو إنه هو الله، ولا غير ذلك من الأقوال السائدة بين جماهير المسيحيين.

والمسيح أقَرَّ هذا اليهودي على كلامه، ولم يقل له إنك مخطئ في كلامك، ولو كان هذا اليهودي مخطئا في كلامه لاعترض عليه المسيح وصحح كلامه، لأن هذه وظيفته كَمُعَلِّم، وهي أن يُقِرَّه على الصواب، ويُصلِح له الخطأ، وإلا لم يكن معلما على الحقيقة.

٢٠. المسيح يجمع تلاميذه الصادقين حوله لما اشتد إعراض قومه عن دعوته

قال الله تعالى مخبرا عن المسيح لما اشتد إعراض قومه عن الدين الذي جاء به ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى الله قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ الله آمَنَّا بالله وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

ومعنى الآية الكريمة: لما استشعر المسيح عيسى ابن مريم منهم التصميم على الكفر نادى في أصحابه الخُلَّص: مَن يكون معي في نصرة دين الله؟ فقال أصفياء عيسى: نحن أنصار دين الله والداعون إليه، صدَّقنا بالله واتبعناك، واشهد أنت يا عيسى بأنا مستسلمون لله بالتوحيد والطاعة.

٢١. مرحلة استشعار المسيح لخطر القتل الذي كان اليهود يخططونه له

آمن القليل من اليهود بالمسيح بأنه رسول من عند الله، ومنهم الحواريون، وكفر الكثير منهم، وكانت فلسطين آنذاك تحت حكم الرومان، والرومان وثنيون، لا يؤمن بالله ولا برسله، بل يؤمنون بعددٍ من الآلهة البشرية اخترعوها من عند أنفسهم، آلهة الماشية وآلهة الزرع وآلهة الحرب، وغير ذلك، ولكنهم كانوا لا يبالون باليهود وديانتهم، طالما أنهم لا يخرجون عن طاعتهم أو يقومون بأمور تؤدي إلى حصول الفوضى والاضطرابات الداخلية التي تفسد عليهم ملكهم.

الحاصل أن اليهود ضاقوا ذرعا بالمسيح، فصار يتنقل مع أمه سِرًّا في قرى فلسطين، بصحبة خواص تلاميذه وهم الحواريون، وكان المسيح يتوجس من اليهود نية القتل، وقد جاء تقرير ذلك في إنجيل يوحنا (١/٧):

«وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل، لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا **يطلبون أن يقتلوه**».

والجليل هي أحد بلدان فلسطين.

وقال لليهود كما في إنجيل يوحنا (٣٧/٨):

«أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم. **لكنكم تطلبون أن تقتلوني** لأن كلامي لا موضع له فيكم».

٢٢. لما اشتد البلاء بالمسيح وشعر بخطر القتل أخبر تلاميذه بأن الله سيرفعه إليه في إشارة واضحة إلى أن اليهود لن يتمكنوا من قتله

جاء التصريح في إنجيل يوحنا (٧:٢٥) بأن اليهود كانوا حريصين على قتل المسيح كما في النص التالي:

«فقال قوم من أهل أورشليم: **أليس هذا هو الذي يطلبون أن يقتلوه؟**»

وفي إنجيل يوحنا (١١/٥٣-٥٧):

«فمن ذلك اليوم تشاوروا **ليقتلوه**.

فلم يكن يسوع أيضا يمشي بين اليهود **علانية**، بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية، إلى مدينة يقال لها أفرايم، ومكث هناك مع تلاميذه.

وكان فُصح اليهود قريبا. فصعد كثيرون من الكور إلى أورشليم قبل الفُصح ليطهروا أنفسهم.

فكانوا يطلبون يسوع ويقولون فيما بينهم، وهم واقفون في الهيكل: ماذا تظنون؟ هل هو لا يأتي إلى العيد.

وكان أيضا رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدروا أمرا أنه إن عرف أحد أين هو فليدل عليه، لكي يُمسكوه».

٢٣. رفع المسيح دون أن يَمَسَّهُ أذى – بطلان عقيدة «صلب المسيح»

ثم لما اشتد اضطهاد بني إسرائيل للمسيح، وشعر بخطر القتل؛ أخبر قومَهُ بأن الله سيرفعه إليه، يريد بهذا طمأنتهم بأن أعداءه من اليهود لن يخلصوا إليه ويقتلوه أو يُلحِقوا به أدنى أذى، وهذا الإخبار من المسيح للحواريين قد جاء ذكره في إنجيل متى (٩:١٥) حين قال المسيح لتلاميذ يوحنا:

«فقال لهم يسوع: هل يستطيع بنو العُرس أن ينوحوا ما دام العريس معهم؟ ولكن ستأتي أيام حين **يُرفع** العريس عنهم، فحينئذ يصومون».

فتأمل أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة قوله (يُرفع العريس)، ولم يقل (يُقتل) أو (يصلب)، ولا غير ذلك من العبارات التي اعتمدت عليها المسيحية المعاصرة في عقيدة أن المسيح قُتِل وصُلِب.

وهذا متوافق أيضا مع ما في يوحنا (١٤/٣): «وكما رفع موسى الحية في البرية **هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان**».

كما جاء في إنجيل يوحنا أن المسيح أخبر قومه بطريق الإشارة أن الله سيرفعه، وأنه لن يقتل ولن يصلب، ففي إنجيل يوحنا (٧ / ٣٢ – ٣٦):

«سمع الفريسيون[١] الجمع يتناجون بهذا من نحوِهِ، فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليُمسكوه.

فقال لهم يسوع: أنا معكم زمانا يسيرا بعد، ثم أمضي إلى الذي أرسلني.

ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا.

فقال اليهود فيما بينهم: إلى أين هذا مُـزْمِـعٌ[٢] أن يذهب حتى لا نجده نحن؟ لعله مُـزْمِـعٌ أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين.

ما هذا القول الذي قال: (ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا؟)»

---

[١] الفريسيون هم طائفة من غلاة اليهود المتعصبين والمتشددين بالمظاهر الخارجية للورع والتدين، ومنها التقيد بحرفية الشريعة أو الناموس مثل الامتناع عن أداء أي عمل يوم السبت، أو مخالطة غير اليهود، إذ يُعتبرون نجِسين، وقد آذوا المسيح عليه السلام. نقلا من «تاريخ النصرانية، مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، ص ٥٩، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع، ط ١.

[٢] مُزمِعٌ أي عازمٌ.

فقول المسيح (**أمضي إلى الذي أرسلني**) وقوله بعدها (**ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا**) دلالة صريحة على أن المسيح سيرفعه الله إلى السماء ولن يبقى على الأرض، وبناء عليهِ فإن الشخص الذي صلبوه وقتلوه ليس هو المسيح قطعا.

كذلك فلو كان المسيح هو المقتول لكان موجودا، ولكان مكانه معروفا أمامهم قد وصلوا إليه، واليهود سيكونون قد طلبوه ووجدوه وصلبوه وقتلوه – على زعم من يقول ذلك – فكيف يستقيم هذا مع قول المسيح (**ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا**).

والمسيح صادق فيما يقول، لن يكذب على الناس، لأن الكذب صفة رديئة، حاشا الأنبياء أن يتصفوا بها.

وبعبارة أخرى فكلام المسيح لا يتحقق إلا بواحدة من اثنتين، إما أن يخبر المسيح بخبر كاذب، وهو أنهم يطلبونه ولا يجدونه، ثم تتبين الحقيقة في أنهم طلبوه ووجدوه، وهذا مستحيل لأن المسيح لم ولن يكذب.

أو يكون المسيح صادقا، فطلبوه ولم يجدوه، وهذا لا يتحقق إلا برفعه إلى السماء، وحلول شخص آخر مكانه يشبه المسيح، فقتله اليهود ظنا منهم أنه هو المسيح.

وهذه الجرأة ليست مستغربة عليهم، فقتلُ الأنبياء والـمُصلِحين هو دأبهم.

وهذا القول هو الحق الذي لا مِرية فيه، وهو الذي صدَّقه القرآن، كلام الله المحفوظ، قال الله في القرآن ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * **بل رفعه الله إليه** وكان الله عزيزا حكيما﴾.

فالحاصل من هذا كله أن المسيح ليس هو المقتول، بل المقتول شخصٌ آخر، وأما المسيح فرفعه الله إليه في السماء، في معجزة عظيمة، وكرامة رفيعة، لم تحصل لنبي قبله، فأعزه الله وخذل أعداءه.

وقد جاء في إنجيل يوحنا (١٦/٣١) أن المسيح قال لأتباعه قبل رفعِهِ أن الله معه، وأنه لن يُسْـلِمَـهُ لأعدائه الذين يريدون قتله، وأنه بهذا سيكون قد انتصر عليهم، وأنه سيغلب العالم، وهذا النص يثبت أن الله أوحى إليه عن طريق الـمَلَك جبريل أن الله سينجيه منهم، كما أن هذا النص ينسف عقيدة الصلب من أساسها، ويثبت عقيدة الرفع إلى السماء دون أن يمسوه بأذى، وإلا فكيف يكون قد غلب العالم مع كونه مغلوبا مصلوبا على خشبة؟ هذا لا يستقيم مع هذا!

وهذه هي العقيدة الصحيحة التي قررها القرآن لاحقا.

فائدة

في قول المسيح (**أمضي إلى الذي أرسلني**) دليل صريح على أنه رسول من عند الله، وليس ابن الله كما يقال.

فائدة في بطلان عقيدة الخطيئة الأولى

هنا فائدة لطيفة جدا، وهي أن المسيح كان حريصا على النجاة من القتل، مما يدل على أنه لم يكن فاديا ولا مخلصا، إذ لو كان كذلك لأسلَمَ نفسه لليهود لتتحقق عقيدة تكفير الخطيئة والصلب التي تنص عليها المسيحية المعاصرة، ولَمَا حاول الفرار منهم والاستخفاء مع أمه في الجليل وغيرها.

شبهة والجواب عليها

فإن قيل إنه قد جاء في إنجيل «متى» (١٥/٣٤) أن الذي كان معلقا على خشبة الصليب قال عند موته (إيلي، إيلي، لِـمَ شبقتني؟)

أي: إلهي، إلهي، لِـمَ تركتني.

فمن الذي قال ذلك؟

فالجواب سهل جدا، وهو أن الذي قال ذلك هو الشخص المصلوب الذي ألقى الله عليه شبه المسيح، فأخذوه وصلبوه وقتلوه ودفنوه، وليس هو المسيح نفسه، كما قال الله في القرآن ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّهَ لهم وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما﴾.

٢٤. حال بني إسرائيل بعد رفع المسيح وظهور بولس

عاش أتباع المسيح على العقيدة الصحيحة التي رباهم عليها المسيح حينا من الدهر، ولكنهم لاقوا خلالها اضطهادا شديدا من اليهود، لاسيما من بولس اليهودي، فقد كان شديد الاضطهاد للنصارى أتباع المسيح، فلما وجَدَ أن العنف لم ولن يُجدي معهم استعمل أسلوب النفاق، فادَّعى الإيمان بالمسيح، واجتهد في تعلُّم تعاليمه حتى صار من أعلمِهم، ثم بعد هذا كذب عليهم وقال إن المسيح أوحى إليه إنجيلا، فصدَّقه من صدقه، ثم قام بمهمته الدنيئة التي كان يهدف إليها وهي تحريف دين المسيح، بإدخال ما ليس منه فيها، فاخترع عقيدة أن المسيح ابن الله، ثم عقيدة الخطيئة الأولى، ثم عقيدة الفداء، فقام في وجهه كثير من أتباع المسيح، يدل لهذا ما قال بولس عن نفسه كما في «تيموثاوس الأولى» (١:١٥): «أنت تعلم هذا أن جميع الذين في آسيا **ارتدوا عني**».

وقال فيها أيضا (٤:١٦): «في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي، **بل الجميع تركوني**».

٢٥. لمحات عن الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم

الحلقة الأولى: حال البشرية قبل بعثة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم[١]

كان أهل الأرض قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم على صنفين:

الصنف الأول: أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى.

والصنف الثاني: من لا كتاب لهم.

الصنف الأول: أهل الكتاب

أما اليهود فقد كذَّبوا الأنبياء، وقتلوا كثيرًا منهم، وحرَّفوا التوراة، وأكلوا الربا، ونقضوا المواثيق، وكذَّبوا عيسى ابن مريم عليه السلام، ورَمَوه وأمَّه بالعظائم، وسعوا في قتله، وتكالبوا على الدنيا، وانغمسوا في الشهوات، وكانوا قبل ذلك قد تعنَّتوا مع موسى عليه السلام أشدَّ العنت، حتى أن خِيارهم سمِعوا الربَّ تعالى وهو يكلِّم موسى عليه السلام، فيأمره وينهاه، ويعهَد إليه، فلما انكشف الغمام قالوا: ﴿ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾[٢]، فهذا حال خِيار اليهود، فكيف حال شرارهم؟!

وأما النصارى، فقد سبّوا الله تعالى مسبةً ما سبَّه إياها أحدٌ من البشر، فلم يُقِرُّوا بأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، بل قالوا: إن الله له ولد، وهذا القول وصفه الله في القرآن بأنه ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً * أن دعوا للرحمٰن ولدا * وما ينبغي للرحمٰن أن يتخذ ولداً * إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمٰن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم عداً * وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾[٣].

واعتقاد النصارى هذا في المسيح متناقض كل التناقض مع ما هو مُقرر في الأناجيل، فإن المسيح موصوف فيها بأنه كان يتمتع بجميع الصفات البشرية التي يحملها كل البشر من جوع وعطش وتعب ونوم وبكاء وضعف وحزن وصوم وعذاب وضرب وموت وفقدان وتوبيخ وتعلُّم وانزعاج واشتهاء، ومن ذلك ما جاء في إنجيل يوحنا (١٩/٢٨): قال يسوع: «أنا **عطشان**».

- وفي إنجيل متّى (٨/٢٤): «وكان هو **نائماً**».
- وفي إنجيل يوحنا (٤/٦): «فإذا كان يسوع قد **تعب** من السفر جلس هكذا على البئر».
- وفي إنجيل مرقس (١٤/٣٢-٣٥) أنه يصلي ويحزن ويُدهش ويكتئب:

  «وجاءوا إلى ضيعة اسمها جثسيماني، فقال لتلاميذه: اجلسوا هٰهنا حتى **أصلي**.

  ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا، وابتدأ **يُدهش ويكتئب**.

  فقال لهم: نفسي **حزينة** جدا حتى الموت امكثوا هنا واسهروا.

---

[١] هذا فصل مهم، انتقيته من الكتاب المفيد: «من أسرار عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) »، ص ٥ - ٩، لمؤلفه: خالد أبو صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض، وقد عدلت فيه وزدت عليه بما يسر الله.

[٢] سورة البقرة: ٥٥.

[٣] سورة مريم: ٩٠ – ٩٥.

ثم تقدم قليلا وخرَّ على الأرض، وكان **يصلي** لكي تَـعْبُـر عنه الساعة إن أمكن».

- وفي إنجيل يوحنا (١١/٣٥): «**بكى** يسوع».

- وفي إنجيل لوقا (٢٢/١٤ – ١٥): «ولما كانت الساعة **اتكأ** والاثنا عشر رسولا معه.
وقال لهم: شهوة **اشتهيت** أن **آكل** هذا الفُصح معكم قبل أن **أتألم**».

ليس هذا فحسب، بل إن يسوع كان **يخاف** من اليهود أن يقتلوه، كما في يوحنا (١١/٥٣-٥٤): «فمن ذلك اليوم تَشاوروا **ليقتلوه**، فلم يكن يسوع أيضًا يمشي بين اليهود **علانيةً**».

والتعليق على هذا كله: هل يُعقل أن يكون المسيح إلٰها مع كونه يعطش وينام ويتعب ويُدهش ويكتئب ويبكي ويتكئ ويشتهي ويتألم (ويخاف)؟!

ما الفرق بينه وبين البشر إذن؟!

- وقد اعترف يسوع نفسه بأنه مُرسلٌ من قِبَـلِ الله تعالى وذلك في مواضع عديدة من الأناجيل، كما في إنجيل يوحنا (٥/٢٤):
«الحق الحق أقول لكم: إنَّ من يسمع كلامي ويؤمن بالذي **أرسلني** فله حياة أبدية».

- وفي إنجيل يوحنا (٧/٢٨-٢٩):

«فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلا: تعرفونني وتعرفون من أين أنا، ومن نفسي لم آت، بل الذي **أرسلني** هو حق، الذي أنتم لستم تعرفونه.
أنا أعرفه لأني منه، وهو **أرسلني**».

بل قد ورد في الإنجيل **صريحا** أن المسيح عبد من عباد الله تعالى، وهذا ينافي دعوى ألوهيته، ففي متّى (١٢/١٨): «هذا **عبدي** الذي اصطفيته، وحبيبي الذي ارتاحت نفسي إليه، أضعُ روحي عليه، فيخبر الأمم بالحق».
وقد حُرِّفت فيما بعد كلمة «عبدي» إلى «ابني» في عدة طبعات، وبقيت في بعضها.

ليس هذا فقط ما فعله النصارى بدينهم، بل إنهم أحلوا المحرمات، فشربوا الخمور، وأكلوا الخنزير، وتركوا الختان، وأقدموا على الزنا، واستباحوا كل خبيث، وقهروا المرأة وعَدُّوها شيطاناً في صورة إنسان، وعبدوا رهبانهم من دون الله، فالحلال ما أحلَّه القِسّ، والحرام ما حرَّمه، والدين ما شرَعه، وهو الذي يغفر لهم الذنوب، ويباركُهم، وينجيهم من عذاب السعير.

الصنف الثاني من أهل الأرض: من لا كتاب لهم

فهؤلاء ما بين عابد أوثان، وعابد نيران، وعابد شيطان، ومتردد حيران، يـجمعُهم الشرك، وتكذيب الرسل، وجَحْدِ الشرائع، وإنكار القيامة وحشر الأجساد، فلا يَدينون للخالق بدين، ولا يعبدونه مع العابدين، ولا يُـوحِّدونه مع الـمُوحدين.

هذا هو حال البشرية قبل مبعث خير البرية، محمد (صلى الله عليه وسلَّم)، فكانت الظروف مُهيئة لطلوع شمس رسالة الإسلام، لتصحيح مسار البشرية، وتوجيهها إلى طريق الهداية والفطرة السليمة.

ويُصوِّر الشيخ أحمد ديدات – رحمه الله – حاجة البشرية إلى بعثة خير البشرية قائلاً:

"لو درستَ تاريخ العالم حتى الآن، سيخبرك أن الوقت الذي أمر فيه الله سبحانه وتعالى خاتم أنبيائه ورسله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يعلن للناس رسالته كان من أشدِّ الأوقات ظلاماً.

لقد كانت الحاجة ماسّة إلى أحد أمرين: إما إرسال نبيٍّ مرسل خاتَم للأنبياء والرسل لكلِّ ركن وكُـلِّ أمة من أركان وأمم العالم، أو إرسال نبي مرسل خاتم للأنبياء والرسل إلى كل البشر في كل أمم وأركان العالم، لكي يُـخَـلِّص ويُـحرر كل البشر من الزيف، والخرافة، والأنانيَّة، وتعدد الآلهة، والضلال، وظلم وقهر الإنسان لأخيه الإنسان، وتكون رسالة خاتم أنبياء ورسل الله موجهة من الله إلى الإنسانية كلها.

واقتضت مشيئة الله وحكمته أن يختار لهذه الرسالة الخاتمة النبي محمداً – خاتم الأنبياء والمرسلين – صلى الله عليه وسلم، ويكون من أعماق أكثر مناطق الأرض تخلفاً قبل بعثه إلى البشر كافة من شبة الجزيرة العربية، وهذه الحقيقة – أن رسالة نبي الإسلام كان رسالة لكل البشر – قد سجَّلها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾ [١].

لا مجال هنا لتمييز جنس على آخر، أو تفضيل أمة على أمة أخرى، لا مجال هنا الآن "للشعب المختار"[٢]، أو "بَذرة إبراهيـم"[٣]، أو "نسل داود"[٤]، أو "هندو آريا فارتا"[٥]، أو "اليهود"، أو "الجويـيـم"[٦]، أو "العرب"، أو "العَـجَـم" (الفُـرْس)، "الأتراك أو الطاجيك"، "الأوروبيين أو الآسيويين"، "البيض أو الـمُلَـوَّنين"، "الآريين[٧] أو الساميين[٨]"، "المغول[٩] أو الأفارقة"، "الأمريكي أو الاسترالي أو البولندي"، إنه لكل الناس ولكل المخلوقات التي حباها الله القدرة على تحمل المسؤولية الروحية، إنه يُقدم المبادئ السليمة لكل العالم".[١٠]

---

[١] سورة الأنبياء: ١٠٧.

[٢] يعتقد اليهود أنهم شعب الله المختار، وأن الله اختارهم ليكون شعبا خادماً له بين الشعوب، وليكون أداته التي يُصلح بها العالم ويوحد بها بين الشعوب. هذا اعتقادهم، وهو من روافد فكرهم العنصري. (المصدر: Wikipedia).

[٣] يطلق اليهود على أنفسهم هذا الوصف، أنهم بذرة إبراهيم أي نسله، ومن المعلوم أن الخيرية في الناس ليست متعلقة بالنسب، وإنما بالإيمان والعمل والصالح، ولو لم يكن الشخص من ذرية نبي.

[٤] يؤمن اليهود أن المسيح اليهودي سوف يكون من نسل داوُد المباشر، وأنه سيأتي في آخر الزمان، بينما يؤمن المسلمون بأن المسيح عيسى ابن مريم سينزل في آخر الزمان، فيدعو الناس إلى الدخول في الإسلام، فمن لم يجبه من النصارى فإنه سيقتله، وأما اليهود فسيقتلهم عن بكرة أبيهم على أرض فلسطين، حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله.

[٥] «هندو آريا فارتا» شعب من الشعوب الهندية. يراجع (المصدر: Wikipedia).

[٦] «جوييم» مصطلح عبري عند اليهود، وهو جمع كلمة «جوي»، والتي تعني «شعب»، و «قوم». (المصدر: Wikipedia).

[٧] الآريون شعب قديم أصله من شرق أوروبا. استولى على إيران من الشمال الغربي للهند عام ٢٠٠٠ ق.م. (المصدر: Wikipedia).

[٨] الساميون هم الشعوب الأساسية التي هاجرت ابتداء من سنة ٣٥٠٠ ق.م. من الصحراء العربية إلى ضفاف نهري دجلة والفرات. (المصدر: Wikipedia).

[٩] المغول قوم نشئوا في أواسط آسيا في منطقة منغوليا. (المصدر: Wikipedia).

[١٠] «محمد صلى الله عليه وسلم أعظم عظماء العالم»، أحمد ديدات، ترجمة علي الجوهري، ص ٦٨ – ٦٩.

فأشرقت الأرض بنور هذه الرسالة، كما قال تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[1]، وقال: ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين﴾[2].

فاختار الله محمداً صلى الله عليه وسلم ليكون آخر حبة في عقد النبوة، فانطلق صلى الله عليه وسلم من جزيرة العرب يدعو إلى التوحيد، ويقدم الدلائل الباهرة على صدق نبوته، ويُقيم الحجة تلو الحجة على الكفار المعاندين، وصبر النبي صلى الله عليه وسلم على كافة صنوف الأذى والاضطهاد، فإنهم تآمروا على قتله عدة مرات، وأخرجوه من بلده، وحاصروه اقتصاديًا، وعذَّبوا أصحابه وقهروهم، حتى أذِن الله تعالى بالنصر، ففُتحت مكة وصارت دار إسلام، واستمرت شمس الرسالة بعد ذلك تنتقل من بلدٍ إلى بلد، حتى ظهر للعيان أمةٌ كبيرة امتد جناح ملكها من نهر تاجه في أسبانيا إلى نهر الفينج في الهند، ورُفعت على منار الإشادة أعلام التمدن في أقطار الأرض، **بينما كانت أوربا مظلمة بجهالات القرون الوسطى**.

قال «وِل ديورانت»[3] مؤلف كتاب «قصة الحضارة»: لقد ظلَّ الإسلام خمسة قرون على الأقل من عام ٧٠٠م إلى ١٢٠٠م يتزعم العالم كله في القوة والنظام وبَسط الملك، وجميل الطباع والأخلاق، وفي ارتفاع مستوى الحياة، وفي التشريع الإنساني الرحيم، والتسامح الديني، والآداب، والبحث العلمي، والعلوم، والطب، ... إلخ.[4]

[1] سورة التوبة: ٣٣.

[2] سورة آل عمران: ١٦٤.

[3] تقدم التعريف به.

[4] «الإسلام والرسول في نظر مُنصِفي الشرق والغرب»، ص ١٦٧.

الحلقة الثانية: من هو محمد؟[1]

ليس هناك أبسط من قول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿محمد رسول الله﴾ لتعرف من هو محمد صلى الله عليه وسلم، إنه رسول الله، بل خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي أرسله الله لهداية البشرية، بعد أن ضاعت معالم الدين الصحيح الذي بعث الله به موسى وعيسى، وحُـرِّفت التوراة والإنجيل، ومَلأ الشرك والظلم والطغيان الآفاق.

محمد (صلى الله عليه وسلم) هو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، ويرجع نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وأمه هي آمنة بنت وهب، تزوجها عبد الله والد النبي (صلى الله عليه وسلم) زواجا صحيحا، فلم تلبث أن حملت بالنبي (صلى الله عليه وسلم).

وقد صان الله «عبد الله» والد النبي (صلى الله عليه وسلم) **من زلة الزنا**، ليكون نسبه (صلى الله عليه وسلم) نسبا شريفا طاهرا لا مطعن فيه.

قال النبي (صلى الله عليه وسلم): إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سِفاح[2].[3]

وفي لفظ[4]: إنما خرجت من نكاح، لم أخرج من سِفاح من لدُن آدم، لم يُصبني سفاح الجاهلية.

وقد وُلد النبي (صلى الله عليه وسلم) في عام الفيل، والذي يوافق تقريبا عام ٥٧١ بالتاريخ الميلادي.

تُـوُفِّـي أبوه وهو حملٌ في بطن أمه، ثم تُـوُفِّيت أمه وهو في السادسة من عمره، فكفَله جده عبد المطلب، الذي تُـوَفِّـي هو الآخر والنبي (صلى الله عليه وسلم) لم يتجاوز الثامنة من عمره، فأوصى به إلى عمه أبي طالب الذي اهتم به ورعاه وأحسن معاملته، مع أنه لم يؤمن ببعثـة النبي (صلى الله عليه وسلم)، واستمر على شركِه إلى أن مات.

وفي ذلك قال الله تعالى ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾.

وقد صان الله نبيه (صلى الله عليه وسلم) من دَنَـسِ الجاهلية، وطهَّره من عيوبها، ومنحه كل خُـلُقٍ جميل، حتى أنه لم يكن يُعرف بين قومه إلا بالأَمِين، وهذه غاية التزكية عندهم، وذلك لِما شاهدوه من طهارته وصدق حديثه وأمانته.

عاش النبي (صلى الله عليه وسلم) فترة شبابه بعيدا عن حياة اللهو والعبث التي اشتَهر بها الشباب في ذلك الوقت، وما إن وصل عمره إلى الخامسة والعشرين حتى تزوج من خديجة بنت خويلد، وكانت في الأربعين من عمرها.

---

[1] هذا فصل مهم، انتقيته من الكتاب المفيد: «من أسرار عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) »، ص ١٠ – ١٤، لمؤلفه: خالد أبو صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض، وقد عدلت فيه وزدت عليه بما يسر الله.

[2] السِّفاح هو الزنا.

[3] رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسير الآية، وكذا البيهقي في «السنن الكبرى» (١٩٠/٧).

[4] رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه»، كتاب الفضائل (٣١٦٣٢)، والطبراني في الأوسط (٤٧٢٨)، وقال الألباني في «الإرواء» (٣٣١/٦): وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وهي امرأة شريفة تتمتع بمكانة اجتماعية ومالية عظيمة، فما إن سمعت بأخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى رغبت في أن يُباشر تجارتها في الشام، فوافق النبي (صلى الله عليه وسلم)، فسافر إلى الشام، وأرسلت معه غلامها «ميسرة» ليكون مساعدا له.

وقد رأى ميسرة ما بهره من شأنهِ، وما كان يتحلى به من صدق وأمانة وكريم خلق.

فلما رجع أخبرَ سيدته بما رأى، فرغبت في الزواج منه، فتزوجها النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومكث معها زوجا وَفِيًّا خمسا وعشرين سنة، لم يتزوج غيرها حتى ماتت، فلما ماتت تزوج النبي (صلى الله عليه وسلم) جملة من النساء لحِكَم وفوائد كثيرة.

حَبَّب الله إلى نبيه (صلى الله عليه وسلم) الاختلاء بالنفس لعبادة الله، وكان يفعل ذلك في غار حِراء[1]، وظلّ على هذه الحال حتى وصل عمره إلى الأربعين، وهو عمر الكمال.

وبينما هو في غار حِراء يتأمل إذ نزل عليه الملَك، وهو جبريل، وهو أعظم الملائكة، فقال له: اقرأ. فقال: لستُ بقارئ[2].

وكرر ذلك ثلاثا، ثم قال المَلَك: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من عَلَق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علَّم الإنسان ما لم يعلم﴾.

فرجع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى خديجة رضي الله عنها وهو يرتجف، فأخبرها بما حدث له في الغار، فكانت نِعْمَ الزوجة والمُعين، حيث طمأنته وهدّأته وقدمت له الدعم الكامل في هذا الوقت العصيب، وقالت له: «كلا،

---

[1] «حِراء» جبل في ناحية من نواحي مكة، كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يتعبد فيه قبل أن يبعثه الله نبيا.

[2] أي: لست أعرف القراءة.

فائدة في الحكمة من كونِ النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أُمِّـيًّا، أي لا يقرأ ولا يكتب:

قال الله تعالى لنبيه في القرآن ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون * بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾. (سورة العنكبوت، آية ٤٨)

ومعنى الآية الكريمة: إنك أيها الرسول لم تقرأ كتابًا من قبل، ولم تكتب حروفًا بيمينك قبل نزول القرآن عليك، بل جعلناك أميا لا تقرأ ولا تكتب، والحكمة في ذلك أنك لو كنت تقرأ أو تكتب لقالوا: إنك ألفت هذا الكتاب (أي القرآن)، أو إنك قرأت في الكتب السابقة ونقلت منها وصنعت هذا القرآن، ولكن لما جعلناك أُمِّيًّا لا تقرأ ولا تكتب، وسمعوا القرآن ورأوا أن البشر لا يقدِرون أن يأتوا به وأنه لا يشبه كلام البشر؛ انقطع عنهم هذا الشك، ولم يكن هناك بُـدٌّ من أن يقولوا إنه وحيٌ من عند الله، فآمن بك وبنبوتك من آمن، واستكبر من استكبر.

ومن اللطائف أنه قد جاء في العهد القديم صفة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هذه، أي كونِهِ أُمِّـيًّا لا يقرأ ولا يكتب، فقد جاء في سفر أشعياء (١٢/٢٩):

«أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اِقرأ هذا. فيقول: لا أعرف الكتابة».

أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، فوالله إنك لتصل الرَّحِم[1]، وتصدُق الحديث، وتحمل الكَلَّ[2]، وتَكسِب المعدوم[3]، وتَقري الضيف[4]، وتعين على نوائب الحق.[5]

ثم ذهبت خديجة بالنبي (صلى الله عليه وسلم) إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وهو شيخٌ كبير قد عمِي، وكان قد تنصَّر[6] ودرَس الإنجيل، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك.

فقال ورقة للنبي (صلى الله عليه وسلم): يا ابن أخي، ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رأى في الغار.

فأخبره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خبر ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس[7] الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جَذَع[8]، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أوَمُخرجيَّ هم؟

قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزّرا.

ثم لم يَنشب[9] ورقة أن تُوفي.[10]

ثم انقطع الوحيُ مدةً، فاغتم لذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ثم نزل عليه الوحي بعد ذلك بالآيات: ﴿يا أيها المُدَّثِّر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر﴾.

ومعنى ﴿المُدَّثِّر﴾ أي الذي تلفَّف بالدِّثار وهو الثوب، وذلك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أصابه الخوف لما نزل عليه المَلَكُ، فذهب مسرعا إلى بيته وقلبه يرجف فقال لزوجته خديجة (دثِّروني، دثِّروني)، أي لُفُّوني بثوب ليهدأ قلبي.

ثم شمَّر (صلى الله عليه وسلم) عن ساق التكليف، استجابة لأمر ربه ﴿قم فأنذر﴾، فقام في طاعة الله أتم قيام، ودعا إلى الإسلام الكبير والصغير، والحر والعبد، والرجال والنساء، والأبيض والأسود، فاستجاب له من أراد الله سعادته في الدنيا والآخرة، فدخلوا في الإسلام على نور وبصيرة، وصبروا على الأذى والاضطهاد، والحصار والتجويع، والقتل والتشريد، كل ذلك حبا لله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، وإيمانا بعظمة الرسالة وصدق التعاليم.

---

[1] الرَّحِم هم الأقارب، ومعنى قولها (تصل الرحم) أي تتواصل معهم وتزورهم ولا تقاطعهم.

[2] تحمل الكَلَّ أي تحمل عن الناس ما يثقلهم من أعباء الدنيا. انظر «النهاية».

[3] تكسب المعدوم أي تعطي المعدوم وهو الذي لا مال عنده. انظر «النهاية».

[4] تقري الضيف أي تكرمه.

[5] رواه البخاري (٤٩٥٣)، ومسلم (١٦٠).

[6] أي اعتنق النصرانية، دين المسيح.

[7] قال السيوطي رحمه الله: (هذا الناموس)؛ إشارة إلى الملَك الذي ذكره النبي (صلى الله عليه وسلم) في خبره، وهو اسم لجبريل، وأصله في اللغة: (صاحب سر الخير)، يقال: نمست الرجل، أي ساررته، ونمست السر؛ كتمته.

«الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج» (١/١٨٧)، تحقيق أبي إسحاق الحويني، الناشر: دار ابن عفان – الخبر.

[8] أي يا ليتني أكون جذعا إذا نبئت، والجذع هو الشاب.

[9] ينشب أي يلبث.

[10] رواه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠) عن عائشة رضي الله عنها.

لقد بقي النبي (صلى الله عليه وسلم) ثلاث سنين يدعو سرا، ويختبئ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، ثم نزل عليه قوله تعالى ﴿فاصدع بما تؤمر﴾، فجهر بالدعوة، وذهب إلى الناس في أسواقهم وأنديتهم يدعوهم إلى الإسلام، ويُـرغِّـبُـهـم فيه، ويُـرَهِّبهـم من الكفر والعناد واتباع الهوى.

ولقد لقي (صلى الله عليه وسلم) من قومه صنوفا من الأذى والاحتقار والتكذيب، ولكنه (صلى الله عليه وسلم) كان صابرا محتسبا غير مكترثٍ لما يصيبه من أذى في سبيل الله.

ذهبَ ذات مرة إلى الطائف لدعوة قبائلها، فقابلوه أسوأ مقابلة، وأغْروا به سفهائهم، فضربوه بالحجارة حتى أدموا قدمه، فرجع حزينا مهموما منكسر الخاطر من شدة الأذى والتكذيب.

واستمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الدعوة والصبر على الأذى، حتى قيَّض الله له ستة أشخاص من المدينة، دعاهم فأسلموا، ثم رجعوا إلى «المدينة» فدعوا قومهم إلى الإسلام، وقد شكَّل هؤلاء الستة النواة الأولى للدعوة في المدينة.

ثم جاء اثنا عشر رجلا من المدينة منهم خمسة من الستة المذكورين، فبايعوا النبي (صلى الله عليه وسلم)، وتعلَّموا منه شيئا، ثم رجعوا إلى المدينة لينشروا ما تعلموه من النبي (صلى الله عليه وسلم)، وبسبب هؤلاء انتشر الإسلام في المدينة حتى عم قبائل المدينة كلها.

ثم وَفَـد على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أهل المدينة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان، فبايعوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأخذوا عنه مجمل تعاليم الإسلام، ثم رجعوا إلى المدينة فانتشر الإسلام في كل بيت فيها.

أصبحت المدينة مهيئة لتكون قاعدة الانطلاق لهذا الدين، فأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه بالهجرة إليها بعد أن اشتد عليهم الأذى والاضطهاد والتعذيب بمكة، فهاجروا، ثم هاجر النبي (صلى الله عليه وسلم) هو وصاحبُه أبو بكر إلى المدينة، فلما دخلها تلقاهُ أهلها بالفرح والسرور، فبنى مسـجده ومنزله، وأقام مجتمع العدل والمساواة، ثم أُذِن له بعد ذلك في القتال للدفاع عن النفس وعن العقيدة، قال تعالى: ﴿أُذِنَ للذين يقاتَلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾، وقال ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾.

وما زال صلى الله عليه وسلم يَلطُف بالخلق، ويُريهم المعجزات، ويعفو عنهم، ويصبر على أخطائهم، حتى فتح الله له القلوب، وأنار به البصائر، ففُتِحت مكة في السنة الثامنة من الهجرة، وعفا (صلى الله عليه وسلم) عن أهلها، فأسلم كثير من أهلها بعد ذلك، واستمر (صلى الله عليه وسلم) في الدعوة والجهاد حتى مرض وتوفي في السنة الحادية عشرة من الهجرة.

الحلقة الثالثة: مَن الذي علَّم محمدًا (صلى الله عليه وسلم) القرآن؟[1]

ذكرنا أنه صلى الله عليه وسلم نشأ يتيماً، فهو لـم ير أباه، ولم يتعلم شيئاً من أُمِّـه، لأنه أُرسِـل إلى البادية ليُكمل رضاعته، ويتعود شدة العيش في البادية، وكانت هذه عادة العرب قبل الإسلام، فمكث صلى الله عليه وسلم في البادية بعيداً عن أمه نحواً من خمس سنين، ثم ماتت أمه وهو في السادسة، ومات جدُّه المُتكفِّل به (عبد المُطلب) وهو في الثامنة.

أما عمُّه أبو طالب الذي مكث معه سنين طويلة، فإنه لم يهتم بجانب تعليمه، فنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمِّـيًّا لا يقرأ ولا يكتب.

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له اهتمام بالأدب والشعر ومجالس الشعراء ومنتدياتهم، وهو النشاط الذي برع فيه قومه، وأَوْلَـوْهُ عناية فائقة، حتى إنهم كانوا يعلِّقون القصائد الرائعة على جدران الكعبة المشرفة تشريفاً لأصحابها.

ومن هنا تتبين الحكمة من فَقْدِ النبي صلى الله عليه وسلم لكلِّ مصادر التعليم والتثقيف، التي يُمكن من خلالها أن يطَّلع على الأديان والثقافات والحضارات الأخرى، **وهي تهيئة النبي صلى الله عليه وسلم لرسالة السماء الربانية الصافية من الثقافات البشرية،** ليتولى الله تبارك وتعالى تعليمه بنفسه كما قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[2].

وقال الله لنبيه: ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[3].

يضاف إلى هذا أن مولده صلى الله عليه وسلم كان في مكة، وهي البيئة المنعزلة عن الحضارة، والتي تحيط بها الجبال من كل جانب، ليتبين بذلك ويظهر بجلاء أن هذه الرسالة التي دعا إليها النبي صلى الله عليه وسلم إنما هي رسالة إلٰهية، لم تعتمد على الثقافات والحضارات البشرية، لأنه من المستحيل أن يأتي رجلٌ أُميٌّ، يعيش في هذه البقعة التي تحيط بها الجبال من كل جانب، ولم يجلس إلى معلم، ولم يتثقف على يد مربي، ولم يقرأ كتابًا، ولم يكتب بيده قط، ثم يُنشئ دينًا عظيمًا متكاملًا من جميع جوانبه، في جانب العقيدة والعبادة والأخلاق، والمعاملات، ويكون لهذا الدين حُكْمٌ كامل في كافة مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية والعسكرية ...

نعم، لا يكون هذا إلا إنْ كان هذا الرجل الذي جاء بهذا الدين نبي يوحى إليه من عند ربه سبحانه وتعالى.

نعم، إنه من غير الطبيعي أن يكون النبي محمد صلى الله عليه وسلم لا يقرأ ولا يكتب ولا يحفظ الشعر، ثم يأتي فيؤلِّف كتابًا يُسميه «القرآن» يتحدى به جميع العرب الذي اشتُهروا بالفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله، مما دعا عقلاء قومه على مر التاريخ لأن يؤمنوا بأنه نبي من عند الله سبحانه وتعالى.

---

[1] هذا فصل مهم، انتقيته من الكتاب المفيد: «من أسرار عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) »، ص ١٥ – ١٦، لمؤلفه: خالد أبو صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض، وقد عدلت فيه وزدت عليه بما يسر الله.

[2] سورة النساء: ١١٣.

[3] سورة الشورى: ٥٢.

يضاف إلى هذا ما في القرآن من أخبار عن الأنبياء والمرسلين، وماذا قالوا لقومهم، وبماذا ردَّ قومُهم عليهم، وكيف كانت عاقبة المكذبين منهم، ففي القرآن من قصص آدم وإبراهيم وموسى وعيسى ما يتوافق مع ما يذكره أهل الكتاب في كتبهم، وما يخالف تلك الكتب، وما لا علم لهم به أصلاً، مع أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما وصفه ربه ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المُبطِلون * بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا المُبطِلون﴾.

يضاف إلى ما تقدم أن القرآن فيه ذِكر أمور غيبية لم تحدث وقت نزول القرآن فحدَثت كما أخبر القرآن، وفيه ذكر اكتشافات علمية ظهرت حديثا ولم تكن معروفة قبل ذلك، فمن ذا الذي علّم هذا اليتيم الأُمِّي كل ذلك، ومن الذي أطلعه على عالم الغيب، ومن الذي قصَّ عليه قصص الأنبياء من قبله وأعطاه من دقائق المعلومات؟

الجواب: إنه الله سبحانه وتعالى.

الحلقة الرابعة: أوصاف النبي محمد صلى الله عليه وسلم[1]

مِن أوصاف النبي محمد صلى الله عليه وسلم: الفصاحـة والبيـان

كان صلى الله عليه وسلم فصيح اللسان، واضح البيان، قوي الحجة، وقد بلغ في ذلك أعلى المراتب، حيث أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، واختُصِر له الكلام اختصارًا، بحيث يستخدم الألفاظ اليسيرة التي تدل على المعاني الغزيرة والفوائد الجليلة.

- ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «إنَّما الأعمال بالنيِّات، وإنَّما لكلِ امرئٍ ما نوى»[2].

قال الشافعي رحمه الله، وهو من أكابر أئمة المسلمين: هذا الحديث ثلث العلم، ويدخل في سبعين بابًا من الفقه.

وقال الإمام أحمد: أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث:

حديث: «إنَّما الأعمال بالنيِّات» وحديث: «من أحدث في أمرنا هذا[3] ما ليس فيه فهو رد[4]»[5]، وحديث: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن»[6]. وزاد بعضهم حديث: «مِن حُسنِ إسلام المرء ترك ما لا يعنيه»[7]، وحديث: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس»[8].[9]

- وكان صلى الله عليه وسلم يتخير الألفاظ السهلة، والعبارة المضيئة المشرقة التي لا تَـكلُّف فيها، ولهذا لم يَسمع الناس بكلامٍ قط أعم نفعًا ولا أصدق لفظًا ولا أعدل وزنًا من كلامه صلى الله عليه وسلم. قالت عائشة رضي الله عنها: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردِكم، كان يُحدِّثُ حديثا لو عدَّه العادُّ لأحصاه»[10].

ومن أقواله صلى الله عليه وسلم البليغة وحكمة الرائعة هذه الأحاديث:-

١- قوله صلى الله عليه وسلم: «دع ما يَريبُـك إلى ما لا يَريبُـك، فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة»[11].

٢- قوله صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النصيحة»[1].

---

[1] هذا فصل مهم، انتقيته من الكتاب المفيد: «من أسرار عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) »، ص ٥٦ - ٨٠، باختصار، لمؤلفه: خالد أبو صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض، وقد عدلت فيه وزدت عليه بما يسر الله.

[2] رواه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧) عن عمر رضي الله عنه، واللفظ للبخاري، ولفظ مسلم: إنما الأعمال بالنية.

[3] أي من ابتدع وزاد في ديننا، فمعنى أحدث أي ابتدع وزاد من عنده، ومعنى (أمرنا) أي ديننا.

[4] معنى (فهو رد) أي أن عمله مردود عليه، ليس مقبولا عند الله، فالواجب أن يعبد الإنسان ربه بحسب ما جاء في نصوص الكتاب والسُّنَّة النبوية، ولا يجيء بشيء من عنده.

[5] رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

[6] رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما

[7] رواه الترمذي (٢٣١٨) وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط رحمه الله في تحقيق «جامع العلوم والحكم» برقم (١٢).

[8] رواه ابن ماجه (٤١٠٢) عن سهل بن سعد رضي الله عنه، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٩٤٤).

[9] ذكر ابن رجب هذا الكلام عن الشافعي وأحمد في شرح أول حديث في كتابه «جامع العلوم والحكم».

[10] رواه البخاري (٣٥٦٧) ومسلم (٢٤٩٣).

[11] رواه أحمد (١/٢٠٠) وغيره عن الحسن بن علي بن أبي طالب، وصححه محقق «المسند» (١٧٢٣).

٣- قوله صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار»[٢].

٤- قوله صلى الله عليه وسلم: «الدالُّ على الخيرِ كفاعله»[٣].

٥- وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيُكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيُكرم ضيفه»[٤].

٦- قوله صلى الله عليه وسلم: «من صَمَت نجا»[٥].

٧- قوله صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده»[٦].

٨- قوله صلى الله عليه وسلم: «الظلم ظلمات يوم القيامة»[٧].

٩- قوله صلى الله عليه وسلم: «لا إيمان لِمن لا أمانة له، ولا دين لِمن لا عهد له»[٨].

١٠- قوله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٩].

١١- قوله صلى الله عليه وسلم: «ليس الشديد بالصُّـرَعة[١٠]، إنما الشديدُ الذي يملك نفسه عند الغضب»[١١].

١٢- قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما النساء شقائق الرجال[١٢]»[١٣].

١٣- قوله صلى الله عليه وسلم: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه»[١٤].

---

[١] رواه مسلم (٥٥) عن تميم الداري رضي الله عنه.

[٢] رواه أحمد (٣١٣/١) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه، وحسنه محققو «المسند» (٢٨٦٥).

[٣] رواه أحمد (٢٧٤/٥) وغيره عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، وصححه محققو «المسند» (٢٢٣٦٠).

[٤] رواه البخاري (٦١٣٥) ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ لمسلم.

[٥] رواه أحمد (١٧٧/٢) وغيره عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وحسنه محققو «المسند» (٦٦٥٤). ومعنى الحديث: أن الصمت سبب للنجاة من آفات اللسان، وآفات اللسان غير محصورة، كالكذب والغيبة والنميمة والاستهزاء بالآخرين، فسبيل النجاة والفلاح للعبد الناصح لنفسه أن يتأمل كلامه قبل أن يقوله، فإن كان فيه خير تكلم به؛ كذكر الله تعالى، وتَـعَـلُّم العلم وتعليمه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وملاطفة الوالدين والإخوان والزوجة والأولاد، والسؤال عن أحوالهم ونحو ذلك، وإلا ففي الصمت سلامة ونجاة من الإثم.

[٦] رواه البخاري (١٠) ومسلم (٤٠) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

[٧] رواه البخاري (٢٤٤٧) ومسلم (٢٥٧٩) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وجاء عند مسلم (٢٥٧٨) عن جابر رضي الله عنه.

[٨] رواه أحمد (١٣٥/٣) وغيره عن أنس رضي الله عنه، وحسنه محققو «المسند».

[٩] رواه أحمد (١٦٠/٢) وغيره عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه محققو «المسند» (٦٤٩٤).

[١٠] الصُّـرَعة هو الرجل القوي الذي لا يُغْلب. انظر «النهاية».

[١١] رواه البخاري (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[١٢] معنى (النساء شقائق الرجال) أي نظائرهم وأمثالهم في الأخلاق والطباع، كأنهن شُقِقْنَ منهم، ولأن حواء خُلِقت من آدم عليه السلام. انظر «النهاية».

[١٣] رواه أحمد (٢٥٦/٦) وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها، وحسنه محققو «المسند» (٢٦١٩٥).

[١٤] رواه البيهقي في «الشعب» (٩٥٣٦) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، تحقيق محمد زغلول، ط الأولى، ط دار الكتب العلمية، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٨٢).

١٤- قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبِّيَّة[١] الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تَقِي، وفاجر شقي، والناس بنو آدم، وآدم من تراب، ليَنتَهِيَنَّ أقوام فخرِهِم برجال، أو ليكونُنَّ أهونَ عند الله من عِدَّتِهِم[٢] من الجِعلان[٣] التي تدفع بأنفها النَّتَن[٤]»[٥].

١٥- قوله صلى الله عليه وسلم: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتُمِنَ خان، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»[٦].

هذا - والله - كلام نبي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، يؤكد ذلك أن هناك آلافًا من هذه الأحاديث والأقوال الرائعة في كافة شؤون الحياة ومناحيها، فكيف لهذا اليتيم الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب ولم يدرس ولم يتعلم، وقد عاش في بيئة صحراوية منعزلة بين جبال مكة، كيف له - إن لم يكن نبيًّا - أن يقول هذا الكلام؟

مِن أوصاف النبي محمد صلى الله عليه وسلم: الأمانة

ومن أمانته أن أهل قريش - مع كفرهم به - كانوا يضعون عنده أموالهم ليحفظها لهم، وكانوا يُسمونه «الأمين» قبل مبعثه نبيا، ولما أَذِن الله له بالهجرة إلى المدينة، ترك ابن عمه عليًّا رضي الله عنه في مكة لتسليم الأمانات إلى أهلها، مع أن الكفار كانوا يُصادرون أموال المهاجرين إلى المدينة، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذ أموالهم عِوضًا عن ذلك، **بل أمر بردِّها إلى أصحابها**.

مِن أوصاف النبي محمد صلى الله عليه وسلم: الصدق

لقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في مدح الصدق وأهله، وذم الكذب وأهله: «إن الصدق يهدي إلى البِر، وإن البرَّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجلُ يصدقُ ويتحرى الصِّدق حتى يكتبَ عند الله صِدِيقًا.
وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجلُ يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتبَ عند الله كذابًا»[٧].

مقال لطيف: لماذا تُكذِّبون محمدا صلى الله عليه وسلم[٨]

[١] معنى (عُبِّيَّة الجاهلية) أي صفة الكبر التي كانت منتشرة في الجاهلية، والجاهلية هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام. انظر «النهاية».

[٢] معنى (عِدَّتِهِم) أي عددهم.

[٣] الجِعلان جمع (جُعل) وهو حشرة معروفة كالخنفساء. انظر «النهاية».

[٤] النَّتَن المقصود هنا هو روث الحيوانات.

[٥] رواه أحمد (٢/٣٦١) وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو ضمن حديث طويل، وحسنه محققو «المسند» (٨٧٣٦).

[٦] رواه البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم، وجاء عن غيره من الصحابة.

[٧] رواه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

[٨] هذا مقال لطيف، انتقيته من الكتاب المفيد: «من أسرار عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) »، ص ١٧-١٩، ٣٢-٣٣، لمؤلفه: خالد أبو صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر — الرياض، وقد عدلت فيه قليلا وزدت بما يسر الله.

إن المسيحيين لا يعترفون بالإسلام كديانة سماوية، ولا بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) كنبي ورسول مُرسل من قِبَل الله تعالى، **ومحمدٌ** (صلى الله عليه وسلم) **كما في دائرة المعارف لاروس الفرنسية هو "ساحر، مُـمْـعِـنٌ في فساد الخُـلُق، لِصٌّ، لم ينجح في الوصول إلى كرسي البابَوية، فاخترع ديناً جديداً لينتقم من زملائه".**

بهذه السذاجة والوقاحة يُصوَّر أعظم رجل في التاريخ بشهادة من بعض عظماء مفكري الغرب المسيحيين.

إني لأسأل الذين لا يؤمنون بالنبي ويُكذِّبونه من أهل الكتاب، فأقول لهم:

كيف يكون محمد كاذباً وهو الذي لم يُـجرِّب عليه الناس كذباً قط، حتى عرفه قومه بالصادق الأمين؟

كيف يكون كاذباً على الله تعالى، ثم ينصره الله على أعدائه هذا النصر المبين؟

كيف يكون كاذباً ثم تتسع دولته كل هذا الاتساع؟

كيف يكون كاذباً ويصل أتباعه في العالم اليوم إلى أكثر من مليار وربع المليار نسمة؟

كيف يكون كاذباً ولازال دينه ينتشر بشكل مذهل في العالم وبخاصة في أوربا وأمريكا وهما قلب العالم الغربي المسيحي.

إن بين يديَّ تقريراً حديثاً لصحيفة "لاكسبريس" الفرنسية ذَكَر أن أعداد المسلمين في فرنسا في ازدياد من كافة الطبقات والمِهن، وكذلك من مختلف المذاهب الفكرية والأديان، وأشار التقرير إلى أن عدد المعتـنِـقين الجدد للإسلام من الفرنسيين يصل إلى (٦٠) ألفاً خلال الأعوام القليلة الماضية، وأشار متخصص في وزارة الداخلية إلى أن الكثيرين يعتنقون الدين الإسلامي يومياً.

وتساءلت مجلة "لاكسبريس" عن وجه الشبه بين هذا الطالب الذي يساعد المرضى في منطقة "جريني"، وفنان الراب في مدينة "مرسيليا" المسمى "أخناتون"، ولاعب الكرة " فرانك ريبري"، ومصمم الرقصات "موريس بيجار"، وأيضاً "كليمون" أصغر أبناء رئيس وزراء الحزب الاشتراكي السابق "موريس توريز"، كل هؤلاء أعلنوا إسلامهم منذ فترة ليست بالبعيدة.

هناك مهندسون، جامعيون، رؤساء شركات، مُـدرِّبون، مدرسون، طلاب، عاطلون، مُـتديِّـنون بشكل واضح، كل هؤلاء يشكلون لَـبِـنَة جديدة في المجتمع الإسلامي الجديد في فرنسا.[١]

وليس هذا الأمر خاصاً بفرنسا وحدها، بل هي ظاهرة عامة يشهدها المجتمع الأمريكي والأوربي كله، بل العالم أجمع، وهذا يذكرنا بما قاله الإيرلندي الشهير "برنارد شو"[٢] الذي ألف كتاباً عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، إلا أن سُلُطات

[١] موقع مفكرة الإسلام على شبكة المعلومات، تقرير مترجم، السبت ١ أبريل، ٢٠٠٦ ميلادي.

[٢] جورج برنارد شو، وُلد في 1856، وتوفي في ١٩٥٠، مؤلف أيرلندي شهير، كان أحد مفكري ومؤسسي الاشتراكية الفابية، كان من اللادينيين المتسامحين مع الأديان، وهو الوحيد الذي حاز على جائزة نوبل في الأدب للعام1925 .
نقلا من .wikipedia.org.

بلاده أحرقت هذا الكتاب، بسبب ما كان فيه من مدح وثناء **واعترافٍ بنبوة هذا النبي**، وذِكر الجوانب الإنسانية العظيمة في شخصيته. قال "برنارد شو" عن انتشار الإسلام في أوربا:

"لا مُشاحَّـة في أن العالم لم يُـعَـلِّـق أهمية كبيرة على نبوءات كبار الرجال، لقد تنبأتُ بأن دين محمد[1] سيكون مقبولاً لدى أوربا في الغد القريب، وقد بدأ يكون مقبولاً لديهم اليوم.

في الوقت الحاضر، دخل كثير من أبناء قومي من أهل أوربا في دين محمد، حتى لَـيُمكن أن يقال: لقد بدأت أوربا الآن تتعشق الإسلام، ولن يمضي القرن الحادي والعشرون حتى تكون أوربا قد بدأت تستعين به في حل مشكلاتها".[2] انتهى كلامه.

فكيف يكون محمد كاذباً ودينه بهذه القوة والحيوية والانتشار رغم مرور أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، بل إنه يزداد قوة باعتناق الأوروبيين البِـيض له، وهم أصحاب المدنية والقوة والهيمنة على العالم، وهذا يدل على أنهم وَجدوا في الإسلام ما لم يجدوه في غيره من الأديان.

قال أبو الوفاء بن عقيل[3]: «ومن أكبر الدلائل على صدق نبينا صلى الله عليه وسلم أن الباري سبحانه إنما يُمهِل الكذاب يسيرًا، ثم يستأصله بالعذاب.

أفَـيجوز أن يُمهِل من يَكذب عليه سنين، ثم يُـثَـبِّتُ شريعته بعد وفاته، وقد أقدم على نسخ شريـعتين قبله[4]، وحلَّل السبت، ثم ينصر أتباعه على الأمم، ويؤيد حكمته بالإعجاز؟!

حاشاه أن يفعل ذلك، إذ لو فعله لم يتبين الصدق من المحال.

ألم تسمعه تعالى يقول: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[5]، فمن طعن في صدقه صلى الله عليه وسلم طعن في عدل الباري وحكمته»[6].

وتفسير الآيات: ولو ادَّعى محمد علينا شيئًا لم نقله، لعاجلناه بالعقوبة، وانتقمنا منه، وقطعنا منه الوتين، وهو عرق متصل بالقلب إذا انقطع مات منه الإنسان، فلا يقدر أحد منكم أن يحجز عنه عقابنا.

شهادة فيلسوف إنجليزي مسيحي على صدق النبي محمد، صلى الله عليه وسلم

مِن أشهر من كَـتب عن النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الإنصاف «توماس كارليل»[1]، الفيلسوف الإنجليزي المشهور، والحائز على جائزة نوبل، فقد تكلم عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كتابه «الأبطال» كلامًا طويلاً، خاطب به قومه

---

[1] يلاحظ أن كلمة (صلى الله عليه وسلم) غير موجودة في جميع أقوال الغربيين، أفاد بهذا صاحب المقال حفظه الله.

[2] نقلا من «آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب»، أنور الجندي، ص ١٤٤.

[3] هو الإمام العلامة البحر، ولد سنة ٤٣١ هـ ، له كتاب «الفنون» في أربعمائة مجلد، توفي رحمه الله عام ٥١٣ هـ. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٩/٤٤٣).

[4] أي شريعة المسيح وشريعة موسى، وهُـنَّ الإنجيل والتوراة.

[5] سورة الحاقة: ٤٤ – ٤٦.

[6] «الوفاء بأحوال المصطفى» لابن الجوزي، ص ٣٥٧.

من النصارى، وقد أشار بوضوح إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم في نبوته، وإلى عظمة النبي صلى الله عليه وسلم في جميع جوانب حياته وشخصيته، فكان من قوله:

((لقد أصبح من أكبر العار على أي فردٍ متحدث في هذا العصر أن يصغي إلى ما يُقال من أن **دين الإسلام كَـذِب، وأن محمدًا خدَّاعٌ مزوّر**.

وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أدَّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير لنحو مائتي مليون من الناس.[2]

أيظن أحدكم أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء **أكذوبة وخدعة؟!**

أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدًا، فلو أن الكذب والغشَّ يَرُوجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل هذا القبول، فما الناس إلا بُلْـهٌ مجانين.

فواأسفاه ما أسوأ هذا الزعم، وما أضعف أهله وأحقهم بالرثاء والرحمة.

هل رأيتم قط معشر الإخوان أن رجلاً كاذبا يستطيع أن يوجد ديناً وينشره علناً**؟!**

والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتًا من الطوب، فهو إذا لم يكن عليما بخصائص الجير والجصِّ والتراب وما شاكل ذلك فما الذي يبنيه ببيتٍ، وإنما هو تلّ من الأنقاق، وكثيب من أخلاط المواد، وليس جديرًا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنًا، يسكنه مائتا مليون من الأنفس[3]، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم، فكأنه لم يكن)).

ثم قال: ((وعلى ذلك فلسنا نـعُـدُّ محمداً هذا قط رجلاً كاذباً متصنعًا، يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيته، ويطمح إلى درجة ملكٍ أو سلطان، أو إلى غير ذلك من الحقائر.

وما الرسالة التي أدَّاها إلا حقٌّ صراح، وما كلمته إلا قولُ صادقٍ.

كلاَّ، ما محمد بالكاذب، ولا الـمُـلَـفِّق، وهذه حقيقة تدفع كلَّ باطل، وتدحض حجةَ القوم الكافرين.

ثم لا ننسَ شيئًا آخر، **وهو أنه لم يتلق دروسًا على أستاذٍ أبدًا، ولم يقتبس محمد من نور أي إنسانٍ آخر، ولم يغترف من مناهل غيره، ولم يكن إلا كجميع أشباهه من الأنبياء والعظماء، أولئك الذي أُشبّههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور))**[4].

---

[1] **توماس كارليل** Thomas Carlyle، ١٧٩٥ – ١٨٨١م، كاتب اسكتلندي، له كتاب «الأبطال وعبادتهم»، اعترف فيه بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) وعظمته. انظر ترجمته في wikepedia.org .

[2] قال كاتب المقالة الأستاذ خالد أبو صالح: أصبح عدد المسلمين اليوم نحو مليار وثلاثمئة مليون إنسان.

[3] هذا في وقت كتابة الكلام، أما في وقتنا الحاضر فالعدد مختلف، انظر الحاشية السابقة.

[4] نقلا من كتاب «الطريق إلى الإسلام»، لمحمد بن إبراهيم الحمد، ص ٢٦ وما بعدها.

مِن أوصاف النبي محمد صلى الله عليه وسلم: الرحمة

ومن صور رحمته صلى الله عليه وسلم بالأعراب الجهلة أن أعرابيًّا دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل يبول في المسجد، فزجره أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: (دعوه، لا تَـزْرِمُـوه)، أي لا تقطعوا عليه بوله، فتركوه حتى أتم بوله.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن.

ثم أمر رجلا من القوم فجاء بدَلوٍ من ماء فصبه عليه ليطهُر المكان.[١]

فانطلقوا في ذهول، وكأنهم بعثوا من قبورهم، ودخل كثيرٌ منهم في الإسلام بسبب هذا الموقف الرائع الذي يدل على طهارة قلب النبي صلى الله عليه وسلم وبراءته من أدران الغل والكراهية والحقد والبغضاء.

مِن أوصاف النبي محمد صلى الله عليه وسلم: نُصرة المظلوم

وكان صلى الله عليه وسلم لا يصبر على ظلم الضعفاء والخدم وبخاصة إذا كانوا عبيدًا، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي: (اِعلم يا أبا مسعود، اِعلم أبا مسعود)، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يقول: اِعلم أبا مسعود، اِعلم أبا مسعود.

قال: فألقيت السوط مِن يدي.

فقال: اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام.

قال: فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا.

وفي رواية: قال: يا رسول الله، هو حرٌّ لوجه الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما لو لم تفعل لَلَفحتك النار – أو لمسَّتْك النار.[٢]

فها هو صلى الله عليه و سلم يجعل أي إساءة إلى العبد المملوك سببًا لحريته، وقد قال صلى الله عليه وسلم مؤكدًا هذا المعنى: من لطم مملوكًا أو ضربه فكفّارتُه أن يعتقه.[٣]

فمن أنصف العبيد وحرَّرهم قبل محمد (صلى الله عليه وسلم)؟

مِن أوصاف النبي محمد صلى الله عليه وسلم: التسامـح والرفــق

دخل جماعة من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: (السَّام عليكم)، والسَّام هو الموت، وهم بهذا يوهمون النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يقولون: (السلام عليكم)، وهم في الحقيقة يدعون عليه بالموت.

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (وعليكم).

---

[١] انظر البخاري (٦٠٢٥) ومسلم (٢٨٥) عن أنس رضي الله عنه.

[٢] رواه مسلم (١٦٥٩)، وكذلك لفظ (هو حر لوجه الله)، هو بنفس الرقم.

[٣] رواه مسلم (١٦٥٧).

وكانت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حاضرة، فلما سمعتهم قالت لهم: وعليكم السَّام واللعنة.

فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله.

فقالت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا؟

فقال: قد قلت: وعليكم.[1]

أي أني رددت عليهم تحيتهم بمثلها بدون أن أسُبَّـهُم أو أُجانب سبيل الرفق.

ومن ذلك أيضا أن قبيلة «دَوس» كذَّبت وعصت وأبت أن تؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصرَّت على الكفر والعناد، فجاء الطُّفيل الدَّوسي وهو من نفس هذه القبيلة، فقال: يا رسول الله، إن دَوسًا عصت وأبت، **فادعُ الله عليها**.

فقال الناس: (هلكت دَوس)، أي سيهلكون بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم عليهم، إلا أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم اهدِ دوسًا وائتِ بهم.[2]

فدعا لهم صلى الله عليه وسلم بالهداية ولم يدعُ عليهم بالعذاب والهلاك، وهذا من دلائل تسامحه ونقاء سريرته ورحمته بالناس.

مِن أوصاف النبي محمد صلى الله عليه وسلم: العفو

قال الباحث خالد أبو صالح حفظه الله:

المسيحيون يقولون إن عيسى عليه السلام كان رمزاً للسلام والرحمة والتسامح، ولكن من المعلوم أن عيسى عليه السلام كان مُستضعفاً، **فلم يَمـلك ولم ينتصر على أعدائه كما انتصر محمد صلى الله عليه وسلم**، بل إن أعداءه تمكنوا منه وصلبوه كما يرى المسيحيون[3].

ولذلك فإننا لم نعلم كيف كان سيتصرف مع أعدائه إن هو ظفر بهم وانتصر عليهم.

أمَّا تسامح المستضعف وعفوه عن أعدائه الغالبين، فلا يَـعُـدّه العقلاء شيئًا محمودًا.

وهناك أمر آخر مهم، وهو أن العقوبة في بعض الأحيان قد تكون أجمل وأحسن من العفو، وهذا الذي فعله محمد صلى الله عليه وسلم، عفا كثيرًا، وصبر كثيرا، وتسامح كثيرًا، **وكان عفوه وتسامحه وهو في موقف القوي المنتصر الفاتح لا الضعيف المهزوم**، وعاقب أحيانًا إذا تحتَّمت العقوبة وكان لابد منها.[4]

---

[1] رواه البخاري (٦٠٢٤) ومسلم (٢١٦٥) عن عائشة رضي الله عنها.

[2] رواه البخاري (٢٩٣٧) ومسلم (٢٥٢٤).

[3] العقيدة الإسلامية توضح الواقع الذي حصل وتزيل اللبس والغموض، وهو أن المسيح لم يصلب ولم يقتل ولم يصاب بأذى، بل رفعه الله إليه في السماء ونجاه من كيد اليهود.

[4] «من أسرار عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) »، ص ٣٨، لمؤلفه: خالد أبو صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض.

الحلقة الخامسة: شهادات بعض المُستشرقين – من العلماء والمُفكرين غير المسلمين – على عِظَم قدر النبي محمد صلى الله عليه وسلم

من ذلك ما قاله «مايكل هارت»[1] في مقدمة كتابه «المِئة الأوائل»، والذي اختار فيه النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على رأس مئة عظيم ذَكَرَ أسماءهم في كتابه المشار إليه، وهؤلاء المئة كان لهم عظيم التأثير في البشرية على مدى عصورها، قال:

"My choice of Muhammad to lead the list of the world's most influential persons may surprise some readers and may be questioned by others, but **he was the only man in history who was supremely successful on both the religious and secular levels**.

Of humble origins, Muhammad founded and promulgated one of the world's great religions, and became an immensely effective political leader. Today, thirteen centuries after his death, his influence is still powerful and pervasive".

He also said:

"How, then, is one to assess the overall impact of Muhammad on human history? Like all religions, Islam exerts an enormous influence upon the lives of its followers. It is for this reason that the founders of the world's great religions all figure prominently in this book. Since there are roughly twice as many Christians as Moslems in the world it may initially seem strange that Muhammad has been ranked higher than Jesus. There are two principal reasons for that decision. First, **Muhammad played a far more important role in the development of Islam than Jesus did in the development of Christianity**. Although Jesus was responsible for the main ethical and moral precepts of Christianity (insofar as these differed from Judaism), St. Paul was the main developer of Christian theology, its principal proselytizer, and the author of a large portion of the New Testament.

Muhammad, however, was responsible for both the theology of Islam and its main ethical and moral principles. In addition, he played the key role in proselytizing the new faith, and in establishing the religious practices of Islam".

---

[1] تقدم التعريف به.

He continued: "Since the Koran is at least as important to Moslems as the Bible is to Christians, the influence of Muhammad through the medium of the Koran has been enormous. **It is probable that the relative influence of Muhammad on Islam has been larger than the combined influence of Jesus Christ and St. Paul on Christianity**. On the purely religious level, then, it seems likely that Muhammad has been as influential in human history as Jesus.

Furthermore, Muhammad (unlike Jesus) was a secular as well as a religious leader. In fact, as the driving force behind the Arab conquests, **he may well rank as the most influential political leader of all time**".

Hart end his article on Muhammad saying:

"We see, then, that the Arab conquests of the seventh century have continued to play an important role in human history, down to the present day. It is this unparalleled combination of secular and religious influence which I feel ***entitles Muhammad to be considered the most influential single figure in human history***".

From: "The 100, a Ranking of the Most Influential Persons in History"

by Michael H. Hart

***

ترجمة ما قاله «مايكل هارت» في كتابه المشار إليه:

"إن اختياري محمداً ليكون على رأس قائمة أكثر الأشخاص تأثيراً قد يُدهِش بعض القراء وقد يثير التساؤل عند آخرين، ولكنه كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي تحقق له النجاح الكامل –كل الكمال – على الصعيدين الديني والدنيوي.

لقد وضع محمد وأَسَّسَ أحد أعظم الأديان في العالم اعتمادا على وسائل جدَّ ضئيلة، وأصبح قائداً سياسياً مؤثر للغاية. واليوم وبعد ثلاثة عشر قرناً بعد وفاته فلا يزال تأثيره قوياً ومنتشرا".

ثم قال:

"إذن كيف يمكننا أن نُقَيِّم أثر محمد الكُلِّي على التاريخ البشري؟

إن الإسلام له نفوذ هائل على حياة أتباعه، كما هو الحال في جميع الأديان. ولهذا السبب فإن القارئ سيجد أسماء مؤسسي معظم الأديان في هذا الكتاب.

وبما أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين في العالم فقد يبدو غريباً تصنيف محمد في مرتبة أعلى من يسوع المسيح. ولكن هنالك سببين رئيسيين لذلك القرار:

أولهما: أن محمداً صلى الله عليه وسلم لعب دوراً أكثر أهمية في تطوير الإسلام من الدور الذي لعبه المسيح في تطوير المسيحية، مع أن المسيح كان مسئولا عن المبادئ الأخلاقية للديانة المسيحية (في النواحي التي تختلف بها هذه المبادئ عن الديانة اليهودية)، إلا أن **القديس بولس كان المطوِّر الرئيسي للاهوت المسيحي**[1]، **وكان الداعي الرئيسي للمعتقدات المسيحية، والمؤلف**[2] **لجزء كبير من العهد الجديد.**

أما محمداً فكان مسئولا عن العقيدة الإسلامية ومبادئها الرئيسية الأخلاقية[3]. بالإضافة إلى ذلك فقد لعب دوراً قيادياً في دعوة الناس للدين الجديد وتأسيس الشرائع الدينية في الإسلام ...

وبما أن القرآن له تأثير على المسلمين يشبه تأثير «الكتاب المقدس» على المسيحيين، فإن نفوذ محمد من خلال القرآن كان هائلاً.

ومن المحتمل أن تأثير محمد على الإسلام أكبر بكثير من التأثير المزدوج للمسيح والقديس بولس على المسيحية؛ ولهذا فإنه من وجهة النظر الدينية الصِّـرفة فيبدو أن محمداً كان له تأثير على البشرية عبر التاريخ كتأثير المسيح.

يضاف إلى ذلك فإن محمداً يختلف عن المسيح بأنه كان زعيماً دنيوياً كما أنه كان زعيما دينيا، وفي الحقيقة **فإنا إذا أخذنا بعين الاعتبار القوى الدافعة وراء الفتوحات الإسلامية، فإن محمداً يصبح أعظم قائد سياسي مؤثر عبر الزمن.**"

ثم قال في خاتمة مقاله:

"ومن هذا نرى أن الفتوحات الإسلامية التي تمت في القرن السابع استمرت لعبت دوراً هاماً في تاريخ البشرية حتى يومنا هذا، وأن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معاً هو الذي يجعلني **أُرشِّـح محمداً ليكون أعظم شخصية مؤثرة في تاريخ البشرية**".

***

شهادة الشاعر الفرنسي «لامرتين» على عظمة محمد (صلى الله عليه وسلم)

قال «لامرتين»[4]:

---

[1] تقدم في هذا البحث بيان أثر بولس التدميري لديانة المسيح، وبيان أنه غَـيَّـرَ دين المسيح إلى دين مختلف تماما، لا يشترك مع دين المسيح الأصلي إلا بالاسم فقط.

[2] انظر إلى اعترافه بأن بولس ألف كتبا وأدخلها في الإنجيل الذي عبر عنه بالعهد الجديد، فأي تحريف بشري أعظم من هذا؟ والغريب أن المسيحيين لا زالوا يعتبرون الإنجيل كلام الله!

[3] يقصد أنه لم يتدخل أحد في دين الإسلام، فلم يتعرض الإسلام لزيادة بشرية كما فعل بولس في دين المسيح، بل بقي الدين الإسلامي كما أنزله الله عليه إلى الآن غضا طريا.

[4] الفونس دي لامارتين، كاتب وشاعر وسياسي فرنسي (١٧٩٠م – ١٨٦٩م). المرجع: wikepedia.org

((لو كانت **عظمة الهدف أو الغاية، وكانت بساطة وضآلة تكاليف الوسيلة**، بالإضافة إلى **تحقيق النتائج الباهرة بنجاحٍ وسلاسةٍ** هي المعايير الثلاثة للعبقرية البشرية، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيَّ رجل من عظماء التاريخ الحديث بنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم؟

وقال: لو كان مقياس العظمة هو إصلاح شعب متدهور، فمن ذا يتطاول إلى مكان محمد صلى الله عليه وسلم؟

لقد سما بأمة متدهورة، ورفعها إلى قمة المجد، وجعلها مِشعلاً للمدنية، ومورداً للعلم والعرفان.

ولو كان مقياس العظمة هو توحيد البشرية المفككة الأوصال، فمن أجدر بهذه العظمة من محمد صلى الله عليه وسلم، الذي جمع شمل العرب، وجعلهم أمة واحدة، وإمبراطورية شاسعة؟

ولو كان مقياس العظمة هو إقامة حكم السماء في الأرض، فمن ذا الذي ينافس محمدا صلى الله عليه وسلم، وقد محا مظاهر الوثنية، لتصبح عبادة الخالق وحده[١].

ولو كان مقياس العظمة هو الأثر الذي يخلّده في النفوس على مرَّ الأجيال، فها هو محمد صلى الله عليه وسلم يتبعه مئات الملايين من الناس من مختلف البقاع مع تباين أوطانهم وألوانهم وطبقاتهم)).

ويُـنهِي «لامرتين» مقالَهُ محدِّدًا صفات النبي صلى الله عليه وسلم وإنجازاته قائلاً:

((حكيمٌ، خطيبٌ، رسولٌ من رسل الله، مُـشرِّعٌ، محاربٌ، منتصر الفكر، مساند للعقائد المعقولة، هادم للأصنام بمختلف صورها، **مؤسس عشرين إمبراطورية دنيوية أرضية، وإمبراطورية روحية واحدة**، ذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم.

وبكل المقاييس والمعايير التي يمكن أن تقاس بها عظمة البشر، يجوز لنا أن نسأل سؤالاً له كلّ الوجاهة:

هل يوجد أي رجلٍ أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم؟!))[٢]

***

شهادة فيلسوف إنجليزي مسيحي على عظمة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم[٣]

مِن أشهر من كَـتب عن النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الإنصاف «توماس كارليل»[٤]، الفيلسوف الإنجليزي المشهور، والحائز على جائزة نوبل، فقد تكلم عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كتابه «الأبطال» كلامًا طويلاً، خاطب به قومه

[١] أي: لتصبح عبادة الله وحده هي المهيمنة والظاهرة على الأرض.

[٢] قاله لامرتين في كتابه «تاريخ الأتراك»، باريس، ١٨٥٤م، نقلا عن «محمد صلى الله عليه وسلم أعظم عظماء العالم»، أحمد ديدات، ص ٦٧ – ٦٨.

[٣] انتقيت هذه الفائدة من الكتاب المفيد: «من أسرار عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) »، ص ٣٢-٣٣، لمؤلفه: خالد أبو صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض.

[٤] تقدم التعريف به.

من النصارى، وقد أشار بوضوح إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم في نبوته، وإلى عظمة النبي صلى الله عليه وسلم في جميع جوانب حياته وشخصيته، حيث قال:

((لقد أصبح من أكبر العار على أي فردٍ متحدث في هذا العصر أن يصغي إلى ما يُقال من أن دين الإسلام كَـذِب، وأن محمدًا خدَّاعٌ مزوّر.

وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أدَّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير لنحو مائتي مليون من الناس.[1]

أيظن أحدكم أن هذ الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟!

أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدًا، فلو أن الكذب والغشَّ يَرُوجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل هذا القبول، فما الناس إلا بُلْـهٌ مجانين.

فواأسفاه ما أسوأ هذا الزعم، وما أضعف أهله وأحقهم بالرثاء والرحمة.

هل رأيتم قط معشر الإخوان أن رجلاً كاذبا يستطيع أن يوجد ديناً وينشره علناً؟!

والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتًا من الطوب، فهو إذا لم يكن عليما بخصائص الجير والجصَّ والتراب وما شاكل ذلك فما الذي يبنيه ببيتٍ، وإنما هو تلّ من الأنقاق، وكثيب من أخلاط المواد، **وليس جديرًا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنًا، يسكنه مائتا مليون من الأنفس**[2]، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم، فكأنه لم يكن)).

ثم قال: ((وعلى ذلك فلسنا نـعُـدُّ محمداً هذا قط رجلاً كاذباً متصنعًا، يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيته، ويطمح إلى درجة ملكٍ أو سلطان، أو إلى غير ذلك من الحقائر.

وما الرسالة التي أدَّاها إلا حقٌّ صراح، وما كلمته إلا قولُ صادقٍ.

كلاّ، ما محمد بالكاذب، ولا الملفّق، وهذه حقيقة تدفع كلَّ باطل، وتدحض حجةَ القوم الكافرين.

ثم لا ننسَ شيئًا آخر، **وهو أنه لم يتلق دروسًا على أستاذٍ أبدًا، ولم يقتبس محمد من نور أي إنسانٍ آخر، ولم يغترف من مناهل غيره، ولم يكن إلا كجميع أشباهه من الأنبياء والعظماء، أولئك الذي أُشبّههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور))**[3].

---

[1] قال كاتب المقالة الأستاذ خالد أبو صالح: أصبح عدد المسلمين اليوم نحو مليار وثلاثمئة مليون إنسان.

[2] هذا في وقت كتابة الكلام، أما في وقتنا الحاضر فالعدد مختلف، انظر الحاشية السابقة.

[3] نقلا من كتاب «الطريق إلى الإسلام»، لمحمد بن إبراهيم الحمد، ص ٢٦ وما بعدها.

٢٦. الملحق السادس والعشرين والأخير: همسات إيمانية من القلب إلى القلب

هذه همسات إيمانية، من القلب إلى القلب، سيُزيل فهمُها عقباتٍ ويَحُلُّ إشكالاتٍ بين أتباع الديانة المسيحية وبين اقتناعهم بدين الإسلام، أسأل الله أن ينفع بهذه الهمسات.

• الهمسة الأولى

فوائد في وجود إشارات وبشارت بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) في التوراة والأناجيل المعاصرة[١]

مما يدلُّ على وجود ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل الأصليين، أنه أخبر اليهود والنصارى عندما بُعِث بأنه مذكور عندهم في كتبهم، وكان صلى الله عليه وسلم أحرص الناس على تقديم ما يدلُّ على صِدقه ليتبعه الناس، فلو أخبرهم بشيء يعلمون بطلانه وعدم وجوده لكان ذلك من أعظم المـُـنَـفِّـرات لهم عن اتباعه، ولا يفعل ذلك عاقل أبدًا. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

ومن اللطيف ذكره أنه مع ضياع التوراة والإنجيل الأصليين فإن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم مذكور في التوراة والأناجيل المتوافرة الآن بأيدي النصارى، وهذه بعض الأمثلة نبدأُها من الأناجيل:

١- جاء في إنجيل متّى (٢١/٤٢-٤٣): ((قال لهم يسوع: أمَا قرأتم قطّ في الكتب: الحجَر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قِـبَـلِ الربِّ. كان هذا عجيبًا في أعيننا. لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله يُـنزع منكم، ويُعطى لأمةٍ تعمل أثماره)).

والحجر الذي رفضه البناءون هو محمد صلى الله عليه وسلم، رفض البناءون وضعه في عهد موسى وعيسى، لأن النبوة لم تكتمل بهما، فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم اكتمل البناء بوضع هذا الحجر.

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ما يطابق هذه البشارة تمامًا فقال: «إن مَثَلي ومَثَل الأنبياء من قبلي كمثل رجلٍ بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لَـبِـنَـةٍ من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويَعجبون له ويقولون: هلا وُضِعت هذه اللبِنَـة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأنا اللَّـبِـنة، وأنا خاتم النبيين».[٣]

فسبحان من جعل كلام هٰذين النبيين العظيمين (عيسى ومحمد) يخرج من مشكاة واحدة ومصدر واحد.

أمَّا قوله: «إن ملكوت الله ينزع منكم، ويُـعطى لأمة تعمل أثماره» فإنه إشارة إلى انتقال النبوة من أبناء إسحاق إلى أبناء إسماعيل عليهما السلام، والأمة هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

---

[١] هذا فصل مهم، انتقيته من الكتاب المفيد: «من أسرار عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) »، من ص ٢٤ – ٣١، لمؤلفه: خالد أبو صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض، وقد عدلت فيه وزدت عليه بما يسر الله.

[٢] سورة الأعراف: ١٥٧.

[٣] رواه البخاري (٣٥٣٤)، ومسلم (٢٢٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢- جاء في إنجيل يوحنا (٤/١٩-٢١): ((قالت المرأة (أي السامرية) له (أي للمسيح): يا سيد، أرى أنك نبي. آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه.

فقال لها يسوع: يا امرأة، صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب)).

وهذه دلالة واضحة على تحول القبلة من بيت المقدس (أورشليم) إلى الكعبة المشرفة. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي متجهًا إلى بيت المقدس، فكانت بيت المقدس هو الموضع الذي يتجه إليه في الصلاة، واستمر على ذلك بضعة عشر شهرًا، حتى نزل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُون﴾[١]، فعند ذلك تغير الموضع الذي يتجه له في صلاته كما في هذا الخبر عن المسيح، واتجه إلى الكعبة التي في مكة اتباعا لأمر ربه.

٣- جاء في إنجيل يوحنا (١٤/٣٠): قال المسيح: ((لن أخاطبكم بعدُ طويلاً، لأن سيدَ هذا العالم سيجيء)).
ومن هو سيد العالم غير محمد صلى الله عليه وسلم؟
فقد ختم الله به النبوة، وأعطاه الشريعة الكاملة الصالحة لكل زمان ومكان، وجعل أمته أسياد العالم عندما كانوا مستمسكين بشريعته، وسترجع إليهم إذا حقَّـقوا التمسك بشريعته كما وعدَهم الله بذلك في القرآن.

٤- في يوحنا (١٤/١٦): قال يسوع المسيح: ((ابن البشر ذاهب، **والفارقليط** من بعده يجئ لكم بالأسرار، ويفسر لكم كلَّ شيء، وهو يشهد لي كما شهدت له، فإني أجيئكم بالأمثال، وهو يأتيكم بالتأويل)).
وفي يوحنا (١٦/٥): ((**الفارقليط** لا يجيئكم ما لم أذهب، وإذا جاء وبّخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه، ولكنه يسمع ويكلمكم ويَسُوسكم[٢] بالحق، ويخبركم بالحوادث والغيوب)).

وهذه البشارة واضحة الدلالة كوضوح الشمس على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد المسيح، لِمَن شرح الله صدره للحق، وتَـقَـبَّـل الحقيقة، أما من أعمى الله بصيرته، فلو اندكَّت من حوله الجبال لم يؤمن، وبيان ذلك الوضوح من ثمانية وجوه:

أ- فكلمة الفارقليط تدل على معاني الحمد والحَمَّاد والمحمود وكلها تدل على اسم النبي **محمد** صلى الله عليه وسلم.

ب- مَن الذي تضمنت شريعته كل شيء غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال الله تعالى: ﴿ما فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْء﴾[٣].

ت- ومَن الذي جاء بعد عيسى عليه السلام غير محمد صلى الله عليه وسلم؟

ث- ومَن الذي وبّخ العالم على الخطايا بعد المسيح غير محمد صلى الله عليه وسلم؟

ج- ومَن الذي لا يتكلم من تلقاء نفسه بل بما يوحَى إليه غير محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[١]؟

---

[١] سورة البقرة: ١٤٤.

[٢] يسوسكم أي يتولى أمركم كما يفعل الأمراء بالرعية، والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه. انظر «النهاية».

[٣] سورة الأنعام: ٣٨.

ح- ومن الذي ساس الناس بالحق والعدل غير محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال: "إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد.

وأيمُ الله[2]، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها"[3].

خ- ومَن الذي أخبر بالحوادث والغيوب، وما كان وما سيكون (وذلك عن طريق الوحي من الله) غير محمد صلى الله عليه وسلم؟

د- ومَن الذي شهد للمسيح بالنبوة والرسالة والعصمة غير محمد صلى الله عليه وسلم؟

أما البِشارات بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم في العهد القديم فعديدة منها:-

١- في سفر التثنية (٣٣/١): ((تجلى الله من سيناء، وأشرَقَ من ساعير[4]، واستَعْـلَـنَ من جبال فاران[5])).

فهذه البشارة متضمنة للنبوات الثلاث، نبوة موسى وعيسى ومحمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

فمجيء الله تعالى من طور سيناء إشارة إلى وحيه الذي أنزله على موسى عليه السلام، وإشراقه من ساعير هو نزول وحيه على عيسى عليه السلام ومجيئه بالإنجيل، وأما المراد بالاستعلان من جبال فاران فهو إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وإعلانها منها، لأن جِبال فاران هي جبال مكة باتفاق المسلمين واليهود والنصارى.

وقد ذُكر في القرآن ما يصدِّق هذه البشارة في قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُون * وَطُورِ سِينِين * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِين﴾، فذكر الله أمكنة هؤلاء الأنبياء الثلاثة التي خرجوا منها، فقوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُون﴾ المراد منبتَهما وأرضهما وهي الأرض المقدسة التي ظهر فيها المسيح عليه السلام، وقوله: ﴿وَطُورِ سِينِين﴾ الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام، وهو مكان ظـهور نبوته، وقوله: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِين﴾ هي مكة، منطلق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

٢- في سفر أعمال الرسل (٣/٢٢): «فَإِنَّ مُوسَى قَالَ لِلآبَاءِ: إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إلهكم مِنْ إِخْوَتِكُمْ .لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يُكَلِّمُكُمْ بِهِ».

فهذا النبي ليس عيسى عليه السلام لأنه قال: "من إخوتكم"، وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، ولم يُـرسل نبي من بني إسماعيل إلا محمد صلى الله عليه وسلم.

ومما يدل على أن هذا النبي هو محمد صلى الله عليه وسلم قول موسى: ((نبيًّا مثلي))، ولا يوجد نبي ينطبق عليه أنه مثل موسى غير محمد صلى الله عليه وسلم، فكلاهما اتصف بالقوة والشجاعة، وكلاهما قاتل أعداء الله، وكلاهما بُعِث برسالة مستقلة.

---

[1] سورة النجم: ٣ – ٤.

[2] معنى (وأيمُ الله) أي (والله)، يُقصد بها الحلف بالله.

[3] رواه البخاري (٣٤٧٥) ومسلم (١٦٨٨) عن عائشة رضي الله عنها.

[4] ساعير في التوراة اسم لجبال فلسطين. انظر «معجم البلدان».

[5] فاران كلمة عبرانية مُعَـرَّبَـة، وهي من أسماء مكة، وقيل إنها اسم لجبال مكة. انظر «معجم البلدان».

أما عيسى عليه السلام فلم يقاتل ولم يُبعث برسالة مستقلة عن رسالة موسى، بل الإنجيل تابع للتوراة، فيه تحليل لبعض ما حُرِّم فيه، وفيه مواعظ، فهو متمم للتوراة، وأيضًا فإنه كان مقهورًا ولم ينتصر على أعدائه، فلما أحاط به أعداؤه اليهود وأرادوا قتله لم يقاتلهم بل رفعه الله إليه في السماء.

٣- في سفر التكوين (١٨/٢١) أن ملاك الله قال لهاجر زوجة إبراهيم: «قومي احملي الغلام وشُدِّي يدك به، لأني سأجعله لأمة عظيمة».

وفي سفر التكوين أيضًا: (٨/١٦): «إن المَلَـك ظهر لهاجر أم إسماعيل فقال: يا هاجر، من أين أقبلت وإلى أين تريدين؟ فلما شرحت له الحال قال: ارجعي، فإني سأُكـثِّـر ذريتك وزرعَك، حتى لا يُـحصون كثرة، وها أنت تحبلين وتلدين ابنًا أسميه إسماعيل، لأن الله سمع تذلُّـلَـكِ وخضوعكِ، وولدكِ يكون وحشاً للناس[١]، وتكون يده على الكُل، ويدُ الكلِّ مبسوطة إليه بالخضوع».

فمَن هذه الأمة العظيمة التي تنتسب إلى إسماعيل عليه السلام غير أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟!

ومن هو الذي ستكون يده على الكلُّ ويد الكلّ مبسوطة إليه بالخشوع غير محمد صلى الله عليه وسلم؟

فإسماعيل عليه السلام لم تكن يده فوق يد إسحاق، بل كانت يد إسحاق فوق يده، لأن النبوة والمُلك كانا في يد إسرائيل والعِـيص[٢]، وهما ابنا إسحاق، فلم يبق إلا محمد صلى الله عليه وسلم، فأمته أعظم الأمم وآخرها.

وكذلك قوله: ((وولدُك يكون وحشاً للناس)) يدل على أن المقصود هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقد قال عليه الصلاة والسلام: ((نُـصِرتُ بالرعب مسيرة شهر))[٣]، أي أن الله تعالى كان يُلقي الرعب في صدور أعدائه منه وهو يَـبعد عنهم مسيرة شهر، فهو الذي ينطبق عليه قول التوراة ((وولدك يكون وحشاً للناس)).

قال الحافظ المؤرخ ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية»[٤]: «وهذه البشارة إنما انطبقت على ولده محمد (صلوات الله وسلامه عليه)، فإنه الذي سادت به العرب، وملكت جميع البلاد شرقا وغربا، وآتاها الله من العلم النافع والعمل الصالح ما لم تؤت أمة من الأمم قبلهم، وما ذاك إلا بشرف رسولها على سائر الرسل، وبركة رسالته، ويُمْن بشارته، وكماله فيما جاء به، وعموم بعثته لجميع أهل الأرض».

وبناء على ما تقدم فإن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بشَّر أتباعه بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وأمر بالانقياد لشريعته (الإسلام)، فاتِّـباع شريعة الإسلام يعتبر تتميما لدين المسيح، وطاعة للمسيح، وليس نكوصا عليه أو كفرا به.

وقد يسر الله جمع تلك البشائر الإنجيلية بنبوة محمد (رسول الإسلام) في كتاب:

The amazing prophecies of Muhammad in the Bible[5]

---

[١] سيأتي بعد قليل بيان معنى هذه العبارة (وحشا للناس).

[٢] قال ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية»، ذكر إسحاق بن إبراهيم الكريم ابن الكريم عليهما الصلاة والسلام:
ذكر أهل الكتاب أن إسحاق لما تزوج «رفقا بنت بثوابيل» في حياة أبيه كان عمره أربعين سنة، وأنها كانت عاقرًا، فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توأمين، **أولهما** سموه «عيصو»، وهو الذي تسميه العرب «العيص»، وهو والد الروم الثانية.
والثاني: خرج وهو آخذ بعقب أخيه فسمَّوه يعقوب، وهو إسرائيل الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل. انتهى.

[٣] رواه البخاري (٣٣٥) ومسلم (٥٢١)، وفي الباب عن أبي هريرة، رواه مسلم (٥٢٣).

[٤] انظر: ذِكر مولد إسماعيل عليه السلام مِن هاجر.

[٥] وهذا الكتاب منشور في شبكة المعلومات بهذه العنوان، وعدد البشارات المجموعة فيه ٢٨ بشارة.

وبناء عليه **فالإيمان متلازم بين عيسى ومحمد،** فالمسيحي الصادق في اتِّباعه لعيسى لابد أن يؤمن بمحمد (صلى الله عليه وسلم) ويتبع شريعته وإلا كان عاصيا لنبيه عيسى (عليه السلام).

والذي يؤمن بمحمد (صلى الله عليه وسلم) لا بد أن يؤمن بعيسى وإلا كان كافرا بمحمد (صلى الله عليه وسلم)، لأن الإيمان بعيسى وبجميع الأنبياء قد أمر به القرآن، فمن لم يؤمن بالمسيح يكون كافرا بالقرآن، قال الله في القرآن ﴿آمن الرسول بما أُنزِل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه **ورسله** لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾.

ومعنى ﴿لا نُفرِّق بين أحد من رسله﴾، أي لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، بل نؤمن بالجميع.

وقد ورد ذكر اسم عيسى في القرآن ٢٥ مرة، وورد ذكره بوصفه (المسيح) ٩ مرات، كما ورد ذكر اسم أمه مريم ٣١ مرة، كلها في مقام الاحترام والتعظيم والتبجيل اللائق بأمثالهما من البشر، دون اعتقاد أن لهما شيئا من صفات الربوبية أو الألوهية، بل هما بشر مثلنا، يعبدان الله كما نعبده نحن، ويرجوانه الجنة والنجاة من النار كما نرجوه نحن.

ليس هذا فحسب، بل قد جاء وصف عيسى بأنه من أولي العزم من الرسل، والعزم أي الصبر والحزم.

وأولي العزم من الرسل هم أعظم الرسل، وهم خمسة (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد)، صلوات الله عليهم جميعا.

وبهذا يكون لزاما على المسيحي الصادق أن يؤمن بمحمد ويتبع شريعته (الإسلام) وإلا كان كافرا بالرسولين عيسى ومحمد (صلى الله عليهما وسلم)، ومُـعَـرِّضا نفسه لعقوبة الله يوم القيامة.

كذلك فإنه لزاما على كل مسلم أن يؤمن بعيسى وجميع الأنبياء قبله وإلا كان كافرا بمحمد (صلى الله عليه وسلم).

وليس صحيحا ما يظنه أكثر المسيحيين أن الإيمان بمحمد واتِّباع شريعته يتناقض مع الإيمان بعيسى، بل إن الإيمان بمحمد واتِّباع شريعته **يستلزم الإيمان بعيسى،** وليس في دين عيسى نص واحد يأمر بعدم الإيمان بمحمد أو ينافي الإيمان بمحمد (صلى الله عليه وسلم).

• الهمسة الثانية

اعلم رحمك الله أن دين الإسلام جاء بحسنتين عظيمتين لأتباع دين المسيح عيسى ابن مريم وهما:

الأولى: أنه صحَّح التحريفات التي وردت على دين المسيح، قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ الله نُورٌ وَكِتَابٌ مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾.

ومن هذه التحريفات ما هو واضح من التفرق والاختلاف بين طوائف النصارى، فطائفة تصفه بأنه الله، وطائفة تصفه بأنه ابن الله، وطائفة تصفه بأنه ثالث ثلاثة.

ومن هذه التحريفات أيضا طعـــن اليهود في عيسى ابن مريم بوصفهم له بأنه ابن زنا، حاشاه من ذلك.

فتوسَّط دين الإسلام – الذي هو دين الوسطية والوضوح – بين هٰذين المسلكين، مـسلك الغلو والإفراط في التعظيم، ومسلك الجفاء والازدراء، فبيَّن الحقيقة، وهي أنه عيسى ابن مريم بشر رسول، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى الله إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِالله وَرُسُلِهِ **وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا الله إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** وَكَفَىٰ بِالله وَكِيلًا﴾.

وقال تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ **لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ** غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

وقال تعالى ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الله هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ الله شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَالله عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾.

وقال تعالى ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الله هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ** إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

وقال تعالى ﴿**لقد كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الله ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ** وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

الحسنة الثانية: أن دين الإسلام أحيا تعاليم كان يؤديها النبي الكريم عيسى ابن مريم، فصار المسلمون يؤدُّونها، في حين أن المسيحيين أنفسهم لا يؤدُّونها، انظر للتفصيل كتاب:

Islam's Revival of Jesus' Teachings[1]

[1] هذا الكتاب منشور في شبكة المعلومات بهذا العنوان.

• الهمسة الثالثة

أرسل الله محمدا بدين الإسلام **للناس كلهم**، الجن والإنس، العرب والعجم، الأبيض والأسود، بني إسرائيل وغيرهم، قال الله في القرآن ﴿وأرسلناك للناس **كافة**﴾، وقال ﴿وما أرسلناك إلا رحمة **للعالمين**﴾، وقال ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم **جميعا**﴾.

ودين الإسلام حلَّ محل جميع الأديان قبله، وليس ثَمَّةَ دينٌ بعده، وقد فرض الله على جميع الإنس والجن الدخول فيه، فهو الدين الخاتمي المحفوظ من التحريف والتغيير.

ومحمدٌ هو النبي الخاتمي، فمن آمن بمحمد فقد آمن بجميع الأنبياء قبله، قال الله تعالى عن نبيه محمد ﴿ولكن رسول الله **وخاتم** النبيين﴾.

والقرآن هو الكتاب الخاتمي، فمن آمن بالقرآن فقد آمن بجميع الكتب السماوية قبله، وهو كتاب الله المحفوظ غضا طريا كما هو منذ أربعة عشر قرنا، لم تتعرض له يد التحريف والتغيير كما حصل للكتب قبله، ولم يتعرض للضياع، ونسخته الأصلية محفوظة كما هي منذ أربعة عشر قرنا، وجميع نسخ القرآن في العالم تطبع على تلك النسخة.

كذلك فإن القرآن محفوظ في صدور الرجال والنساء منذ أربعة عشر قرنا، فملايين البشر تحفظه كاملا أو جزءا منه، وقد تعهد الله بحفظه إلى نهاية الدنيا، قال الله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذِّكْر وإنا له **لحافظون**﴾، والذِّكْرُ هو القرآن.

- **الهمسة الرابعة**

أين التوراة والإنجيل الأصلِـيَّـيْــن؟

عشرون دليلا على أن الأناجيل الأربعة ليست كلام الله، وإنما هي من صُنع البشر[1]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على جميع الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

يتفق العقلاء الباحثون في الدين المسيحي على أربعة وعشرين حقيقة هامة تتعلق بالعهد الجديد (الأناجيل الأربعة والرسائل الثلاثة وعشرين الملحقة بها)، وهي:

***** الحقائق المتعلقة بالتوثيق *****

١. **ضياع أصول العهد الجديد**، فلا يوجد أي إنجيل من الأناجيل الأربعة التي بيد المسيحيين اليوم بِـلُغته الأصلية التي أُلِّف بها، فالنسخ الأصلية لجميع الأناجيل الأربعة مفقودة، ومن المستحيل العثور عليها.

٢. **ضياع أصول الترجمات الأصلية** عن اللغة الأصل لتلك الأناجيل، العبرية أو الآرامية، واستحالة العثور عليها.
وهذا مما زاد الطين بِـلّة, فضياع النسخ الأصلية للأناجيل الأربعة يعتبر كارثة بحد ذاته في الدين المسيحي, فكيف إذا ضاع بعد ذلك أصول ترجماتها؟

٣. إن النسخ المتداولة من الأناجيل عبارة عن **ترجمات لتلك الترجمات**، كما أن هذه الترجمات أُعِدَّت بعد عدة قرون من تاريخ الترجمات الأصلية، فهي **ترجمات عن ترجمات**.

٤. ثم إنه من المعلوم أن **الترجمة ليست كالأصل**, فمهما أوتي المترجم من فنّ وبراعة في اللغة التي ينقل منها, واللغة التي ينقل إليها — مع افتراض حسن النية لأقصى مدى – فإن كثيراً من الكلمات والتعبيرات تفقد معانيها ورموزها الدقيقة, بالإضافة إلى فقدِ قوّتها ورونقها، عند نقلها من لغتها الأصلية إلى لغة أخرى, ويزداد التأثير السلبي لهذا العامل في النصّ كلّما تُرجِمت الترجمة إلى لغة أخرى.

[1] عامة ما في هذا البحث مستفاد من المبحث الخامس من كتاب «تاريخ النصرانية»، للأستاذ عبد الوهاب بن صالح الشايع، حفظه الله.

*** **الحقائق المتعلقة بالشخصيات** ***

٥. إن **الشخصيات الحقيقية لمؤلفي تلك الأناجيل غير مؤكدة على وجه اليقين**، كما أن الأناجيل ليس فيها ذِكر الأسماء الكاملة لأولئك المؤلفين.

٦. **جهالة شخصيات المترجمين الأوائل** لتلك الأناجيل، واستحالة معرفتهم.

٧. نظراً لما تعرضت له الديانة المسيحية والمسيحيون من بطشٍ وقهر واجتثاث, ومصادرةٍ وتحريمٍ لأناجيلهم على يد الإمبراطورية الرومانية لمدة قرنين ونصف من الزمان, ومِن قبلها على يد اليهود قبل رفع المسيح وبعد رفعه, **فإنه يستحيل على المسيحيين تقديم سند متصل لأناجيلهم الأربعة التي يعتقدون صحتها, وكذلك الرسائل الملحقة بها**.

٨. من المعلوم أن هذه الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها, التي بيد المسيحيين اليوم, **منسوبة إلى من يُعتقد أنهم مؤلفوها المذكورة عليها أسماؤهم الأولى فقط وهم: متّى, ومرقص, ولوقا, ويوحنا**، فهي لم توحَ إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام مِن الله سبحانه وتعالى, كما أن السيد المسيح لم يكتبها, ولم يُملِها على كتّابِها, ولم يُكلِّف أحداً منهم بكتابتها, بل هو لم يرها أو يطلع عليها, إذ إنها لم تكن موجودة أثناء حياته, وهي ليست منسوبة له, **ولكنها منسوبة إلى من يُعتقد أنهم مؤلفوها المذكورة عليها أسماؤهم الأولى فقط، فكيف يصح أن توصف تلك الأناجيل – والحالة هذه – بأنها كلام الله؟**

٩. يضاف إلى ذلك أن الثلاثة وعشرين رسالة الملحقة بالأناجيل الأربعة كلها قد أُلِّفت أيضا بعد رفع المسيح، فيكون المجموع سبعة وعشرين سفرا، وهذه الأسفار تمت كتابتها من قِبَل أشخاص لم يثبت أنهم التقوا بالمسيح لحظة واحدة، بل الثابت أنهم كتبوها بعد رفعه إلى السماء، **وهي في مضمونها غير متطابقة لا في النص ولا المضمون، وبينها من التناقض والاختلاف الشيء الكثير**.

فكيف يصح – والحالة هذه – أن توصف تلك الأناجيل بأنها كلام الله مع وجود هذا الاختلاف والاضطراب العظيم بينها؟!

أقول: ومن أوضح الأدلة على تناقض الأناجيل الأربعة المعترف بها في الكنائس أن كل واحدٍ منها يصور المسيح بصورة مناقضة للإنجيل الآخر، فإنجيل «متى» يصور المسيح على أنه «إنسان البشرية».

وإنجيل مرقس يصور المسيح بصورة «الأسد»، وأصحاب هذا التصور هم طائفة «الملَكية».

وإنجيل لوقا يصور المسيح بصورة «الثور»، يقولون إنه يذكرهم بوجه الذبيحة والصليب ، (فأيُّ احترام للمسيح في هذا التصوير؟)

وإنجيل «يوحنا» يصور المسيح بصورة «النسر»، عبارة عن «الألوهية» وأنه المعبود.

١٠. ليس هذا فحسب، بل الأناجيل الأربعة المذكورة هي المعتمدة في المسيحية المعاصرة، وأما الثلاثة والعشرون فغير معتمدة!

١١. وإذا أُضيفت أسفار العهد القديم الستة وأربعين (المكونة من التوراة وغيرها) إلى أسفار العهد الجديد (الإنجيل) السبعة وعشرين صار مجموع الأسفار ثلاثة وسبعين، يؤمن البروتستانت بستة وستين منها، ولا يؤمنون بالبقية، بينما يؤمن الأرثوذكس والكاثوليك بها كلها.

فكيف يصح أن توصف تلك الأناجيل – والحالة هذه – بأنها كلام الله مع وجود هذا الاختلاف والاضطراب بينها؟!

*** **الحقائق المتعلقة بالتاريخ والمكان** ***

١٢. إن **تاريخ تأليف كل إنجيل غير معروف** على وجه الدقة، فإنه من المعلوم أن هذه الأناجيل الأربعة قد أُلِّـفت جميعها بعد رفع المسيح عليه السلام بسنوات طويلة, وللعلماء المسيحيين الغربيين آراء مختلفة في تحديد تواريخ تقريبية لتدوين هذه الأناجيل, فبعضهم يضعها ما بين سنة ٣٧ إلى سنة ١١٠م, وآخَرون يضعونها ما بين عامي ٦٠ إلى ١٢٠م، **فكيف يصح أن توصف – والحالة هذه – بأنها كلام الله؟**

١٣. إن **مكان تأليف كل إنجيل غير معروف**.

١٤. لم يَذكر أي واحد من مؤلفي الأناجيل أنه ألَّفه **بوحي من الروح القدس، كما لم يقولوا إن ما ألفوه من أناجيل هي كلام الله، وإنما الذي قال ذلك وادَّعاه هم القساوسة أنفسهم**.

قال الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله:

«من الواضح أن مؤلفي الأناجيل بصورتها الأصلية, وقبل أن تمتد إليها الأيدي بالتحريف على مر القرون — من حذف أو إضافة أو تغيير, بقصد أو من دون قصد– كانوا يكتبون ذكرياتهم مع السيد المسيح, أو عما سمعوه من الذين شاهدوا المسيح وآمنوا به, أي أنهم كانوا يكتبون ما يمكن أن يُطلق عليه تجاوزاً: سيرةً لحياة وأقوال وأفعال السيد المسيح عليه السلام.

ولم يكن يدور بخُلد أيٍّ منهم أنه يكتب كتاباً سيكون مقدّساً ذات يوم, أو أنه كان يكتب بإلهام أو بوحي من السماء, **فلم يدَّعِ أيٌّ منهم أنه قد تلقى وحياً من السماء قبل أو أثناء كتابته لإنجيله**, ومن الأدلة المهمة في هذا الخصوص ما جاء في مقدمة إنجيل لوقا، فقد كان الكلام موجها من لوقا إلى صديق له اسمه ثاوفيلس، فهل يمكن أن يكون هذا كلام الله؟!

والشيء نفسه ينطبق على كَتَبة الرسائل الملحقة بالأناجيل, باستثناء بولس, **الذي زعم أنه تلقى وحياً من المسيح, وأحياناً يدّعي أنه تلقى الوحي من الله**».[1]

[1] «تاريخ النصرانية»، ص ١٨٩.

*** **الحقائق المتعلقة بنقد مضمون الأناجيل** ***

١٥. عندما يتصفح الباحث المتجرد لمعرفة الحق أي إنجيل من الأناجيل الأربعة – من أوله إلى آخره – يتفاجأ بأنه **لا تسُوده وجهة نظر واحدة أو عقيدة واحدة**.

١٦. وكذلك الأمر عندما يقارِن الأناجيل بعضها مع بعض، أو مع الرسائل الملحقة بها، فإنه يخرج بالانطباع نفسه، وهو أنه لا تسودها وجهة نظر واحدة أو عقيدة واحدة محددة، **فهي تحتوي على خليط غير متجانس من العقائد والقصص المتنافرة والمتضادة والمضطربة**، التي يهدم بعضها بعضا، كما لو كان كل إنجيل قد كُتِب بواسطة عدة أشخاص، ومن دون ترتيب أو تنسيق بينهم، مما يدل على كثرة التغيير والتبديل بالحذف والإضافة الذي تعرضت له تلك الأناجيل بقصد ودون قصد على مر القرون.

١٧. كما يُلاحَظ أنه **لا توجد في الأناجيل الأربعة رواية متسلسلة ومترابطة عن الأحداث المتعلقة بحياة المسيح عليه السلام**, بل الموجود مقتطفات لا رابط بينها, كما أنها تختلف في سردها أو في تفاصيلها من إنجيل إلى آخر, وقد ينفرد بعضها بذكر أحداث تُـغفِلها الأناجيل الأخرى أو بعضها, ومن تلك الأحداث المهمة, التي أغفل مرقص ويوحنا ذكرها في إنجيلَـيهما, موضوع مولد المسيح وطفولته, هذا بالإضافة إلى أن النصوص المنسوبة إلى المسيح في الأناجيل والرسائل الملحقة بها قليلة جداً.

يقول الشيخ (متولي يوسف شلبي) عن الأناجيل الأربعة: "إنها لا تحمل صفة الرواية حتى في أقل صورها التي يجب أن تتوفر لكتاب سماوي أو تعاليم نبي".[١]

١٨. هذا بالإضافة إلى أن الأناجيل تحتوي على معلومات أو أحداث, إما أنها تختلف أو تتعارض مع بعضها, أو تحشد كَمًّا من المعجزات والحِكم والوعظ والإرشاد التي تنسبها إلى المسيح, **من دون الالتزام بالظروف والأحداث التي جاءت تلك المعجزات والحِكم والمواعظ في سياقها**, مما يشير إلى أن مؤلفي تلك الأناجيل لم يهتموا بفرز وتنقيح الروايات الشفهية التي سمعوها قبل تدوينها, أو أنَّ ذلك كان بسبب الأيدي التي امتدَّت إليها فيما بعد بالتحريف والتبديل.

١٩. اعتماد الأناجيل على الرؤى والأحلام[٢]

هناك مفاصل كثيرة ومهمة في الديانة المسيحية الحالية وعقائدها وشرائعها, **تعتمد على الرؤى والأحلام**, وسيجد القارئ ذلك مُثبتاً في أناجيلهم الأربعة والرسائل الملحقة بها في مواضع مثل:

«أعمال الرسل» (١٠/١-٥ و ٩-١٦).

وانظر أيضا ما ادعاه بولس من أن الرب نادى تلميذا للمسيح اسمه حنانيا في **رؤيا منامية** وأمره بالذهاب إلى بولس ليخبره بأنه صار نبيا**!**

[١] «أضواء على المسيحية»، ص ٥١.

[٢] استفدت هذه النقطة من كتاب الأستاذ عبد الوهاب الشايع حفظه الله، «تاريخ النصرانية»، ص ١٨٨، وهامشها، وزدت عليها ما يسر الله.

بل إن هناك رسالة كاملة ملحقة بالأناجيل هي «رؤيا يوحنا اللاهوتي»، يدعي صاحبها يوحنا أن المسيح أراه هذه الرؤيا عن طريق ملاك أرسله له، وهي كلها رؤيا منامية (أحلام).

التعليق

فبناء على هذا فإن بناء المسيحية يعتبر بناءً هشا، ليس قائما على الوحي المنزل من السماء، بل قائمٌ على الرؤى والأحلام، فهي أحد مصادره الأصلية، كيف لا ودعوى بولس للنبوة معتمدة على رؤيا يزعم أنه رآها، ومن المعلوم أن بولس هو المطَوِّر الرئيسي للمسيحية، وقد أدخل في شريعة المسيح من العقائد وألغى منها ما ترتب عليه من تغيير وتشويه دين المسيح تماما، فماذا بعد هذا؟

- فقد ادّعى بولس أنه رسول معين من قِبل يسوع.
- وادّعى بولس أن اليسوع أَوحى إليه إنجيلاً.
- وادّعى بولس أن يسوع ابن الله.
- وادّعى بولس أن خطيئة أبينا آدم وأمنا حواء لم تُغفر، وأن البشرية توارثتها عبر القرون، وهي المعروفة بـ «الخطيئة» أو «المعصية الأولى».
- وادّعى بولس أن يسوع أرسله الله، فنزل إلى الأرض ليُصلب ويتعذب فداءً للبشرية من خطيئة أبَويهم آدم وحواء.

وهكذا أخرج الخبيث بولس جماهير النصارى من دين المسيح الحقيقي الذي يدعو إلى عبادة الله وترك عبادة من سواه، إلى دين لا يَمُت لدين المسيح بصلة، ألا وهو الوثنية، التي هي عبادة الأوثان (وهي الجمادات التي لا تدب فيها الحياة، مثل الأحجار والصور والقبور والصلبان)، وعبادة البشر (كالمسيح وأمه، وعبادة القساوسة).

وبعبارة مختصرة فإن دين المسيح تحول على يد بولس من عبادة الخالق إلى عبادة المخلوق، ومن اتِّباع النبي الحقيقي وهو المسيح، إلى اتِّباع مدَّعٍ للنبوة وهو بولس.

فبالله عليكم أيها القراء؛ دين مثل هذا، هذا حاله، وحال كتبه، وحال القائمين عليه، هل يصح أن يقال إنه دين الله، وأنه دين صحيح، وأنه دين محفوظ، وأنه يؤدي بالناس على الحنة ويخلصهم من النار؟

٢٠. كما يُلاحَظ **خُـلُـو هذه الأناجيل من كيفية أداء العبادات, ومن التشريعات الاجتماعية, ومن التشريعات المتعلقة ببناء الدولة بمؤسساتها المختلفة**، فكيف يصح أن توصف الأناجيل – والحالة هذه – بأنها كلام الله؟!

٢١. إن المعلومات التي في الأناجيل الأربعة المعتمدة والأخرى الثلاثة وعشرين غير المعتمدة لا تتحدث إلا عن ثلاث سنوات فقط من حياة المسيح عليه السلام، أما بقية عمر المسيح فلا نعلم عنه كبير شيء، هذا بالإضافة إلى التناقض البيِّن بين الأناجيل في تلك المعلومات القليلة عن حياة المسيح عليه السلام.
ولعلَّ أشد مراحل سيرة المسيح عليه السلام غموضًا هي تلك المرحلة التي مرت عليه قبل بلوغه الثلاثين، فإننا لا نعرف شيئًا ذا بال عن ولادته وطفولته وشبابه، ولعل من أسباب ذلك هو ضياع الإنجيل الأصلي الذي أنزله الله عليه.
فكيف يصح أن توصف تلك الأناجيل – والحالة هذه – بأنها كلام الله مع وجود هذا النقص العلمي فيها؟!

***** دليل منطقي على أن الأناجيل الأربعة لم يعلم بها المسيح ولم يرها *****

٢٢. **كان بين يدي المسيح إنجيل واحد يُبشر به (وليس أربعة)**

كان بين يدي المسيح إنجيل يبشر به، فقد جاء في إنجيل متّى (١٣/٢٦) على لسان السيد المسيح "الحق أقول لكم: حيثما يُكرز **بهذا الإنجيل**".

كما جاء في إنجيل مرقص (١٤/١ و ١٥): "وبعدما ألقى القبض على يوحنّا انطلق يسوع إلى منطقة الجليل, يبشر **بإنجيل الله** قائلاً: قد اكتمل الزمان واقترب ملكوت الله, فتوبوا وآمنوا بالإنجيل".

فبناء على هذا فليس الإنجيل الذي كان بيد المسيح أيًّا من الأناجيل الأربعة المعروفة، لأنها أناجيل منسوبة إلى أشخاص يقال إنهم تلاميذ المسيح ومن ينتمي إليهم، فقطعا ليست هي من كلام الله، ولم تَنزل على المسيح.

ثم إنهم ألَّفوها في الفترة ما بين ٣٧ إلى ١١٠م، كما ذكر ذلك بعض المؤرخين، وآخرون قالوا إنها أُلِّفَت ما بين عامَي ٦٠ إلى ١٢٠م، وكلها تواريخ تقريبية.[١]

التعليق

قال الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله:

«من الواضح والمنطقي والبَـدَهي, أن الإنجيل المشار إليه في النصوص السابقة يَدل بكل وضوح وجلاء على أنه كان للسيد المسيح إنجيلٌ واحدٌ يُبشر به, وأن هذا الإنجيل ليس واحداً من الأناجيل الأربعة التي بيد المسيحيين اليوم ولا ينطبق على أيٍّ منها.

فليس من بينها إنجيل يسمى «إنجيل الله» أو إنجيل «عيسى ابن مريم», بالإضافة إلى أنه لا يُطلق على أيٍ منها اسم الإنجيل فقط, بل يجب ربطه باسم مؤلفه, كقولهم: إنجيل متّى, أو إنجيل مرقص, أو إنجيل لوقا, أو إنجيل يوحنّا.

وبفقد الإنجيل الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام – بعد رفعه – فقد تم تجريد رسالته من كتابه السماوي، وفقَدَ النصارى البوصلة السماوية، **وانفتح الباب على مصراعيه لتحريف رسالته**».[٢]

***** دليلان تاريخيان على أن الأناجيل الأربعة من صنع البشر**

٢٣. الأناجيل كان عددها كثير في نهاية القرن الأول الميلادي، وليست محصورة بأربعة!

مما ينبغي أن يُعلم أن هذه الأناجيل الأربعة لم تكن الوحيدة التي أُلفت بعد رفع السيد المسيح, فقد كان هناك كثير من الأناجيل الرائجة عند المسيحيين, بلغ عددها ما يزيد على السبعين إنجيلاً, ظهرت بين القرنين الأول والرابع للميلاد، واستمر الحال كذلك حتى تم اعتمادَ الأناجيل الأربعة الحالية في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م, وفرضَها بالقوة, وحرَّم تداول الأناجيل الأخرى.

فإن كانت الأناجيل الأربعة فعلا كلام الله، فما بال بقية السبعين لا يقال فيها إنها كلام الله وتنشر بين الناس، أم لأن في بعضها –كإنجيل برنابا – ما يناقض قواعد المسيحية المعاصرة التي أدخلها بولس ومن بعده في دين المسيح؟

[١] انظر «تاريخ النصرانية»، ص ١٧٨.

[٢] «تاريخ النصرانية»، ص ١٧٦، بتصرف يسير.

قال الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله:

بلغ عدد الأناجيل المتداولة بيد المسيحيين – بعد حوالي قرن من رفع السيد المسيح عليه السلام- إلى ما يفوق سبعين إنجيلاً.

وفي مجمع نيقية، الذي انعقد في عام ٣٢٥م, اختار المجمع أربعة أناجيل فقط, وحرّم الأناجيل الأخرى، إذِ اعتبرها مزيفة وأمر بإحراقها, وأصدر عقوبات تصل إلى حدّ الإعدام لمن توجد في حوزته.

ولا نعلم ما الأسس أو القواعد التي اعتمد عليها مجمع نيقية في عدم الاعتراف ببقية الأناجيل؟

وما سبب إصدار تلك العقوبة المغلّظة بحق من يوجد بحوزته أحد تلك الأناجيل؟

كما حرّم مجمع نيقية أيضاً عدداً من رسائل الرسل ولم يعترف بها مثل:

أ. رسالة بولس إلى العبرانيين

ب. رسالة بطرس الثانية.

ت. رسالة يوحنّا الثانية.

ث. رسالة يوحنّا الثالثة.

ج. رسالة يعقوب.

ح. رسالة يهوذا.

خ. رؤيا يوحنّا اللاهوتي, التي تسمى «السفر النبوي».

ثم جاء مجمع لوديسيا في سنة ٣٦٤م, **فأعاد الاعتراف بتلك الرسائل**, علماً أنه ليس لهذه الرسائل سند متصل, فهي لم تُعرف إلا على لسان أنيوس عام ٢٠٠م, وكليمنس عام ٢١٦م.

ولا نعلم ما الأسس أو القواعد التي اعتمد عليها مجمع نيقية في تحريم تلك الرسائل وعدم الاعتراف بها؟

كما لا نعلم ما الأسس أو القواعد التي اعتمد عليها مجمع لوديسيا في تخطئة مجمع نيقية وإعادة الاعتراف بتلك الرسائل؟

إن المرء ليتساءل: ألا يوجد احتمال أن بعض الأناجيل التي حُرِّمت وأُحرِقت بأمر من مجمع نيقية قد حُرِّمت بغير وجه حق وأنها لو كانت بين أيدي المجامع التالية لربما أعادوا الاعتبار لها أو لبعضها, مثلما أعادوا الاعتبار لبعض الرسائل في مجمع لوديسيا الذي عُقِد في سنة ٣٦٤م, التي سبق لمجمع نيقية أن حرّمها.[١]

تنبيه

وجود هذه الكثرة من الأناجيل يعني **أنه لم يكن للمسيحيين بعد رفع المسيح – ولمدة ثلاثة قرون – إنجيل واحد أو مجموعة أناجيل معتمَدة تشملهم جميعاً.**

***

نبذة عن إنجيل برنابا

إنجيل برنابا يعتبر من الأناجيل المحرم تداولها إلى الآن بين المسيحيين

[١] «تاريخ النصرانية»، ص ١٩٢ – ١٩٣.

قال الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله:

إنجيل برنابا هو أحد الأناجيل التي تم رفضها في مجمع نيقية, واعتُبرت مزيفة وغير قانونية, يجب إحراقها وعدم اطلاع المسيحيين عليها, وعقوبة من توجد بحوزته الإعدام.

ومؤلف هذا الإنجيل اسمه (برنابا) أحد تلاميذ السيد المسيح, وهو خال (مرقص) صاحب الإنجيل الذي يحمل اسمه. وهو رجل ثقة, فقد أرسله تلاميذ السيد المسيح إلى أنطاكية للتبشير هناك كما جاء في «أعمال الرسل» (٢٢/١١). وجاء عنه في أعمال الرسل (٢٤/١١) أنه كان "رجلاً صالحاً مملوءاً من الروح القدس والإيمان".

وقد أصدر البابا جلاسيوس الأول (٤٩٢ – ٤٩٦م) قراراً يشمل قائمة بالأناجيل التي اعتبرها محرمة ولا يجوز اطِّلاع المسيحيين عليها, وكان من ضمنها إنجيل برنابا. وقد اختفى هذا الإنجيل ولم يظهر له أثر منذ ذلك الوقت حتى أواخر القرن السادس الميلادي, حيث يقال إن أحد الرهبان الكاثوليك في الفاتيكان, اسمه (فرامرينو) قرأ عن هذا الإنجيل, فأخذ يبحث عنه حتى وجده في مكتبة بابا الفاتيكان سكتس الخامس (١٥٨٥ – ١٥٩٠م) فأخذه خفية وقرأه فأسلم.[١]

ثم اختفت آثار هذا الإنجيل مرة أخرى, إلى أن وُجدت نسخة منه باللغة الإيطالية, عثر عليها (كريمر) أحد مستشاري ملك (بروسيا)[٢] سنة ١٧٠٩م, ثم انتقلت هذه النسخة إلى البلاط الملكي في فينا, ومن هذه النسخة تُرجمت إلى اللغات الأخرى.

وقال أيضا حفظه الله:

تكرر ذكر اسم برنابا والأعمال التي قام بها في «أعمال الرسل»:

(٣٦/٤ و ٣٧ ، ٢٧/٩ ، ١/١٣ و ١٣ – ١٥ و ٤٦ – ٥١ ، ١/١٥ – ٢٣ ، ٢٦ – ٣٥).[٣]

يناقض إنجيل برنابا العقائد التي يؤمن بها المسيحيون اليوم فيما يلي:

١. ينفي ألوهية السيد المسيح ويُـقرّ بأنه نبي مرسل من الله.
٢. ينفي صَلب السيد المسيح ويُقرر أن الله سبحانه وتعالى قد رفع السيد المسيح قبل أن يصل أعداؤه إليه, وأن الذي صُلِب هو أحد تلاميذه الذي خانه, واسمه (يهوذا الإسخريوطي) حيث أصبح شبيهاً بالمسيح, بالوجه والصوت والشخصية, فصُلِب مكانه.
٣. يَذكر[٤] أن الذي كان سيُذبح هو إسماعيل عليه السلام وليس إسحاق عليه السلام كما يزعم اليهود والنصارى.
٤. يَذكر أن السيد المسيح بشّر برسول يأتي من بعده اسمه محمد صلى الله عليه وسلم.
٥. يَذكر أيضاً أن المسيح المنتظر ليس عيسى ابن مريم, إنما هو محمد صلى الله عليه وسلم.

انتهى هنا كلام الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله.[١]

[١] نقلا من مقدمة مترجم إنجيل برنابا إلى اللغة العربية، خليل سعادة، تحقيق: سيف الله أحمد فاضل، ص ١٨ وما بعدها.

[٢] بلد تقع شرق ألمانيا.

[٣] «تاريخ النصرانية»، هامش ص ١٩٩.

[٤] أي إنجيل برنابا يَذكر ...

ولما كان هذا الإنجيل – إنجيل برنابا – خاليا من الخرافات العقائدية التي قررها بولس ومن بعده، فإن مجمع نيقية منع تداول هذا الإنجيل.

فانظر إلى أي حد وصلت الجرأة على الله وعلى دينه بذاك المجمع والقائمين عليه وعلى رأسهم الطاغية قسطنطين!

وأما في العصر الحاضر فقد انتشر إنجيل برنابا، وهو مطبوع بتحقيق خليل سعادة، ويمكن الاطلاع عليه في شبكة المعلومات.

٢٤. شهادات مفكرين وعلماء مسيحيين على ضياع الإنجيل الأصلي، وتحريف الأناجيل الأربعة، وأن «العهد الجديد» من تأليف بولس

- قال «اتيان دينيه»[٢]، وهو الرسام الفرنسي الذي أسلم بعد دراساته الواسعة في الأديان: ((إن الله سبحانه قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه، ولكن الذي لاشك فيه أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر، ولم يبق له أثر، أو أنه أُبِـيد)).[٣]

قال الباحث خالد أبو صالح بعدما نقل كلام «اتيان»:

«إن هذا **التحريف** – برأيي – هو الذي يجعل الغربيين لا يؤمنون بشيء مقدس، فيقولون: ليس هناك عندنا مقدس، حتى أنهم يتهكمون على المسيح نفسه ويسيئون إليه في الأفلام والصور والرسوم وغير ذلك.

ولو أن هؤلاء يملكون ما يملكه المسلمون من معرفة بكافة أحوال وتفاصيل حياة نبيهم لما قالوا ذلك، ولَما تجرؤوا على الإساءة لنبيهم فضلاً عن الإساءة لنبي الإسلام».[٤]

- وقال «مايكل هارت»[٥]: «إن القديس بولس هو المُطوِّر الحقيقي للنظرية المسيحية، وهو الـمُغَيِّر لأصولها، **وهو المؤلف لجزء كبير من العهد الجديد**».

"St. Paul was the main developer of Christian theology, its principal proselytizer, and the author of a large portion of the New Testament".

From: "The 100, a Ranking of the Most Influential Persons in History"

---

[١] «تاريخ النصرانية»، ص ١٩٩ – ٢٠٠.

[٢] اتيان رسام مستشرق فرنسي، ولد في باريس في ١٨٦١م، سافر إلى الجزائر وبقي فيها خمس سنوات، طرأ تحول كبير في حيات اتيان دينات في بداية من العام ١٩١٣م حينما أعلن إسلامه وغير اسمه من الفونس اتيان دينات إلى «نصر الدين دينات»، ليصبح الرسام الفرنسي المسلم، وقد أحدث إسلامه ضجة في أوساط المعمرين الفرنسيين وفي أوساط الطبقة الفنية في فرنسا فاتهموه بالخيانة، ولكن نصر الدين دينات لم يعبأ بكل ما أوكل إليه من تهم وبكل الكلام الذي حِيك عنه، ذلك أنه اتخذ الإسلام دينا بكل قناعة، وهو الأمر الذي اكسبه نوعا من القوة. سافر دينات إلى مكة المكرمة عام ١٩٢٩م لأداء فريضة الحج فأصبح الحاج نصر الدين.

توفي دينات في باريس، ثم نُقِل جثمانه إلى مدينة بو سعادة في الجزائر ودُفِن هناك، وهي المدينة التي طالما عشقها. المصدر: Wikipedia.org

[٣] «من أسرار عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم»، خالد أبو صالح، ص ٤٣، نقلا عن «خرافات التوراة والإنجيل»، ص ٣٢١، ٣٣٠.

[٤] «من أسرار عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) »، ص ٤٤، الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض.

[٥] تقدم التعريف به.

***

قال (وِل ديورانت)[1]: "وترجع أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث, أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتُبِت بين عامي ٦٠م إلى ١٢٠م, **ثم تعرّضت بعد كتابتها على مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل, ولعلّها تعرّضت أيضاً لتحريف مقصود يُراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ**"[2]....

ويستطرد (وِل ديورانت) قائلاً: "ومِلاك القول, أن ثمّة **تناقضاً كثيراً** بين بعض الأناجيل والبعض الآخر, وأن فيها نقطاً تاريخية **مشكوك في صحّتها**, وكثيراً من القصص الباعثة على **الريبة والشبيهة بما يُروى عن آلهة الوثنيين**. وكثيرا من الحوادث التي يبدو أنها **وُضِعت عن قصد** لإثبات وقوع كثير من النبوءات الواردة في العهد القديم, وفقرات كثيرة ربما كان المقصود منها **تقدير** أساس تاريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة, أو طقس متأخر من طقوسها"....

إلى أن قال: "ويبدو أن ما تنقله الأناجيل من أحاديث وخُطَب قد تعرّضت لِما تتعرّض له ذاكرة الأُمِّيِّــين[3] من **ضعف وعيوب**, ولِما يرتكبه النُسّاخ من **أخطاء وتصحيح**".[4]

***

وقال الدكتور (جورج بردفورد كيرد)[5] عن **مخطوطات** الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها:

"كان يُحفظ النص في مخطوطات نسختها أيدٍ مُجهدة لكتبة كثيرين, ويوجد اليوم من هذه المخطوطات أربعة آلاف وسبعمائة (٤٧٠٠) ما بين قصاصات من ورق إلى مخطوطات كاملة على رقائق من الجلد أو القماش ... ويستطرد قائلاً: إن نصوص جميع هذه المخطوطات **تختلف اختلافاً كبيراً ولا يمكننا الاعتقاد بأن أياً منها قد نجا من الخطأ**. ومهما كان الناسخ حي الضمير فإنه ارتكب **أخطاء**, وهذه الأخطاء **بقيت** في كل النسخ التي نُقِلت عن نسخته الأصلية, وإن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرّضت لتغييرات أخرى على أيدي المصحّحين الذين لم يكن عملهم دائماً إعادة القراءة الصحيحة".[6]

***

---

[1] تقدم التعريف به.

[2] «قصة الحضارة» (١١/٢٠٧).

[3] الأميين أي الذين لا يقرؤون ولا يكتبون.

[4] «قصة الحضارة» (١١/٢١٠).

[5] زميل الأكاديمية البريطانية، (١٩١٧ – ١٩٨٤م)، كان قسيسا إنجليزيا، وعالما باللاهوت، ومن علماء الإنجيل. إلى وقت وفاته كان أستاذا لتفسير الكتاب المقدس في جامعة أكسفورد. المصدر: (Wikipedia).

[6] «القديس لوقا» (ص ٣٢)، نقلا من كتاب: «المسيح في مصادر العقائد المسيحية»، للأستاذ أحمد عبد الوهاب، ص ٤١، نقلا من «تاريخ النصرانية»، ص ١٩٦ – ١٩٧.

وقال (جوستاف لوبون)[١]: "وعلى ما نراه من معرفتنا بما فيه الكفاية لحياة كثير من مؤسسي الأديان كحياة محمد مثلاً, نرى حياة مؤسس النصرانية – السيد المسيح– **مجهولةً تقريباً**, ولا تبحث عن حياة مؤسس النصرانية في الأناجيل, كما صُنِع ذلك زمناً طويلاً, وكما عدل العلم عن اعتقاد إمكانها في الوقت الحاضر, فهذه الأناجيل, وأقدمها إنجيل مرقص, الذي كُتِب بعد وفاة يسوع بنصف قرن على الأقل[٢], هي مجموعة من الأوهام والذكريات **غير المحققة** التي بسطها خيال مؤلفيها التقي.

ورسائل القدّيس بولس هي كما يبدو أقل الوثائق عدم صحة في تمثّل أزمنة النصرانية الأولى, ولكن بولس إذْ لم يعرف يسوع, لم يستطع أن يتكلم عنه إلا سيَـراً مع العنعنات والخيال.

وعلى ما نراه في تلك المصادر من **نقص**, فإننا نستشفّ منها على الأقل ما كان يدور في زمن يسوع من المبادئ, ونعلم منها أن هذا الإله المُقبل — يسوع– **لم يَـعُد نفسه إلٰها قطّ**, ولا مؤسساً لدين جديد".[٣]

***

وقال المهندس (أحمد عبد الوهاب): "لقد ظهرت الأناجيل بنصوص مختلفة, وكلّما مرّت عشرات من السنين **ظهرت الأناجيل نفسها بنصوص مخالفة لما عُرِفت به من قبل**, وبالمثل كان الحال مع رسائل التلاميذ".[٤]

***

*** عشرة فوائد منثورة تتعلق بموضوع تحريف الأناجيل الأربعة ونتائج ذلك التحريف ***

١. **النتيجة المؤلمة لفقد الإنجيل الأصلي الذي أنزله الله على المسيح عليه السلام**

بفقد الإنجيل الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على عبده ورسوله عيسى ابن مريم– بعد رفعه — فقد تم تجريد رسالته من كتابها السماوي، وفقَد المسيحيون البوصلة والهداية السماوية، وانفتح الباب على مصراعيه لمن أراد أن يحرف رسالته، وقد كان ذلك فعلا على يد بولس ومن تبعه.

٢. **أسلوب التغيير والتحريف التدريجي في الأناجيل الأربعة على مر العصور**

قال الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله:

«**لقد تعرضت الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها على مدى القرون المتعاقبة للأخطاء والتلاعب والتحريف والتغيير، بالحذف والإضافة، بقصد ومن دون قصد** بواسطة القساوسة والرهبان والنُسّاخ على مدى القرون المتعاقبة, فإذا

---

[١] تقدم التعريف به.

[٢] قوله (وفاة يسوع) هو بحسب اعتقاده الذي نشأ عليه كرجل مسيحي، وإلا فالحق أنه لم يمت، بل هو حي في السماء، رفعه الله إليه لما هم اليهود بقتله، وسيرجع في آخر الزمان حكما عدلا، ويدخل في دين الإسلام، ويحكم المسلمين أربعين سنة، ثم يموت كما يموت الناس، ويدفن في الأرض كغيره من الأنبياء.

[٣] «حياة الحقائق» (ص ٦٢ – ٦٣)، نقلا من «تاريخ النصرانية»، ص ١٩٧.

[٤] «المسيح في مصادر العقائد المسيحية»، للأستاذ أحمد عبد الوهاب، ص ٣٩، نقلا من «تاريخ النصرانية»، ص ١٩٧.

ما تقرّرت عندهم عقيدةٌ ما, رجعوا إلى الأناجيل فأضافوا إليها تلك العقيدة أو أخرجوا منها ما يتعارض معها, أو بدّلوا وغيروا الكلمات لكي تتواءم مع وجهات نظرهم أو اعتقاداتهم والفِرق التي ينتمون لها.

وفي كل الأحوال يستوي التحريف في كتبهم المقدّسة, إن كان تمّ عن قصد أو من دون قصد, فالنتيجة واحدة, وهو أن تحريفاً قد وقع في كتبهم المقدّسة.

إن المرء ليتساءل باستغراب وأسى عما إذا كان ضياع الإنجيل الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى إلى عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام, ثم ضياع النسخ الأصلية للأناجيل الأربعة التي يعترف بها المسيحيون اليوم, ثم ضياع ترجماتها الأصلية, **هو مجرّد صدفة بحتة؟**»[1]

٣. مكابرة عجيبة

قال الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله:

«مع كل تلك الشواهد والحقائق الدامغة, إلا أن القساوسة والمنصّرين والمستشرقين ومن لَفّ لفّهم لازالوا يكابرون ويزعمون أن الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها التي بأيديهم اليوم قد وصلت إليهم من دون أي تغيير أو تحريف على الإطلاق كما كتبها مؤلفوها بإلهام من الروح القدس.

كما يزعمون أن روايات الأناجيل **تُكَمل بعضها بعضاً**, على عكس الحقيقة والواقع، وذلك في محاولة يائسة منهم لإعطاء هذه الكتب درجة من الموثوقية والمصداقية, وقد يستشهدون بما جاء في رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس (١٦/٣): "كل الكتاب هو موحى به من الله".

ولكن مزاعمهم تلك تذهب هباءً منثوراً, إذْ يستحيل البرهنة على صدقها وموثوقيتها وعَد تحريفها أمام الحقائق المادية الدامغة **المعاكسة** لها».

إلى هنا انتهى كلام الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله.[2]

ثم إن استشهادهم بكلام بولس متناقض جدا، فإن تأليف بولس لرسائله قد سبق تأليف الأناجيل والرسائل الملحقة بها بما لا يقل عن ربع قرن، وبناء على هذا فهو لا يقصد في كلامه الأناجيل الأربعة بل يقصد كتابا آخر، وهو كتابه نفسه «رسائل بولس»، لأن تلك الأناجيل لم تؤلف بعد، ولأن الإنجيل الذي كان بيد المسيح لم يُحفظ، فلم يبق إلا أن يكون مقصوده في كلامه هو كتابه هو.

وللعلم فإنه يُقدر أن بولس قد كتب أولى رسائله في سنة ٥٥ ميلادية، أي بعد رفع المسيح بحوالي ٢٢ إلى ٢٤ سنة، وهذا يعني قطعا أن تأليف بولس لرسائله قد سبق تأليف جميع الرسائل والأناجيل الأربعة.

قال الدكتور المسيحي (أسد رستم) عن تاريخ تأليف بولس لرسائله: «جميعها دُوِّنَ ما بين سنة ٥٢ و ٦٦ للميلاد».[1]

---

[1] «تاريخ النصرانية»، ص ١٩٥، باختصار.

[2] «تاريخ النصرانية»، ص ١٩٨.

٤ . الشروط الواجب توافرها في أيِّ كتاب مقدس[٢]

١ . أن يَذكر الكتاب نفسه أنه مُوحى به من الله، وهذا الشرط ليس موجودا في أيٍّ من الأناجيل الأربعة، فليس في واحد منها عبارة أن هذا الإنجيل وحي من الله.

٢ . أن يَذكر الكتاب نفسه اسم الرسول الموحى إليه هذا الكتاب, وأن تثبت نسبة الكتاب إلى الرسول بطريقة قطعية لا لَبس فيها ولا شك بطريق التواتر.

٣ . أن تَتم كتابته في زمن الرسول الذي أُنزل عليه, وبموافقته على ما جاء فيه.

٤ . أن يوجد بلغته الأصلية التي نزل بها.

٥ . أن يثبت بالدليل القاطع أن محتوياته قد وصلت إلينا بالتواتر, وأنها هي نفسها بالنص التي كانت عليه أيام الرسول الموحى بها إليه.

٦ . أن يخلو من التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان, أو أي خطأ مهما كان على الإطلاق.

٧ . ألا يكون متناقضاً مضطرباً يهدِم بعضه بعضاً, وأن يكون كل جزء منه مُتمِّماً ومُكملاً للآخر, لأن ما يكون من الله لا يختلف ولا يتناقض.

٨ . ألا تتناقض محتوياته مع الحقائق الأساسية الثابتة في الكتب السماوية التي سبقته.

٩ . ألا تتناقض محتوياته مع الحقائق الثابتة للعلم والكون على مرّ الزمان.

١٠ . أن تثبت محتوياته أمام الفحص والتدقيق أنها وحي من الله, وأن يزداد قوة وتألُّقاً على مرّ الزمن أو الأزمان التي يقول الكتاب أنه جاء لها.

٥ . احتواء الأناجيل على نبوءات بمحمد، صلى الله عليه وسلم

قال الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله:

«يُلاحَظ أن هذه الأناجيل الأربعة تحتوي على نبوءات أو بشارات على الرغم مما أصابها من تحريف, إلا أنها لا تنطبق إلا على سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم, مما يدلّ على أن مؤلفي هذه الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها قد نهلوا أو استعانوا بطريقةٍ ما من الإنجيل الموحَى إلى السيد المسيح عليه السلام, والله أعلم».[٣]

٦ . بناء على ما ثبت لدينا نحن المسلمون من فقدان لكتاب الإنجيل الأصلي الذي كان المسيح يبشر به، ينبغي علينا عندما نذكر كلمة الإنجيل أو تُذكر أمامنا، فإنه يتبادر إلى أذهاننا الإنجيل الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام، والذي ورد ذكره في أكثر من آية من آيات القرآن الكريم، وليس هو أياً من الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها التي بيد المسيحيين اليوم، ولو أُطلق عليها لفظ الإنجيل بالمفرد.

---

[١] «الروم»، ص ٤١.

وقد استفدت الكلام قبله من ص ١٨٥ من كتاب «تاريخ النصرانية»، للأستاذ عبد الوهاب الشايع.

[٢] باختصار وتصرف يسير من كتاب «تاريخ النصرانية»، للأستاذ عبد الوهاب الشايع، حفظه الله، ص ٢٠٢ — ٢٠٣.

[٣] «تاريخ النصرانية»، ص ١٩١.

٧. كما يجب علينا كمثقفين الانتباه إلى هذا الموضوع لكي لا يَغُشَّنا القساوسة والمُنصِّرون[1] الماهرون بالتلاعب بالكلمات، بادعائهم أن الإنجيل الذي بيدهم هو الإنجيل المذكور في القرآن، إذ أن الذي بيدهم هو أربعة أناجيل وليس إنجيلاً واحداً، وكلها منسوبة إلى مؤلفيها، وكذلك الرسائل الملحقة بها، أما ((الإنجيل الأصلي)) الذي أنزله الله على المسيح عيسى ابن مريم فهو مفقود تماما، لا وجود له أصلا عند المسيحيين بعد رفع المسيح، ولم تذكر كتب التاريخ ذلك في مصدر واحد.

٨. فبناء على هذا فإن الرجوع إلى هذه الكتب التي تسمى أناجيل والاعتماد عليها لمعرفة رسالة المسيح عيسى ابن مريم الأصلية خطأٌ فادح، وزيغ عن طريق الحق، لأنه رجوع إلى كلام البشر الذي يعتريه الصواب والخطأ، فهي مثل كتب التاريخ ونحوها، وليس رجوعا إلى كتاب الله المقدس ((الإنجيل الأصلي)) الذي أنزله الله على المسيح عيسى ابن مريم، ولو أن هذه الأناجيل التي يتداولها النصارى ((المسيحيون)) هي فعلا الإنجيل الأصلي لما تعددت ولما تناقضت فيما بينها، لأنه من المعلوم قطعا أن الإنجيل الذي كان بيد المسيح إنما هو كتاب واحد، وكذلك الأمر يقال بالنسبة للتوراة.

٩. وهذا الشيء يعرفه القساوسة في داخل نفوسهم، ولكن مع الأسف فإنهم لا يقبلون أن يناقشهم فيه أحد من الناس «الرعية» مناقشة عقلية لأنهم يعجزون عن إجابته، ولأنه إذا انكشف فإنه سيهدم كيانهم من الأساس، فلهذا يلجئون إلى التحايل على عقول الناس بالترغيب والترهيب، فتارة يقولون للرعية إنهم ليس لهم حق في السؤال، وإذا حصل إلحاح من السائل ورأوا فيه الجرأة والشجاعة استعملوا معه أسلوب الإرهاب، فيهددونه بالقتل، ويسجنونه في الكنيسة، ويضربونه ضربا مُبَـرِّحا من قِبَل أُناس مخصَّصين لهذه المهمة (الشريفة)، وإذا كان السائل امرأة أخذوها عندهم، واغتصبوها واستمتعوا بجسدها، وضربوها ضربا عنيفا، ولهذا لو سألت قسيسا سؤالا منطقيا عن دينه فإنه إما يَتهرب من الإجابة أو يُهدد السائل أو السائلة، وأعرف شخصيا ثلاث نساء تعرَّضن للاغتصاب عقوبة لهن على طرحهن أسئلة محرجة لرجال الكنيسة!

فالخط الأحمر عند رجال الكنيسة هو العلم والفهم والسؤال والاقتناع، والخط الأخضر عندهم هو الانقياد والتبعية والتقليد الأعمى، ومن خالف ذلك شبرا فسيعرف مصيره بين عصابات الكنيسة المُخصَّصين لهذه المهمة.

١٠. ومع وجود هذا الإرهاب الفكري، فقد انتبه لهذا الكيد الكنائسي بعض من عنده أنفة وثقافة ووُفور عقل، فمَـحَّـصَ كلامهم بنفسه، وسأل عن الدين الحق، وقارن بين هذا وهذا، ووصل إلى النتيجة بنفسه، ثم تبين له الدين الصواب من الدين الخطأ، لأن الإنسان إذا كان صادقا بينه وبين ربه (الله) فإن الله لن يتركه حائرا، بل سَـيَـدُلُّـهُ إلى الدين الحقيقي، لأن الله رحيم بعباده، يفرح بإقبال عبده إليه.

***** خلاصة القول ثلاثة أمور *****

الأول: من المستحيل إثبات الكلمات الأصلية التي تفوَّهَ بها المسيح عيسى ابن مريم في لغته الأصلية الآرامية أو العبرية.
الثاني: لا يصح أن يقال إن الأناجيل المنتشرة والرسائل الملحقة بها هي كلام الله الذي أوحاه إلى المسيح، وذلك لانقطاع السند بين الأصول وترجماتها، وجهالة المترجمين.

[1] المُنصِّرون أي المُـبَـشِّـرون، سُمُّوا بذلك لأنهم يدعون الناس إلى الدخول إلى «النصرانية»، المعروفة بـ «المسيحية».

الثالث: لو جعلت المطابع المسيحية وغير المسيحية في العالم كله تعمل ليلا ونهارا في طباعة العهد الجديد، وبكل لغة معروفة، فلن يُغَيِّر ذلك من الحقيقة المتقدمة شيئا، وهي أن أصول الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها (العهد الجديد) مفقودة ويستحيل العثور عليها.[1]

[1] استفدت هذه الفوائد الثلاث من ورقات أرسلها لي أستاذي الكريم عبد الوهاب الشايع، حفظه الله، وهو الباحث في المسيحية لما يزيد عن أربعة عقود من الزمن.

فائدة قبل الختام

قد يتساءل سائل فيقول:

إذا كان الضياع والفقدان هو حال «الإنجيل الأصلي» الذي كان بيد المسيح، فما هو حال «التوراة الأصلِية» التي كانت بيد النبي موسى (عليه السلام)؟

وهل العهد القديم الذي بأيدي اليهود والنصارى الآن هو فعلا التوراة التي كانت بيد النبي موسى (عليه السلام)؟[1]

فالجواب:

إن العهد القديم الذي بأيدي اليهود والنصارى الآن عبارة عن نصوص متفرقة مجهولة الأصل، أما النصوص الأصلية فقد حُرِقت عندما قام الآشوريون[2] بهدم دولة إسرائيل، وقد أُعيدت كتابتها ثانية بعد عدة أجيال اعتمادًا على التراث الشفهي، فهي لا تُمَثِّل النص الأصلي الذي أنزله الله على موسى، يدل لذلك أن الكتاب الموجود الآن المسمى «العهد القديم» يتضمن أموراً لا يمكن أن تكون وحياً من الله تعالى، كالأمر بالإبادة الجماعية كما في سفر التثنية (١٦/٢٠) على لسان الرب إذ يقول:

«وأما مُدُن الشعوب التي يَهَبَها الربُّ ميراثًا، فلا تستَبْـقوا فيها نسَمةً حيَّـة[3]، بل دمروها عن بكرة أبيها كمُدن الحِيثـيــن[4]، والأموريـين[1]، والكنعانيــن[2]، والفرزيـين[3]، والحويـين[4]، واليبوسيـين[5] كما أمركم الربُّ إلهكم».

---

[1] هذا فصل مهم، انتقيته من الكتاب المفيد: «من أسرار عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) »، ص ٢٤، لمؤلفه: خالد أبو صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر — الرياض، وقد عدلت فيه وزدت عليه بما يسر الله.

[2] الآشوريين القدماء أقوام عاشت في أعالي بلاد ما بين النهرين، ويعود تاريخ إنشاء أقدم مستوطنة في المنطقة إلى ٦,٠٠٠ قبل الميلاد في تل حسونة مسافة ٣٥ كم جنوب الموصل.

ويعود أقدم ذِكر لملك آشوري إلى القرن ٢٣ قبل الميلاد. وقد حاول دبيكيا الحاكم اليهودي الانقلاب على حكم البابليين فهاجمه الملك البابلي الشهير نبوخذ نصر الذي اشتهر بـ (بختنصر) وهدم أسوار القدس ومنازل أورشليم وأخذ من بقي من اليهود عبيداً إلى بابل، وكانوا قرابة ٤٠٠٠٠، وهو ما يعرف بالسبي البابلي، وهدم القدس وما فيها من معابد، وسلب منهم التابوت مرة أخرى، وذلك في عام ٥٨٦ قبل الميلاد.

وبسبب غزوات الآشوريين والكلدانيين اختفت دولة اليهود في فلسطين بعد أن عاشت أربعة قرون (١٠٠٠ – ٥٨٦ ق.م.) كانت مليئة بالخلافات والحروب والاضطرابات. المصدر: Wikipedia.org

[3] أي لا تتركوا فيها نفسا على قيد الحياة، بل اقتلوهم جميعا!

[4] الحيثيون هم شعب هندوأوروبي سكنوا بآسيا الصغرى وشمال بلاد الشام منذ ٣٠٠٠ ق. م. سقطت الإمبراطورية الحيثية بعد موجة شعوب البحر التي زحفت باتجاه المنطقة في أواخر القرن الثاني عشر ق. م. ثم قامت على أنقاضها ممالك صغيرة، من مراكزها قرقميش وحلب وحماة وغيرها من الممالك السورية. المصدر: Wikipedia.org

فهذا الأمر بالإبادة الجماعية لا يمكن أن يصدر عن الربِّ تبارك وتعالى، لأن الرب رحيم بعباده.

حتى الأطفال فإنهم لم يسلموا من الذبح بأمر الربِّ تعالى كما في سفر إشعيا (١٦/١٣): «وتُحطِّم أطفالهم أمام عيونهم، وتُنهب بيوتهم، وتُفضح نساءهم».

كما أن السفر المسمى «نشيد الإنشاد» يمثل نصًا جنسيًّا إباحيًّا كاملاً لا يمكن أن يصدر عن الربّ تبارك وتعالى.

هذا غيضٌ من فيضٍ مما يدل على أن التوراة التي بأيدي اليهود الآن ليست هي التوراة التي كانت بيد النبي موسى (صلى الله عليه وسلم)، بل هي مما كتبه اليهود بعد عصر موسى مما سمعوه عمّن قبلهم وزادوا عليه من عند أنفسهم.

هذا فيما يتعلق بالتوراة.

التوراة المعاصرة تتضمن المسبة والتنقص لرب العالمين، فهل يُعقل أن تكون هي كلام الله؟

التوراة التي بأيدي اليهود والنصارى اليوم (العهد القديم) يوجد في بعضها ما يناقض تعظيم الرب، ومن المحال أن يذم الرب نفسه لو كانت هذه التوراة هي الأصلية التي كانت بيد موسى والمسيح فِعلا، والتي هي كلام الله حقا، مما يدل دلالة قاطعة أنها ليست كلام الله، بل كلام بشر.

---

[١] الأموريون مجموعة من الساميين تشير بعض المصادر التاريخية إلى أنهم بدؤوا منذ نهاية الألف الثالث ق.م بالانتشار في حواضر بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام على شكل موجات، من مناطق البادية العربية. المصدر: Wikipedia.org

[٢] كنعان هي منطقة تاريخية تشمل اليوم فلسطين ولبنان والأجزاء الغربية من الأردن وسورية .تم استبدال الاسم "كنعان" بـ"سورية" عقب سيطرة الإمبراطورية الرومانية على المنطقة.

أسّس الكنعانيون من القرن ٧ ق. م. إلى القرن ٤ ق. م. مستعمرات كنعانية جديدة، امتدّت من غرب البحر الأبيض المتوسط إلى حدود السواحل الأطلسيّة. المصدر: Wikipedia.org

[٣] الفرزيون شعب ورد ذكره مع الشعوب التي كانت تستوطن أرض كنعان (فلسطين)، ومما ورد عنهم أن إبراهيم الخليل أقام بعد وصوله إلى فلسطين في أراض كان أصحابها من الكنعانيين والفرزيين (سفر التكوين ٣٤:٣٠).

المصدر: www.palestinapedia.net(الموسوعة الفلسطينية)

[٤] الحويون شعب لم يرد ذكره في غير التوراة من المصادر القديمة. ولذا أصبحت الروايات التي وردت في الكتب التوراتية المصدر الوحيد الذي استند إليه المؤرخون في محاولتهم تحديد هوية هذا الشعب واستنباط ملامح تاريخه. ولما كانت روايات التوراة في أغلب الأحيان مقتضبة وغير وافية، وفي أحيان أخرى غير واضحة، فإن الغموض ما زال يكشف تاريخ الحويين، وستبقى معرفة هذا التاريخ ناقصة إلى حين العثور على مصادر جديدة تلقي ضوءاً على ما خفي من جوانبه.

المصدر: www.palestinapedia.net(الموسوعة الفلسطينية)

[٥] اليبوسيون شعب سامي نزح مع الكنعانيين من شبة الجزيرة العربية إلى بلاد الشام في خلال الألف الثالث ق.م.، واستقر اليبوسيون في منطقة القدس فقط بينما ذهب الكنعانيون إلى الساحل، واليبوسيون هم عبارة عن قبيلة كنعانية، وقد بنى اليبوسيون بقيادة ملكهم "ملكي صادق" مدينة القدس وأسموها "شاليم" وهو اسم إله السلام عند الكنعانيين، ثم حرفت لاحقا إلى "أورشالم" والتي تعني "مدينة السلام"، وقد كانت تسمى أيضا بـ "يبوس" نسبة إلى اليبوسيين، وبعد ذلك استقروا في المنطقة لمدة طويلة حتى وصول بني إسرائيل في القرن الثاني عشر ق.م، وحينها استولى الإسرائيليون على المدينة بقيادة نبي الله داود وطردوا اليبوسيون وحصنوا المدينة وشيدوا فيها الهيكل المزعوم، وبعد ذلك تشتت اليبوسيون في بلاد الشام ولم يرد لهم أي ذكر في التاريخ بعد ذلك. لم يطرد اليهود اليبوسيين من مدينة القدس بل أبقوا عليهم فيها وعاشوا معهم فيها كما ورد في التوراة في سفر القضاة، الإصحاح الأول: ٢١.

المصدر: Wikipedia.org

وسنضرب لذلك أمثلة لبعض ما هو مذكور في التوراة من تنقص لله سبحانه وتعالى في صفاته، ثم نقارنها بكلام الله الحقيقي المذكور في القرآن:

١. تقول التوراة كما في سفر المزامير (٧٨:٦٥): «فاستيقظ الرب كنائم، كجبار مُعَيَّط من الخمر».

ومعنى مُعَيَّط أي مدَّ صوته بالصراخ والبكاء.

والتعليق: هل من المعقول أن الرب ينام و يترك الكون وجميع مخلوقاته بلا تدبير؟ حاشا الله أن ينام، فالنوم صفة نقص.

وصف الله نفسه في القرآن الكريم فقال: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم **لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم**﴾.

ومعنى سِنَةٌ أي غفوة.

وهل من المعقول أن يتنقص الله نفسه الكريمة ويشبه حاله بشارب خمر؟!

لقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم أعظم وصف فقال: ﴿ولله المثل **الأعلى**﴾.

***

٢. تقول التوراة كما في سفر حبقوق (١:٢): «حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع؟ أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تُخَلِّص؟»

التعليق: هل من المعقول أن يتصف الرب بالصَّمم؟! وهل هذا النوع من الخطاب لائق بالله سبحانه وتعالى؟

هذه الصفة عند المخلوقين صفة نقص، يأنف منها الناس، فكيف يليق وصف رب العالمين بها؟!

لقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم فقال: ﴿إن ربي **لسميع الدعاء**﴾، وقال تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب **أجيب دعوة الداعي إذا دعان**﴾.

***

٣. تقول التوراة كما في سفر الخروج (٣١:١٧) : لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفس.

التعليق: هل من المعقول لو كانت التوراة كلام الله فعلا أن يصف الرب نفسه بالاستراحة؟

ألا يتضمن هذا معنى أن الله تعب بعد خلق السماوات والأرض؟ حاشا الله من صفة التعب.

ما الفرق إذن بين الخالق والمخلوق؟

لقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم فقال: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام **وما مسّنا من لغوب**﴾، واللُّغوب هو التعب والإرهاق.

***

٤. تقول التوراة كما في سفر المزامير (٨٩: ٣٨-٤٦):

٣٨ لكنك رفضت ورذلت، غضبتَ على مسيحك

٣٩ نقضتَ عهد عبدك، نجَّستَ تاجه في التراب

٤٠ هدمت كل جدرانه جعلت حصونه خرابا

٤١ أفسده كل عابري الطريق صار عارا عند جيرانه

٤٢ رفعت يمين مضايقيه، فرحت جميع أعدائه

٤٣ أيضا رددت حد سيفه، ولم تنصره في القتال

٤٤ أبطلت بهاءه، وألقيت كرسيه إلى الأرض

٤٥ قصرت أيام شبابه غطيته بالخزي. سلاه

٤٦ حتى متى يا رب تختبئ كل الاختباء ؟ حتى متى يَتَّـقد كالنار غضبك

التعليق: هل من المعقول أن الرب يصف نفسه بكل هذه الأوصاف الرديئة من نكث للوعد، واختباء من خلقه عن نصرة أولياءه، وغير ذلك مما هو مذكور.

لقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم فقال: ﴿وَعْـدَ الله **لا يُخلف الله وعده** ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون﴾.

وقال ﴿إن الله هو الرزاق **ذو القوة** المتين﴾.

كما وصف الله نفسه بأنه العزيز الجبار المتكبر، ومعنى العزيز أي الغالب، قال الله في القرآن الكريم ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ **الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ** الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُون﴾.

لو أن أميرا أو رئيـــسا أو ملِكا كتب للناس كتابا، وقال فيه إنه ينقض العهد ويختبئ، لو فعل ذلك لسقط من عيون الناس، ولقالوا هذا لا يستحق أن يكون ملِكا، فإذا كان هذا غير لائق بملك من ملوك الدنيا فكيف يليق أن يصف ملك الملوك نفسه بذلك في كتابه لو كان هذا الكتاب من عنده حقا؟!

هذا كله يدل على أن التوراة المتوافرة بأيدي اليهود والنصارى كلام البشر وليست كلام الله.

***

٥. تقول التوراة كما في سفر القضاة (١٩:١): وكان الرب مع يهوذا فملَك الجبل، ولكن لم يطرد سكان الوادي لأن لهم مركبات حديد.

التعليق: هل من المعقول أن يكون الله الذي خلق الحديد وخلق كل شيء عاجز عن طرد سكان الجبل لأن عندهم مركبات حديد؟

أليس هذا من التلاعب بالعقول والتلاعب بدين الله؟

لقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم فقال: ﴿والله **على كل شيء قدير**﴾، وقال الله ﴿والله **غالب على أمره** ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، وقال ﴿إن **ينصركم الله** فلا غالب لكم﴾.

***

٦. تقول التوراة على لسان داود يقول كما في سفر المزامير (١:١٣): إلى متى يا رب تنساني كل النسيان؟ إلى متى تحجب وجهك عني.

التعليق: هل من المعقول أن يخاطب نبي كريم ربه بهذا الخطاب الذي ليس فيه توقير واحترام، ويصف الله فيه بأنه نساه، وأنه حجب وجهه عنه؟ من المعلوم أن الله يحب أنبياءه ورسله، وينصرهم ويتولاهم، وإلا فمن يتولى إذا كان سينسى أنبياءه الذين هم خُلَّص خلقه؟

لقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم فقال: ﴿إن الله **مع الذين اتقوا** والذين هم محسنون﴾، وأولى الناس بوصف التقوى والإحسان هم الأنبياء بالطبع.

***

أقول: وقد علق على هذه المقارنة أحد الإخوة اسمه بدرات، وقد كان رجل دين برتبة (قمص)، ثم هداه الله للإسلام فقال:

(كم أدهشني هذا الكلام، ومدى الفرق الكبير والواضح بين ما في كتاب القرآن المقدس وبين ما في كتاب الإنجيل المحرف الذي كنت أعتبره كتاب الرب، والذي أرى الآن بأن الرب يُمتهن به.

هذه فروقات واضحة بين الكتاب الصحيح (القرآن) وبين الكتاب المنسوب للرب زورا (الأناجيل المعاصرة)، وهذا ما جعل محبتي تزداد لديانتي الجديدة الإسلام ومن قناعتي للقرار الذي اتخذته بأن أنتقل إليه دون ندم).

***

إن الدين الذي يسير عليه المسيحيون الآن **ليس مطابقا للدين** الذي جاء به نبي الله عيسى ابن مريم، بل هو مختلف عنه غاية الاختلاف، فعيسى ابن مريم لم يقل للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله، ولم يقل للناس إنه ابن الله، ولم يقل إنه ثالث ثلاثة، وحاشاه أن يقول ذلك، وقد تقدم إثبات ذلك في أول هذا البحث المبارك إن شاء الله.[١]

إضافة إلى ذلك فإنه يستطيع أحد أن يقول إن الأناجيل التي بأيدي المسيحيين الآن تطابق الإنجيل الذي كان بيد عيسى، ولا حتى واحد منها، وقد تقدم إثبات ذلك بما فيه الكفاية لمن تجرد لاتباع الحق.

فكيف يصح للعاقل – والحالة هذه – أن يستقي عقيدته من كتب محرفة للوصول إلى أغلى شيء يسعى كل عاقل لكسبه في هذه الحياة وهو رضا الله ومن ثَمَّ دخول الجنة؟!

فلنطرح الأناجيل التي بأيدينا جانبا، فقد أبدلنا الله بكتاب آخر، **وحَـفِظه** من التغيير والتبديل والتحريف، فلنُقبِل عليه ونـتَّبِعه لنحصل على المغفرة والهدى، ولِـنصل إلى الدين الحقيقي الصحيح الذي ليس فيه لبس ولا غموض ولا تناقض، الدين الذي يعطي التصور الصحيح عن الأنبياء عيسى وموسى ومحمد وغيرهم، قال تعالى في القرآن ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾.

وللعلم فقد يسر الله إثبات أن الدين الذي يسير عليه المسيحيون الآن مختلف اختلافا جذريا عن الدين الحق الذي جاء به عيسى ابن مريم، وذلك في كتاب مختصر لي بعنوان:

«التغير التدريجي في رسالة المسيح عيسى ابن مريم الصحيحة على مدى ٢٠ قرنا»[٢]

أقول: ولو أن المسيح بين أظهرنا الآن لأنكر ما يقوله فيه النصارى (المسيحيون) أشد الإنكار، كما أخبر الله تعالى في القرآن الكريم أنه سيسأله يوم القيامة ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله قال **سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق** إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * **ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم** وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾.

---

[١] للفائدة، فقد يسر الله إعداد ثلاثة كتب في حقيقة المسيح عيسى ابن مريم في تعاليم الإسلام، الأول بعنوان:

Eleven Facts about Jesus in the Biblical & Islamic Teachings

والكتاب الثاني بعنوان: «قصة وفضائل مريم العذراء وابنها المسيح عيسى ابن مريم في دين الإسلام».
والكتاب الثالث بعنوان: «قصة المسيح من المهد إلى اللحد».
وكلها منشورة في شبكة المعلومات بنفس العناوين المذكورة في موقع:

www.saaid.net/The-clear-religion

[٢] هذا الكتاب منشور في شبكة المعلومات بنفس العنوان.

الذي يستحق العبادة هو الله وحده، ولا يستحقها أحد غيره، أما عيسى ابن مريم (اليسوع) فلا يستحق هو ولا غيره من المخلوقين أن نتوجه لهم بأي نوع من أنواع العبادات، لأنهم بشر مثلنا، وإشراك غير الله مع الله في العبادة من أعظم الذنوب، ومن الأمور التي لا يرضاها الأنبياء أنفسهم، لا اليسوع ولا محمد ولا موسى ولا أي نبي، ولا رب العالمين وهو الله سبحانه وتعالى.

والأنبياء أنفسهم كانوا يعبدون الله ويأمرون أقوامهم بعبادة الله، وينهونهم عن عبادة غير الله مع الله، ويبينون لهم أن هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله في الآخرة، ومن موجبات دخول النار عياذا بالله والخلود فيها أبد الآباد.

وعبادة الله وحده وترك عبادة من سواه هي محور دعوة الأنبياء كلهم، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم المحفوظ من التحريف والتبديل ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾.

كما أن إفراد الله بالعبادة هو المبدأ الموافق للعقل، لأن الله هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون، فهو المستحق وحده لأن يُعبد، وأما عيسى فبشر مخلوق، محتاج لغيره، فكيف يصح بالعقل مساواة البشر برب البشر بأن يُعبدان على حَدٍّ سواء؟!

وقد كانت دعوة المسيح لبني إسرائيل على إفراد الله وحده بالعبادة وترك عبادة من سواه، كائنا من كان، قال الله في القرآن مبينا حقيقة دعوة المسيح:

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ **اعْبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ** إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[١].

وقال الله عن المسيح أنه قال لقومه ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن **اعبدوا الله ربي وربكم**﴾[٢].

وقال الله عن المسيح أنه قال لقومه ﴿إن **الله ربي وربكم** فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[٣].

وقال الله عن المسيح أنه قال لقومه ﴿إن **الله هو ربي وربكم** فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[٤].

[١] سورة المائدة: ٧٢.

[٢] سورة المائدة: ١١٧.

[٣] سورة آل عمران: ٥١.

[٤] سورة الزخرف: ٦٤.

الواجب هو تعظيم الله وتنزيهه عن مشابهة خلقه، أو حلوله في خلقه، فالله هو الله، والمسيح هو المسيح، استمع أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة إلى صفة الله في القرآن في أعظم آية منه والتي تُسمَّى آية الكرسي:

﴿اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.

فهذه الآية الكريمة هي أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلّها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة، وصفات الله الكريمة، فلهذا وردت الأحاديث في الترغيب في قراءتها، وجَعْلِها وِردا للإنسان يقولها في أوقاته صباحا ومساء وعند نومه وأدبار الصلوات المكتوبات.

- فقوله ﴿لا إلٰه إلا هو﴾ أي: لا معبودَ بحقٍّ سواه، فهو الإلٰه الحق الذي تتعيَّن أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتألُّه له سبحانه تعالى، لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه، فيجب على الإنسان أن يكون عبدا لربه، ممتثلا أوامره، مجتنبا لنواهيه، وكل ما سوى الله تعالى فعبادته باطلة، لأن كل ما سوى الله فإنه مخلوق ناقص مُدبَّر فقير من جميع الوجوه، لا يستحق شيئا من أنواع العبادة، سواء كان بشرا أو جمادا، نبيا أو حجرا أو صليبا أو شمسا أو قمرا أو قبرا أو غير ذلك.
- قوله: ﴿الحي القيوم﴾ هٰذان الاسمان الكريمان هما من أعظم أسماء الله سبحانه وتعالى، فإن لله تسعة وتسعين اسما، أعظمها (الله)، وهٰذان الاسمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى، فالحي هو من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة ونحو ذلك، والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين، كالخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، فكل ذلك داخل في قيُّومِيَّة الله سبحانه وتعالى.
- قوله ﴿لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم﴾، السِّنَةُ هي النعاس، والنوم معروف، ومعنى الآية أن الله لا يعتريه النوم ولا مقدماته، لأن النوم صفة نقص، وهو لا يحصل إلا بعد تعب، وهو (أي التعب) صفة نقص أيضا، وصفات النقص يَتَنزَّه الله عن الاتصاف بها، بل هو المتصف بصفات الكمال، لا يعتريه النقص بوجه من الوجوه، كما قال الله عن نفسه ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وقال في آية أخرى ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
- ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي: هو المالك لكل شيء في هذا الكون، وكل ما سواه مملوك له، فالسماوات والأرض وما بينهما من جبال وبحار وبشر وحيوانات فكلها مملوكة له، يدبرها الله ويُنفِّذ مشيئته فيها كما شاء، وهو مع هذا رحيم بهم سبحانه وتعالى، يرزقهم ويجيب دعاءهم ويدلهم على الطريق الموصل لجنته ليسلكوه، ويبين لهم الطريق الذي يؤدي إلى النار ليجتنبوه، وكل ذلك مذكور في القرآن.

- قوله: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ أي: لا أحد يشفع لأحد يوم القيامة بدون إذنه، لأن الشفاعة كلها ملك لله تعالى، فإذا أراد أحد أن يشفع لأحد يوم القيامة في دخول الجنة فإنه يستأذن الله أولا، فإذا أذِن الله له بالشفاعة استأذن منه في قبول شفاعته لفلان من الناس أن يدخله الجنة، فإن قبِل الله شفاعته دخل المشفوع له الجنة، وإن لم يقبل لم يدخل، وفي هذا إشارة إلى ظهور ملك الله يوم القيامة وانقطاع جميع الأملاك.

- ثم قال ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ أي: يعلم ما مضى من الأمور، ﴿وما خلفهم﴾ أي: يعلم ما سيحصل في المستقبل، فعلمه تعالى محيط بتفاصيل الأمور، متقدمها ومتأخرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة، والعباد ليس لهم شيء من الأمر ولا العلم إلا ما علَّمهم الله سبحانه تعالى، ولهذا قال: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾.

- قوله ﴿وسِع كرسيه السماوات والأرض﴾، الكرسي هو موضع قدمي الرب جل جلاله، ولا يعلم كيفيته إلا الله سبحانه، لأنه من الغيب الذي لم نطَّلِع عليه، فيجب الإيمان به كما أمر الله بذلك.

- ووصفُ الكرسي بأنه وسِع السماوات والأرض يدل على كمال عظمة الله سبحانه وتعالى وسعة سلطانه، إذ إن الكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هناك ما هو أعظم منه وهو عرش الرحمٰن، الذي استوى عليه الله وارتفع، وهو من الغيب أيضا، وقد أشار الله إلى عظمته في قوله ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾، أي علا وارتفع، والعرش – في اللغة العربية – هو سرير المُلك.

- قوله ﴿ولا يئوده حفظهما﴾ أي: لا يُثقِلُه ولا يُتعِبُه حِفظ السماوات والأرض وتدبير أمرها وأمور عباده وسائر مخلوقاته، لأن الله إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون، وهذا هو المعروف بتوحيد الربوبية، لأن الرب هو المالك الخالق المدبر، وتوحيد الله في ربوبيته على خلقه تعني اعتقاد تفرده بأنه المالك الخالق المدبر، ومن ذلك حفظ السماوات والأرض.

- قوله ﴿وهو العلي﴾ أي هو العلي <u>بذاته</u> فوق عرشه، والعلي <u>بقهره</u> لجميع مخلوقاته، والعلي <u>بقدره</u> لكمال صفاته، فله العلو المطلق من هذه الوجوه الثلاثة.

- قوله ﴿العظيم﴾ أي هو العظيم الذي يتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان من له العظمة والكبرياء، والقهر والغلبة على كل من في الأرض والسماء.

- وكما تقدم، فهذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، فقد اشتملت هذه الآية على عشرة أمور:

١. الأمر بتوحيد العبادة، ﴿لا إلٰه إلا هو﴾.

٢. توحيد الله في ربوبيته على خلقه، ﴿القيوم﴾، ﴿ولا يئوده حفظهما﴾.

٣. توحيد الأسماء والصفات، ﴿الحي القيوم﴾.

٤. تنزيه الله عن صفات النقص ومشابهة المخلوقين، ﴿لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم﴾.

٥. بيان إحاطة ملكه، ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾.

٦. ظهور ملك الله يوم القيامة وانقطاع جميع الأملاك ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

٧. بيان إحاطة علمه، ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾.

٨. بيان أن العباد ليس لهم شيء من الأمر ولا العلم إلا ما علَّمهم الله سبحانه تعالى، ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾.

٩. سَعة سلطان الله وملكه وجلاله ومجده وعظمته وكبريائه وعلوه على جميع مخلوقاته، ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾.

١٠. فهذه الآية بمفردها تعتبر عقيدة شاملة لأسماء الله وصفاته، متضمنة لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلا، فلهذا كثُرت أحاديث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في الترغيب في قراءتِها، وجعلِها وِردًا يقوله الإنسان في الصباح والمساء وعند نومه وبعد الصلوات.

الهمسة الثامنة

لِـنقرأ سويا هذا الأمر الرباني الذي أنزله الله منذ أكثر من أربعة عشر قرنا:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ **قَدْ جَاءَكُمُ** الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ **فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ** وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيما﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ **قَدْ جَاءَكُم** بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينا﴾.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ **قَدْ جَاءَكُمُ** الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيل﴾.

أيها القارئ الكريم، أيتها القارئة الكريمة: لا نُغالط أنفسنا، ولنترك تقليد الآباء والأجداد جانبا، فالمسألة يترتب عليها خلود في الجنة إلى الأبد، أو **خلود في النار إلى الأبد**.

نعم، لنعود إلى أنفسنا وإلى ربنا، ونستجيب لأمره **قبل فوات الأوان**، فإنه ليس عند الإنسان فرصة للإيمان بمحمد والدخول في دين الإسلام والحصول على غنيمة الخلاص الأبدي الحقيقي **إلا هذه الدنيا**، فها هي قد تهيأت، **ولا زالت الروح في الجسد لم تغادرها**، فمن اغتنم هذه الفرصة فليبشر بالخير، ومن ضيَّعها فليَعرض نفسه على هذه الآية ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

الهمسة التاسعة

استمع أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة إلى هذا النداء الرباني:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً للذين آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً للذين آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُون * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِين * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِالله وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِين * فَأَثَابَهُمُ الله بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِين﴾.

تفسير الآيات:

قال الله لنبيه محمد (صلى الله عليه وسَلَّم):

لتجدنَّ أيها الرسول أشدَّ الناس عداوة للذين صدَّقوك وآمنوا بك واتبعوك، اليهودَ؛ لِعِنادهم وجحودهم، وتكبرهم على اتباع الحق، وكذلك الذين أشركوا مع الله غيره في العبادة، كَعَبَدَة الأوثان وغيرهم.

ثم قال: وَلَتَجِدَنَّ أقربهم مودة للمسلمين الذين قالوا إنا نصارى، وهم المعروفون بالمسيحيين، ذلك بأن منهم علماء وعبَّادًا، وأنهم متواضعون لا يستكبرون عن قَبول الحق، وهؤلاء هم الذين قبلوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وآمنوا بها، فدخلوا في الإسلام.

ومما يدل على قرب مودتهم للمسلمين أن فريقًا منهم فاضت أعينهم من الدمع لما سمعوا القرآن، فأيقنوا أنه حقٌّ منزل من عند الله تعالى، وصدَّقوا بالله واتبعوا رسوله، فدخلوا في الإسلام، وتضرعوا إلى الله أن يكونوا من الشاهدين، أي يشهدون لله بالتوحيد، ولرسله بالرسالة، ويشهدون على الأمم السابقة بالتصديق والتكذيب.

وقالوا أيضا: وأيُّ لوم علينا في إيماننا بالله، وتصديقنا بالحق الذي جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله، واتباعنا له، ودخولنا في دينه، فالمسيح دعا قومه للإيمان بمحمد إذا أرسله الله إلى الناس، ورسالته متممة لرسالة المسيح، فأيُّ لومٍ علينا في اتباعه، إذ باتباعه والدخول في الإسلام يحصل لنا شرف طاعة النبيين عيسى ومحمد، ودخول الجنة، أما إذا لم نتبعه وندخل في دينه فقد عصينا النبيين، عيسى ومحمد، وعرضنا أنفسنا لغضب الرب سبحانه وتعالى، واستحقينا دخول النار.

فجزاهم الله بما قالوا من الاعتزاز بدخولهم في دين الإسلام، وطلبِهم أن يكونوا مع القوم الصالحين، جزاهم بذلك جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار، ماكثين فيها لا يخرجون منها، ولا يُحَوَّلون عنها، وذلك لإحسانهم في القول والعمل.

الهمسة العاشرة

ليس أمام الإنسان العاقل إلا اعتناق دين الإسلام الذي أمر عيسى ابن مريم أتْـبَـاعه باتِّـباعه، فإن قبلتَ أيها القارئ هذا فليس بينك وبين الدخول في دين الإسلام إلا أن تنطق بشهادة الإسلام التي هي الركن الأول من أركان الإسلام ومفتاح الدخول إليه:

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله،

وأشهد أن المسيح عيسى ابن مريم عبده ورسوله

وهذه هي الكلمة السَّواء التي أمر الله بها جميع الناس، فقد أمر الله نبيه محمدا (صلى الله عليه وسلم) أن يأمر أهل الكتاب (وهم اليهود والنصارى) ويقول لهم:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

ومعنى الآية: قل أيها الرسول لأهل الكتاب من اليهود والنصارى (المسيحيين): تعالَوْا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم، وهي كلمة عدل وحق نلتزم بها جميعًا: وهي أن نَخُص الله وحده بالعبادة، ولا نتخذ أي شريك معه، من وثن أو صنم أو صليب أو بشرٍ أو غير ذلك، ولا يعبد بعضنا بعضا، فإن أعرضوا عن هذه الدعوة الطيبة فقولوا لهم أيها المؤمنون: اشهدوا علينا بأنا مسلمون، منقادون لربنا بالعبودية والإخلاص.

والدعوة إلى كلمة السَّواء هذه تُوجَّه إلى اليهود والنصارى، وتوجَّه أيضا لغيرهم من أتباع الأديان.

***

فبناء على ما تقدم فإن الواجب على كل من سمع بدين الإسلام أن يدخل فيه، وإلا كان كافرا بما أنزل الله على خاتم رسله، وعرَّض نفسه لعقوبة عظيمة وهي دخول النار والخلود فيها، قال الله تعالى ﴿ومن يبتغ غير الإسلام فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

وقال الله تعالى ﴿إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا * خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا * يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾.

وقال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني[١] ثم لم يؤمن بما جئتُ به[٢] إلا كان من أهل النار.

[١] نصراني أي مسيحي.

[٢] أي شريعة الإسلام.

فالواجب على من أراد لنفسه السلامة يوم القيامة من دخول النار والدخول إلى الجنة أن يسارع إلى الإيمان بالنبي محمد، وينقاد لشريعة الإسلام، قبل أن تبلغ الروح الحلقوم، ويموت على عدم الإيمان بما أمره الله بالإيمان به، فيموت كافرا، فيدخل النار، ويمكث فيها أبد الآباد، ثم يندم حين لا ينفع الندم.

خاتمة

تم الكتاب بحمد الله، وقد تم فيه إثبات أمران؛

الأول: بطلان مقولة إن يسوع المسيح هو الرب وابن الرب

الثاني: إثبات مقولة إن يسوع المسيح

بشرٌ رسولٌ من عند ربه وخالقه (الله)،

وأنه ليس ربا، ولا ابنَ الربِّ

ولا إلٰها، ولا ابنَ الإلٰه

كل هذا بدلالة

العهد القديم، والجديد، والمنطق، والتاريخ، والقرآن الكريم

******

وفي الختام، ندعو الله فنقول: اللهم اجعلنا مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وصلى الله على أنبياءه محمد وعيسى وموسى، وسائر أنبيائه، وسلَّم تسليمًا كثيرا.

اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد

تم الكتاب بحمد الله، نفع الله به قارئه وكاتبه وناشره، والحمد لله رب العالمين

المؤلف: ماجد بن سليمان

majed.alrassi@gmail.com

00966505906761

صبح الخامس من شهر رمضان لعام ١٤٣٨ هجري

الموافق ٣١ مايو لعام ٢٠١٧ ميلادي

مراجع علمية لمن أراد الاستزادة والفائدة – وهي منشورة في موقع «الدين الواضح»

www.saaid.net/The-clear-religion

١. الكتاب المقدس – القرآن

٢. تعريف موجز بالكتاب المقدس – القرآن

٣. لماذا خلقنا الله؟

٤. قصة أبينا آدم في القرآن

٥. المكانة العظيمة لمريم العذراء وابنها النبي العظيم المسيح عيسى ابن مريم في دين الإسلام

٦. قصة المسيح من المهد إلى اللحد

٧. قصة رفع النبي العظيم المسيح عيسى ابن مريم إلى السماء وتَـنجِـيته من الأذى

٨. أربعون دليلا على بطلان عقيدة توارث الخطيئة وصلب المسيح – «أربعون وقفة علمية ومنطقية، للمثقفين والمثقفات فقط»

٩. التغييرات والتطورات التدريجية التي حدثت لرسالة يسوع بعد رفعه على مدى عدة قرون

١٠. الدلائل على تحريف دين اليسوع بعد رفعه إلى السماء

١١. مهلا أيتها الدكتورة .... لا تسبي الإسلام

١٢. حوار علمي هادئ مع القساوسة

١٣. موقف الإسلام من الإرهاب

١٤. Who Deserves to be Worshipped

***

توضيح مصطلحات عامة في الكتاب

- (**صلى الله عليه وسلَّم**): معنى الصلاة على النبي محمد هو ثناء الله عليه في الملإ الأعلى وهم الملائكة، وهذا فيه زيادة تشريف وثناء عليه، وهو يستحق ذلك، لأن الله هدى الناس به إلى الدين الصحيح.
ومعنى (وسلَّم) هذا دعاء أيضا أن يُسَلِّمه الله من الآفات، مثل الطعن فيه أو في زوجاته ونحو ذلك.
فيكون المعنى الإجمالي لجملة (صلى الله عليه وسلم) أي: اللهم اثنِ على نبيك محمد عند ملائكتك، وسَلِّمه من الآفات.
وهذه الجملة جملة توقير واحترام، ويجب على المسلم أن يقولها كلما مر بذكر النبي محمد، فلا يليق بالمسلم أن يمر عليه اسم النبي محمد فلا يدعو له، وكأنه يتكلم عن إنسان عادي.
كما يستحب قول (عليه السلام) عند ذكر باقي الأنبياء، تشريفا لهم وتكريما.

- (**عليه السلام**): معنى (عليه السلام) إذا ذُكِر أحد الأنبياء هو دعاؤنا الله تعالى بأن يسلم نبيه من كل مكروه.

- (**الفَريسيُّون**): الفريسيون هم طائفة من غلاة اليهود المتعصبين والمتشددين بالمظاهر الخارجية للورع والتدين، ومنها التقيد بحرفية الشريعة أو الناموس مثل الامتناع عن أداء أي عمل يوم السبت، أو مخالطة غير اليهود، إذ يُعتبرون نجِسين، وقد آذوا المسيح عليه السلام. نقلا من «تاريخ النصرانية، مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، ص ٥٩، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع، ط ١.

- (**النصارى**): النصارى هم المعروفون الآن بالمسيحيين، وهم أتباع عيسى ابن مريم، ووجه تسميتهم بهذه التسمية «نصارى» هو تناصرهم فيما بينهم.
وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك تبعا للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿من أنصاري إلى الله قال الـحواريون نحن أنصار الله﴾.
وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها «ناصرة» بفلسطين، وقيل إنهم سُـمُّوا بذلك لأن عيسى خرج منها.
وعلى كل حال فكلمة «نصارى» أصلها من النصرة، وهي صفة مدح وثناء.

- (**المُوَحِّـد**): هو الرجل الذي يعتقد أن الله واحدٌ في ذاته، وأنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، وضده الـمُشرك، يعبد مع الله غيره.

- (**الـمُنصِّرون**): المُنصِّرون أي المُبشِّرون، سُمُّوا بذلك لأنهم يدعون الناس إلى الدخول في «النصرانية»، المعروفة بـ «المسيحية».